

زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسى

المُخْتَصَرُ المُفِيدُ

في

أصُولِ دِيْنِ الإسلامِ

وأصولِ المِلَلِ والنِّحَلِ والأديانِ

عرض مقارن

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهم أن ويسر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خلق فسوى، وقدر فهدى، يعلم السر وأخفى، الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، الظاهر فليس فوقه شيء، الباطن فليس دونه شيء، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا إله غيره ولا رب سواه، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخاتم أنبيائه ورسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا كتاب في بيان أصول الإسلام، وأركان الإيمان، وسبيل المؤمنين، ومعالم الهداة المصلحين، من الأنبياء والمرسلين، ورسالة النبي الكريم، محمد عليه الصلاة والتسليم.

ونقض أصول المخالفين، من الضُّلال والكفرة والملحدين، من يهود ونصارى وفلاسفة وملاحدة ومشركين ووثنيين.

وقد سلكت فيه الطريقة الميسرة، والأساليب المشتهرة، في بيان الحق، وزحلقة الباطل، ودحره ودحضه، وإسقاطه على أم رأسه، وهي الطريقة التي سلكتها سابقاً في كتابنا الأول من هذا المشروع، وهو «**المختصر المفيد في أصول أهل السنة ومناهج أهل الأهواء: عرض مقارن**».

وذلك بتقسيم الكتاب إلى أبواب، ثم كل باب إلى فصول نبتدئ فيه بذكر عقائد الإسلام، الصافية النقية من الشرك والبدع والآثام، في مسائل حتى نأتي على الباب بالتمام، ثم نردفه

بفصل فيه عقائد الكفرة الطغام، وعبدة الأوثان والشيطان، مع نقد مختصر لبعض زبالة الأفكار وقيء تلك العقول والأفهام، وردود مفحمة، من القرآن والسنة، والعقل والفطرة، ونقولات من كتبهم في بعض الأحيان.

ونبتدئ بالمقدمات، ثم بمصادر التلقي، ثم بالتوحيد، ثم بالنبوة، ثم بالآخرة، ثم بمسائل الأمة، ثم متفرقات أخرى ...

والله المستعان وهو عضدي ونصيري، اللهم بك أصول وبك أجول وبك أكتب وأحاول، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبي الله ونعم الوكيل، وهو مولاي ونعم النصير.

كتبه/ أبو عبد الله المصنعي

دار الحديث – معبر – اليمن، عام ١٤٣٣هـ ذو الحجة

****

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة البحث

قسمت الكتاب إلى ستة أبواب:

الباب الأول: مقدمة وتعاريف...

وتحته فصول:

الأول: مقدمة في بيان مسائل مهمة متعلقة بالبحث.

الثاني: التعريف بالإسلام ومحاسنه.

الثالث: التعريف بالأديان والملل...

وتحته مباحث.

الباب الثاني: مصادر التلقي.

وتحت فصلان:

الأول: مصادر التلقي في الدين الإسلامي.

الثاني: مصادر التلقي عند الملل والنحل...

وتحته مباحث.

الباب الثالث: في التوحيد والعقيدة.

وتحت ذلك فصلان.

الفصل الأول: عقيدة أهل الإسلام.

والفصل الثاني: عقيدة أهل الملل والنحل..

وتحت كل فصل مباحث.

الباب الرابع: في الغيبيات

الفصل الأول: عقيدة أهل الإسلام.

والفصل الثاني: عقيدة أهل الملل والنحل..

وتحت كل فصل مباحث.

الباب الخامس: في النبوة.

وتحته فصلان:

الفصل الأول: عقيدة أهل الإسلام.

والفصل الثاني: عقيدة أهل الملل والنحل..

الباب السادس: مسائل متفرقة

وتحته فصلان:

الفصل الأول: عقيدة أهل الإسلام.

والفصل الثاني: عقيدة أهل الملل والنحل..

وتحت كل فصل مباحث:

١ - الإمامة والحكم.

٢ - الولاء والبراء.

٣- الكلام على المرأة.

٤ - مسائل الأمة.

ولما كانت المسائل مركبة على أصول الاستدلال فقد قدمته على غيره[١].

****

---

(١) وهذا الترتيب والتقسيم من أجل أن يسهل على القارئ استيعاب مسائله، وأيضًا لعل الله تعالى أن ييسر اعتماده هذا الكتاب وشقيقه الآخر ضمن الدراسات العلمية.

الباب الأول

المقدمات

وتحته ثلاثة فصول

الأول: في بيان مسائل مهمة متعلقة بالبحث.

الثاني: التعريف بالإسلام.

الثالث: التعريف بالملل والنحل... الخ

الفصل الأول

مقدمات في بيان مسائل مهمة متعلقة بالبحث

*المسألة الأولى: الاهتمام بالقواعد والأصول الجامعة لضبط العلم والكلام.

فالمسلم الذي يريد أن يُقَعِّد أو يرد أو يدعو أو يناظر بحاجة إلى أن يكون ملمًّا بما هو في صدده، عارفاً بقواعد ذلك الفن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ونحن نذكر قاعدة جامعة في هذا الباب لهم ولسائر الأمة فنقول: لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»[(١)].

وقال السبكي رحمه الله تعالى: «حق على طالب التحقيق ومن يتشوَّق إلى المقام الأعلى في التصور والتصديق، أن يحكم بقواعد الأحكام ليرجع إليها عند الغموض، وينهض بعبء الاجتهاد أتم نهوض ... أما بذل المجهود في حفظ ونظم الجزئيات من غير معرفة أصولها ولا فهم مأخذها فلا يرضاه لنفسه ذو نفس أبِيَّة ولا حامله من أهل العلم بالكلية...» اهـ بتصرف[(٢)].

(١) «منهاج السنة» (٥/ ٨٣)، «الفتاوى» (١٩/ ٢٠٣).

(٢) وللمزيد من معرفة أهمية القواعد تراجع في مؤلفات هذا الموضوع (موضوع القواعد).

والقاعدة الكلية في موضوعنا هذا: (أصول الحق: الكتاب والسنة والإجماع).

فمن أخذ بذلك فإنه يكون بعيداً عن الكذب والجهل والظلم والتناقض، (لأن الحق لا يتناقض) و(الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح) لا عقلي ولا شرعي، سواء كان من الخبريات أو الطلبيات، فإن (الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه)[(١)] ، وبهذا تعرف أن أصحاب الأديان المحرفة كاليهود والنصارى، والأديان الوثنية كالهندوسية والبوذية وغيرهما والملاحدة والمشركين عندهم من الكذب والجهل والظلم في عقائدهم وشرائعهم، والتناقض الشيء الكثير؛ لأنهم خالفوا الحق وما أنزل الله تعالى على رسله، وخالفوا العقل الصريح، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]، فالحق ما جاء عن الله تعالى وعن رسله عليهم السلام، و(أصل الباطل مخالفة الرسل)، و(كلما كان الإنسان أكثر مخالفة كان أكثر تناقضاً وكذباً وضلالاً)، وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢]، وقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر:٣].

* المسألة الثانية: في طرق الرد على المخالف وأهميته.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠] الآية. فالأخيار هم هؤلاء، و(كلما كان العبد أعظم قياماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان أكثر خيرية)، و(أصل صلاح الدين والدنيا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بعد توفيق الله عز وجل، وأي معروف أكبر وأجل من توحيد الله تعالى، وأي منكر أشنع وأفظع من الشرك به.

فالقيام بذلك والرد على المخالف للتوحيد والسنة واجب عظيم وباب شريف ليبقى الإسلام

(١) انظر «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٦٠)، و«قواعد ابن تيمية في الرد على المخالفين» (ص ٤٠٨-٤١٠).

صافياً نقياً، ويتدفق إليه كل من أراد الله تعالى به خيراً، وتفتح أعين الكثير على الحق الصافي، وتتلاشى شبهات القوم الذين يصدون عن سبيل الله تعالى ودينه القويم وصراطه المستقيم.

*** وطرق الرد على المخالف كثيرة، ومنها:**

١- بيان الحق قبل عيب الباطل عند الدعوة، ولذلك قدم الله تعالى الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر، ولأن ذلك أدعى لقبول الحق.

٢- إزالة الشبهات ونقض الأصول التي بنى عليها المبطل باطله وعقيدته، فإذا تحقق ذلك سهل إدخال الحق عليه وبيان الصواب إليه كما تدل عليه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ... وهذا يحتاج إليه عند المناظرة والرد.

٣- البداءة بنقطة الاتفاق.

كما ذكر الله تعالى الربوبية واحتج بها على الألوهية لموافقة المشركين في الأول دون الثاني، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] الآية[(١)].

٤- البداءة بالأهم فالأهم.

فالتوحيد أهم شيء، ثم ما بعده كذلك ... كما دل عليه حديث معاذ عند أن بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال له: «ليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات ...» الحديث متفق عليه. والأدلة في ذلك كثيرة.

٥- لا يرد باطلٌ بباطل، ففي الحق غنية عن غيره، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢]، هذا منهج أهل السنة، بخلاف أهل البدع والإلحاد والكفر؛ فإنهم يسلكون الطريقة المنهي

---

(١) «تلبيس الجهمية» (٢/ ٧٩-٨١).

وانظر «الرد على المخالف» للسبت، و«فقه الحوار مع المخالف» للموصلي، وغيرها.

عنها وهي (رد الباطل بباطل) ....(١).

٦- مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وذلك يكون مبنياً على الإيمان بالله ورسله وعدم القدح في شيء من الكتب الإلهية أو الرسل ونحو ذلك، وأن يكون ذلك برفق ولين مع الحفاظ على الحق(٢).

٧- تحليل أصول الخصم وتفتيت أدلته المخالفة واستدلالاته الباطلة، وكشف مواطن ضعفها وتناقضها، وما فيها من الخلط وسوء الفهم ونحو ذلك. وتنظر: هل لكلامه أصل من الشرع؟ وهل يقره العقل؟ وما الحامل لهذا القول؟ وما الأصل الذي بُني عليه هذا الكلام؟ وهل لوازمه تخالف الشرع؟ وما المقصود من إيراده؟ ....(٣).

٨- منهج المقارنة وربط الموضوعات المتعددة ومعرفة أوجه الشَّبَه والخلاف بينها، لتظهر بذلك نتائج المقارنة، كالمقارنة بين عقائد الهندوس والنصرانية والصوفية، وينتج عن ذلك معرفة أن أصل ضلال النصارى والصوفية متابعة الهندوس ...

ونحو مقارنة الإسلام بالأديان الأخرى لإبراز عظمة الإسلام وكماله ... ومعرفة نقص الأديان الأخرى وبطلانها – ونحن في بحثنا هذا سنسلك هذا كثيراً – ...(٤).

---

(١) انظر «منهاج السنة» (١/ ١٤٨)، «الفتاوى» (١٢/ ١٤٤).

(٢) وانظر «الجواب الصحيح» (١/ ٦٦)، (٢/ ٤٣).

(٣) «منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى» (ص ١٤٣-١٤٤).

(٤)«الجواب الصحيح» (٢/ ٤)، (٤/ ١٠٤) «منهج أهل السنة...» (ص ١٤٠-١٤٢)، و (ص٣٩١).

٩- دقة النقل والترجمة.

وهذا من المهم بمكان، ولذلك قيل: (لا حجة في نقل إلا بعد إثبات صحته عن المنقول عنه)، ومن ذلك محاججة الديانات بإثبات كتبهم التي ينقلون منها، إذ لا برهان لهم على صحتها ولا إسناد ثابت(١).

١٠- اشتمال الرد على:

أ- الأدلة الشرعية.

ب- الأدلة العقلية الصحيحة.

جـ- الإلزامات.

د- إظهار عيب عقائدهم وضعف أدلتهم، ومناقضتها للشرع والعقل معاً.

هـ- إقامة الحجج عليهم من كتبهم من باب إلزام الخصم بما هو مقر به؛ لأجل أن يقر بلوازمه.

١١- ببيان محاسن الإسلام، كما سيأتي عند التعريف بالإسلام.

****

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ٥٠)، (١/ ٣٥)، (٢/ ٤٩)، «منهج أهل السنة» (ص ١٢٦، ١٠٧، ١١١).

* المسألة الثالثة: في أهمية معرفة علم الطوائف والملل ودراسته وفهمه:

دراسة هذا الباب ذو أهمية كبيرة، وفائدة غزيرة، لما فيه من الثمرات النافعة، والعوائد الجامعة، ومن ذلك:

١ - يُعتبر من العلم؛ لأن معرفة الشر من أعظم أسباب توقيه، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.. الحديث، متفق عليه.

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيهِ .... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيهِ

وأهل الباطل يجدون مرتعاً خصباً في أوساط من لا علم له بحقيقة باطلهم، ويبثون في أوساطهم الأفكار الدخيلة والعقائد الهزلية، وحينئذٍ نقول: (الجهل بحقائق الطوائف والملل فيه خدمة لأعداء الإسلام).

٢- الحفاظ على الحق وأهله بمعرفة الباطل وشبهه، وردها وبيان فاسدها بعلم ومعرفة، فإن ترك الشبه تصول وتجول يحصل من ورائه فساد عريض (ولكل قوم وارث)، وضرر السكوت عن الباطل عظيم، كما أن ضرر الرد بغير علم أو عدل يدانيه في الضرر، ولا يحفظ الحق بذلك.

٣- من فوائد دراسة الفرق والملل: دعوتهم إلى الحق بعلم بقواعدهم، فيسهل نقضها، كالسبورة إذا كُتب فيها كلام باطل فأولاً تقوم بمسحه ثم تكتب فيها الحق، فالداعي إلى الله تعالى بحاجة إلى نقض ما يتعلقون به من قواعد وأصول ثم إقناعهم بالحق والإسلام، وهذا كثير في كتاب الله تعالى كما ذكرناه في باب الربوبية.

٤- ومن الفوائد: بيان تناقض أصول هذه الطوائف ومخالفته للعقل والنقل مما يساعد على تركهم لها وعزوفهم عنها، وفي هذا تخفيف لشرهم وضررهم على الناس.

٥- السكوت والجهل بما عند الطوائف يؤدي إلى ارتفاع الباطل على الحق، وتوسع الباطل، وتضييق الحق حتى يصير صاحب الحق ذليلاً ويصير الباطل في يد كل لاقط.

٦- معرفة مزايا الحق وفضل الإسلام على غيره، مما يزيد المسلم قناعة عند أن يعلم ما عند المبطلين من فساد وجهل وتناقض وشر.

قال عمر رضي الله عنه: «إنما يسيء إلى الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

* تنبيه: دراسة الفرق والطوائف ليس من باب الشماتة ولا من باب الفضيحة، لأن هذه مقاصد مذمومة، ولكنه من باب بيان الحق من الباطل ودفع الشر وأهله، وحراسة الدين بالرد على المخالف، وهو من الجهاد الواجب والدفاع اللازم، وذلك من معاقد الإسلام ومزايا أهل السنة الكرام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان، وهم يسعون في الأرض فساداً، ويصدون عن سبيل الله تعالى[(١)] .

* المسألة الرابعة: في تعاريف ألفاظ (الفرق، الطوائف، الملل، النحل، الأديان، المذاهب).

١- الفِرَق.

جمع فرقة، وهي: الطائفة من الناس. (اللسان).

ويراد بهم: الطوائف المخالفة للحق المفارقة لأهل الحق الملازمون للبدعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والبدعة مقرونة بالفُرْقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدع والفرقة...»[(٢)].

٢- الطوائف.

جمع طائفة، وهي كالفرقة.

وقد تطلق ويُراد بها طوائف الكفر والإلحاد.

(١)«الفتاوى» (٢/ ١٣٢).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٤٢).

٣- الملل.

جمع ملة، وهي جملة الأصول والعقائد والشرائع المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام، فيقال: ملة إبراهيم، ملة موسى، ملة عيسى ... وقد تكون نسبتها صحيحة وقد لا تصح، كلٌّ بحسب إسنادها وأدلة ثبوتها ...(١).

٤ - الأديان.

جمع دين، وهو ما يَدين به العبد عقيدة وعبادة، فهو الشرع الذي جاءت به الرسل عليه السلام عن ربنا عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، فإن خالف ما جاءت به الرسل فهو دين باطل.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والدين هو الطاعة والعبادة والخُلق، فهو الطاعة الدائمة اللازمة التي صارت عادة وخُلقاً»(٢).

* والفرق بين الدين والملة:

قال الماوردي رحمه الله تعالى: «والفرق بين الملة والدين: أن الملة ما شرعه الله، والدين ما اعتقده الناس تقرباً إلى الله، فصار كل دين ملة، وليس كل ملة ديناً»(٣).

وفي الموسوعة: «الفرق بين الدين والملة: تطلق الملة على جملة أصول العقيدة، فلا يقال: الإيمان بالله ملة، مثلاً، ولكن يصح إطلاقه على آحاد الأصول، فيقال: الإيمان بالله دين، وكذلك على

---

(١) وانظر «الموسوعة الميسرة» (٢/ ص ١١٥٢)، «التعريفات الاعتقادية» (ص ٣١٠) وفيه نقولات مفيدة.

(٢) «جامع الرسائل» (١/ ٢١٨، ٢٢٣)، «الجواب الكافي» (١٤٦)، وانظر «الموسوعة» (٢/ ١٠٥٧)، «التعريفات الاعتقادية» (ص ١٧٣)، «مقدمة الموجز في الأديان» للعقل (ص ١١).

(٣) «تفسير الماوردي (٢/ ٢٣٩)، «التعريفات» (ص ٣١١).

الفروع فيقال: الصلاة دين»[١].

ويتفقان في عدم الاختلاف في الأصول والأركان ...

٥- **المذاهب.**

جمع مذهب، وهو مجموعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها إنسان ما أو طائفة حول قضية أو عدد من القضايا العلمية أو العملية أو السلوكية ...[٢].

وقال في التعريفات: «المذهب في الاتجاهات الفكرية: مجموعة مبادئ وآراء متصلة ومنسقة لفكر أو لمدرسة ...[٣].

* **والفرق بين الدين والمذهب:**

أن الدين أشمل وأوسع مفهوماً ومعنى، فهو يشمل الاعتقاد والعبادة ونظام الحياة، بخلاف المذهب؛ فإنه في بعض ذلك[٤].

٦- **النِّحَل.**

جمع نِحْلة، وهي المذاهب المتشعبة من كل دين بتعدد المجتهدين.

وقال الأحمد: «هي ما اخترعه قوم واتفقوا عليها من مبادئ من غير أن يكون عليها دليل نقلي...»[٥].

فهي بمعنى البدع في الأديان.

---

(١) (ص ١١٥٢).

(٢) «الموجز» (ص ١١)، «الموسوعة» (ص ١١٤٢).

(٣) (ص ٢٩٤-٢٩٥).

(٤) «الموجز» (ص ١٢).

(٥) «التعريفات» (ص ٣١٥).

* المسألة الخامسة: في أحوال الناس وعقائدهم جملة في عصرنا هذا وغيره.

الناس أقسام:

١) المسلمون الموحِّدون. وهم ثلاثة أنواع:

أ- **أهل استقامة وسنة**، وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، عدول هذه الأمة وشهودها، وهم المتمسكون بكتاب الرب الكريم سبحانه وبسنة نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم، وهم في أمة الإسلام كالإسلام بين الملل الأخرى.

وهؤلاء هم الذين يمثلون الإسلام الحق الصافي.

ب- **بقية المسلمين**، وهم نوعان:

١- **عصاة المسلمين** ممن لا ينتمون إلى بدعة.

٢- **أهل البدع والأهواء** كالمعتزلة والأشاعرة والصوفية والحزبية...

وهؤلاء هم سبب في تأخر كثير من الناس عن الدخول في الإسلام، وحالهم كما قيل: (لا للإسلام نصروا ولا للأعداء كسروا)، وهؤلاء لا يمثلون الإسلام.

جـ- **مدعو الإسلام**:

من فرق ملحدة ومشركة وكافرة، كالباطنية والجهمية والرافضة والنصيرية والقرامطة والعلمانيين والبعثيين والاشتراكيين وحركة تحرير المرأة والديمقراطيين، ومثل القاديانية والبابية والبلاليين وغلاة الصوفية والاتحادية والبهائية واليزيدية وعباد القبور .... وأمثال هذه.

وهؤلاء في الحقيقة ليسوا مسلمين، إنما هم منافقون يكيدون للإسلام وأهله من الداخل، ويمكرون بالإسلام باسم الإسلام، فحذار منهم حذار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٢) كفار أهل الكتاب.

وهم المنتمون إلى رسل أرسلها الله تعالى. وهم طائفتان:

أ- اليهود.

ب- النصارى.

أما الصائبة الموجودة اليوم فهم وثنيون كما قرره شيخ الإسلام وغيره(١).

٣) كفار وثنيون ومشركون.

وهم أصحاب الديانات الضالة المشركة، كالصابئة والهندوس والبوذية والسيخ والطاوية والجينية والشنتوية والكونفوشية والمهاريشية ... وأمثال هؤلاء ممن يعبد معبودات دون الله تعالى، ونحو المجوس الذين يعبدون النور ويزعمون أن للكون خالقين.

وهكذا الذين يعبدون الله تعالى ويعبدون غيره، مثل بعض فرق مدعي الإسلام السالفة الذكر وغيرهم.

٤) الملاحدة.

وهم الذين ينكرون وجود الله تعالى والأديان أو ينكرون عبادته سبحانه، أو يحاربون الدين بحجج مختلفة.

كالفلاسفة والاشتراكية والشيوعية والعلمانية والماسونية والوجودية والطبايعيين والأفلاطونية والفرويدية والوضيعة والنفعية والروحية الحديثة ... وأمثال هؤلاء.

وهناك من الجماعات السابقة من يجمع أكثر من اعتقاد أو عدة أفكار واتجاهات ...

---

(١) انظر «الموسوعة الميسرة» (ص ٧١٤).

* المسألة السادسة: في أسباب وجود الشرك والأفكار والأديان المنحرفة.

خلق الله تعالى آدم حنيفاً مسلماً، وأهبطه إلى الأرض وتبعته ذريته على الإسلام والتوحيد عشرة قرون، حتى كان أول الشرك في قوم نوح عليه السلام، وسبب الشرك فيهم أمور:

١ - **الجهل**، فالجهل أساس كل شر، ولذلك قال الله تعالى في الكفار والمشركين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس:٣٩]، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا يعلمون الحق فخاضوا في الباطل والشرك.

٢- **الغلو في الصالحين**، وكان أوله تصويرهم ثم إقامة العبادة عند صورهم، ثم عبادة صورهم وقبورهم بزعم أنهم يشفعون لمن عبدهم عند الله تعالى، وهذا منشأ الشرك في قوم نوح عليه السلام وغيرهم، ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح:٢٣] الآية.

ثم بعث الله تعالى نوحاً عليه السلام فدعاهم إلى التوحيد فحاربوه، وهموا برجمه وقتله، فدعا عليهم ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح:٢٦]، فغرقوا فلم يبق معه إلا أهل التوحيد ممن آمن به وركب معه السفينة، فلم يلبثوا بعد موت نوحٍ عليه السلام أن فشا فيهم الجهل شيئاً فشيئاً حتى استحكم فيهم وعادوا إلى الشرك الذي كان عند قوم نوحٍ وبنفس الصورة.

وزاد الأمر عند بعضهم حتى عبدوا الكواكب ظناً منهم أنها تشفع عند الله تعالى، أو أنها مصدر الخير كما تقول الفلاسفة، وكان ذلك في قوم إبراهيم عليه السلام كما ذكره الله تعالى في القرآن، ووُجد عند غيرهم الإلحاد كالنمرود بن كنعان الذي حاجَّه إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ووُجد من يعبد الحيوانات كعباد البقر وأمثالهم بحجج كسابقتها.

فصارت الأديان: الإسلام والمشركة والإلحاد، وهي الموجودة اليوم، فالإسلام هو دين الرسل عليهم السلام، والشرك دين عباد غير الله تعالى، والإلحاد مذهب منكروا الأديان ونحوهم ...

والسبب في وجود الإلحاد أمور:

١- الجهل، كما سبق.

٢- الأديان الضالة والمحرفة، فإن من نظر إليها وجد فيها التناقض والخرافات والمستحيلات التي يمجُّها العقل السليم وتتنكر لها الطباع ولا تصلح بها حياة، فلم يعد الدين – عند هؤلاء – يرشد إلى الحق في الاعتقاد وإلى الخير في السلوك والإنصاف في المعاملات، مما أدى إلى نفور الكثير وكراهيتهم للأديان، وذمها والتنفير عنها وابتداع الإلحاد.

ولذلك قلنا: (إن الفرق المبتدعة سبب لتأخر الكثير عن الإسلام)، كما ذُكر أن أحد ملوك البوذية نظر في الأديان فقال: إني وجدت الإسلام هو الحل الوحيد لصلاح العالم ولكن أهله مختلفون، فابقوا على دينكم. أو نحو هذا الكلام.

٣- الخواء الروحي الذي عاشه الإنسان بسبب تحريف الأديان السماوية السابقة (وهذا ناتج عن السابق).

٤- قلة الدعاة إلى التوحيد والإسلام الصافي النقي، فقد شُغل أكثر المسلمين بالملك والحروب بينهم وتقرير البدع من علماء البدع، وأهملوا الدعوة إلى الإسلام الصافي، فغزاهم الشرك والإلحاد إلى عقر دارهم، فليتق الله تعالى شعوب وحكام المسلمين، وليجددوا توبتهم ويجددوا نشاطهم في الدعوة إلى الإسلام، وبث الدعاة إلى جميع الدول، ودعم مشاريع الدعوة إلى الإسلام، وإنشاء الإذاعات والمحطات والقنوات والمواقع الإعلامية والجرائد والمجلات لنشر تعاليم الإسلام، وإنشاء مكتب في كل دولة تحته فروع كثيرة خاص بالدعاة إلى الإسلام وتعليم الداخلين في الإسلام ما يجب عليهم من أمور الدين، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وليعلم الحكام والدعاة وسائر المسلمين أن الدين لن ينتشر إلا بالصدق مع الله تعالى والتمسك بشرعه، فلا يغتروا بزخارف الباطل والبدع والحزبيات، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



الفصل الثاني

التعريف بالإسلام ومحاسنه

❊ المسألة الأولى: تعريف الإسلام.

الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وحينما تُطْلَق كلمة الإسلام فالمراد بها شريعة محمد ﷺ بما شملته من عقيدة وعبادات ومعاملات وما يتبع ذلك من تنظيم شؤون الحياة الروحية والمادية، الفردية والاجتماعية، الداخلية والخارجية ...(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «لفظ الإسلام يجمع معنيين:

أحدهما: الانقياد والاستسلام.

والثاني: إخلاص ذلك وإفراده وعنوانه قول (لا إله إلا الله).

وله معنيان: أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا الذي بعث به جميع الأنبياء كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة(٢).

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج...(٣).

---

(١) انظر «هذا هو الإسلام» (ص ٧).

(٢) انظر المسألة بتوسع في كتابنا (قواعد التوحيد/ القاعدة الثانية).

(٣) «الفتاوى» (٧/ ٦٣٤-٦٣٥/ ٣٧٧).

* المسألة الثانية: شمولية الإسلام.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فهو كامل من جميع نواحيه ولكل شيء في الدين والدنيا.

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، فكما أن رسالته عامة للجن والإنس ففيها كل ما يحتاجه الإنس والجن في دينهم ودنياهم.

وقال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]. وشرعه من رحمته، فقد شمل كل شيء.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] الآية. وهذا عام في جميع النزاعات والخلافات، ففي الشرع حكم فيه إما خاص وإما داخل تحت عموم حكم.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، الكتاب: القرآن والسنة ففيهما بيان لكل شيء يحتاجه الناس. والآيات في هذا كثيرة.

وروى أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»، قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء.

ومن حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت إلى الأحمر والأبيض» متفق عليه. وفي لفظ: «بعثت إلى الناس كافة».

فشريعته صالحة للناس كافة في كل زمان ومكان.

والأدلة من السنة كثيرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] الآية:

أخبر الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الدين، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

فالدين كافٍ فلا حاجة إلى بدعة ولا إلى دينٍ آخر.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «معلوم أن أمته ﷺ أكمل من طائفتي أهل الكتاب اليهود والنصارى وأعدل»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الشريعة – أي: الإسلامية – مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ...»(٢).

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «الشريعة لا تأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا تنهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة، وهذا الأصل شامل لجميع الشريعة ... ويستدل بهذا الأصل العظيم والقاعدة الشرعية على أن علوم الكون التي تسمى العصرية وأعمالها وأنواع المخترعات النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم أنها داخلة فيما أمر الله به ورسوله ومما يحبه الله ورسوله ومن نِعَم الله على العباد لما فيها من المنافع الضرورية والكمالية والصناعات كلها وأجناس المخترعات الحديثة تنطبق هذه القاعدة عليها أتم انطباق، فبعضها

(١) «الجواب الصحيح» (٤/ ١٠٤).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣/ ٣).

يدخل في الواجبات وبعضها في المستحبات وشيء منها في المباحات بحسب ما تثمره وينتج عنها من الأعمال والمصالح، كما أنها تدخل في الأصل الشرعي وهو: الوسائل لها أحكام المقاصد...»[(١)].

وقال العلامة عبد العزيز السلمان رحمه الله تعالى: «فقد اعترف المحققون المنصفون أن كل علم نافع ديني أو دنيوي أو سياسي فقد دل عليه القرآن دلالة لا شك فيها، فليس في شريعة الإسلام ما تحيله العقول وإنما فيه ما تشهد العقول السليمة الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه، وكذلك أوامره كلها عدل لا حيف فيها ولا ظلم ...»[(٢)].

* وبهذا تعلم أن الشريعة الإسلامية شملت:

١- حقوق الله تعالى وشرائعه.

٢- حقوق الرسل عليهم السلام.

٣- حقوق الملائكة.

٤- حقوق الإنس والجن.

٥- حقوق الخلائق كلها ...

وكل ذلك له أحكامه وضوابطه وبيانه، ولله الحمد والمنة!

فهذه هي الشريعة الكاملة الخالدة العظيمة.

* المسألة الثالثة: في بيان سماحة الإسلام وشيء من محاسنه وخصائصه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]، فهو دين كامل شامل.

---

(١) «القواعد والأصول الجامعة» (١، ٢).

(٢) «محاسن الإسلام» (ص ١١).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧] فهو دين الرحمة.

وقال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦]، فهو دين التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة:٢٥٧] أخرج الله تعالى به الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الكهان والعادات إلى سعة الإسلام، ومن ظلم الطبقات إلى كرامة التقوى، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣]، «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»(١)، «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم»(٢).

ومن محاسن الإسلام: الحث على التآخي والتعاون والتناصر على الحق، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢]، وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٣).

ومن محاسنه: أنه حرم الظلم والاعتداء والبغي وسائر الشرور والآثام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل:٩٠].

ومحاسن الإسلام كثيرة فيما يكون بين العبد وربه من التوحيد والإخلاص والخشية والمراقبة والأدب والمحبة ... لله تعالى، وإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العلا كما يحبه الرب سبحانه والشرع العظيم والعقل السليم، فليس في الإسلام عقائد محيرة ولا مستحيلة ولا متناقضة،

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه أحمد.

(٣) متفق عليه عن النعمان بن بشير.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢].

وكذلك محاسنه في التعامل مع الخلق، فهو يأمر بالرحمة والعدل والإحسان والكرم والجود والعطف والإنصاف وكف الأذى ومجانبة الظلم والبغي والعدوان ...

ومحاسنة شاملة للحيوان، فهو يأمر بإحسان استخدامها وحسن ذبحها وعدم إرهاقها وتجويعها أو تعذيبها ...

وتراجع هذه المسائل مع أدلتها في الكتب التي تتحدث عن محاسن الإسلام.

ومن تأمل محاسن الإسلام بعين الإنصاف ظهر له عظمته وحاجة البشرية إليه أشد من حاجتهم إلى الهواء.

* سماحة الإسلام:

السماحة: التيسير والسهولة واللين والعدل واحتمال الأذى.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، فالدين الإسلام كله يسر لا حرج فيه ولا تعنت.

وقال ﷺ: «إن الدين يسر»[(١)]، وقال: «بعثت بالحنيفية السمحة»[(٢)]، وقال: «إن الله بعثني معلماً ميسراً»[(٣)]، وقال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[(٤)]، وقال لمعاذ وأبي موسى: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد عن عائشة وجاء عن جابر وغيره، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

(٣) رواه مسلم عن جابر.

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه عن أبي موسى وأنس نحوه.

وقيل لرسول الله ﷺ: ادع الله على المشركين، فقال: «إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت رحمة»(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة:٢٨٦].

فرفع الإثم والحرج عن النائم والناسي والمخطئ والمجنون والصبي رحمة بهم ودلالة على سماحة الإسلام ...

* **وتأمل سماحة الإسلام ويسره في شرائعه وأحكامه:**

فالعبادات والأحكام مفروضة عند القدرة، أما عند العجز فلا تكليف مع العجز، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

فالطهارة شرط للصلاة، فإن عجز عنه تيمم أو متى لم تتيسر له استعمل الماء.

والصلاة في الحضر تامة، وفي السفر يقصر الرباعية تخفيفاً عن المسافر.

ويصلي المريض حسب قدرته، «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»(٢).

والصلاة للرجال في المسجد، فإن شق ذلك صلى حيث حضرته الصلاة، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

والزكاة ميسرة، فهي إخراج يسير من المال بعد بلوغه النصاب للفقراء والمساكين، ليعم الخير وتنتشر الألفة ويُدفع الفقر عن أهله قدر المستطاع ...

والصوم من الشرائع العظيمة والمحسان الجليلة، وهو ميسر، فهو صيام شهر واحد في السنة كلها، وإن شق عليه لمرض أو سفر جاز له الإفطار ثم يقضي، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤] ...

وهكذا السماحة في الحج، فهو واجب في العمر مرة واحدة، وإن زاد عليها فنافلة، ووجوبه إنما هو على القادر بنفسه وماله الآمن في سفره، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، فهذه سماحة الإسلام في الأركان الكبرى فيه، وهو في غيرها كذلك، والاسترسال في ذلك يطول.

*** وتأمل سماحة الإسلام مع غير أهله:**

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة:٨]، فمن لزم المسالمة مع المسلمين جاز الإحسان إليه وتأليفه ووجب العدل معه.

ومن ذلك الأمر بدعوتهم برفق: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فأمر بالرفق في جدالهم ودعوتهم، وألا يكرهوا على الدين الإسلامي، فالإكراه تنفر منه النفوس، ولكن تلزمهم الجزية مقابل حماية المسلمين لهم وتركهم في بلاد المسلمين.

ومن سماحة الإسلام عدم مؤاخذة من دخل في الإسلام بما كان منه قبل إسلامه، قال ﷺ:

«الإسلام يجب ما قبله»[(١)]، وقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

ومن ذلك منع الظلم عن غير المسلمين، فالإسلام لا يقر الظلم أبداً، بل أمر بالعدل مع الصديق والعدو في السلم والحرب، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة:٨]، لا يحملنكم بغض وعداوة قوم على ترك العدل معهم، بل لازموا العدل. وهذا باب واسع يطول تعداده[(٢)].

وهذه السماحة مع غير المسلمين لا تنافي البراء من الكفر وأهله، فإن من أشرك بالله تعالى وكفر به أو ألحد وجحد وجب البراء منه؛ لأن موالاته تعد إقرار له على باطله، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾ [محمد:١١].

فقد تبرأ الله تعالى منهم، وكذلك تبرأ منهم رسله عليهم السلام، ولا أعظم عدلاً من اتباع أمر الله تعالى فيهم، والله المستعان!

*المسألة الرابعة: الجهاد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمته فذلك حق، ولا يخرج عن سماحة الإسلام ويسره لأمور:

١- أن الحروب من طبع البشر، فلأن يكون لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه خير من القتال لأجل الملك كما هو شأن كثير من الأمم.

٢- أن الغاية من الجهاد ليست إكراه الناس على الإسلام ولا سفك الدماء، وإنما الغاية العظمى تطهير الأرض من أعداء الحق والدين، والصادين عن نشر الإسلام حتى يتم نشره

(١) رواه مسلم.

(٢) انظر كتاب «سماحة الإسلام مع غير المسلمين».

وتعبيد الناس لله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، والفتنة الشرك والظلم والفساد.

٣- من لم يصد عن سبيل الله تعالى لم يقاتل كما سبق، فلا يكره على الدين، بل إن قَبِل الإسلام فاز وأفلح، وإن أبى وكان يهودياً أو نصرانياً أو من غيرهما دفع الجزية، وإن صالح المسلمين على أمر فذاك، وإلا قوتل أو يرحل إلى غير بلاد المسلمين أو يسلم لله رب العالمين.

٤- أن الجهاد فيه من الأجر والثواب واصطفاء الشهداء ما لا يحد وصفه...

٥- الإسلام انتشر في أكثر الأرض بالدعوة، فهذه شرق آسيا وأوروبا وشرق أفريقيا دخلت بدون حرب لقوة حجة الإسلام، فكان الجهاد وسيلة لكسر الطغاة وفتح المجال للأمم في الدخول في الإسلام.

* المسألة الخامسة: في بعض خصائص الإسلام

ولكثرتها فإننا نسردها مختصرة:

١- أنه دين الفطرة، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠].

٢- أنه لا يخالف العقل السليم، بل العقل يقر بصحة الإسلام، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩﴾ [الرعد:١٩]. ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام:١١١].

٣- أنه دعا إلى العلم وذم الجهل والتقليد، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

٤- مراعاة العواطف والغرائز ونحوها وتوجيها إلى ما ينفع ولا يضر.

٥- الأمر بكل خير والنهي عن كل ضير.

٦- أنه دين العزة والسعادة الأبدية، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨].

٧- أن فيه حل لجميع قضايا الخلق كما سبق أنه شمولي.

٨- أنه أحكم وأصلح ما تساس به الأمم.

٩- أنه اشتمل على العدل والفضل.

١٠- أنه ناسخ لجميع الأديان السابقة.

١١- أنه دين لجميع الناس، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨].

١٢- أنه صالح لجميع الأزمان والأماكن، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

١٣- الإسلام أبعد ما يكون عن التناقض، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

١٤- فيه رفع الحرج والآصار التي كانت على الأمم السابقة ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

١٥- أنه محفوظ عن التبديل والتحريف، ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩].

١٦- سعة سماحة الإسلام وكثرة محاسنه بما لا نظير له قبله.

١٧- أنه جمع بين السماحة والحزم وبين اللين في محله والشدة في محلها.

١٨- أنه أوسع الأديان انتشاراً.

١٩- قلة الخارجين منه، بل ندرة ذلك.

٢٠- أنه جمع بين ما يتعلق بالدين والروح وبين أمور المادة والسياسة.

٢١- يدعو إلى الحضارة والتقدم في الصناعات والعمران في حدود النافع ...

٢٢- اشتماله على الإيمان بجميع الرسل والكتب الربانية.

٢٣- علاج جميع أمراض الحضارة العصرية وغيرها هو الإسلام.

٢٤- لا يوجد دين شمل حقوق الخالق، وحقوق الجن، والإنس، والحيوان، ... على الوجه

التام كالإسلام.

٢٥- تأثيره على القلوب والعقول بما لا نظير له

وانظر أوسع من هذا في مراجعه(١).

* المسألة السادسة: لا يقبل الله تعالى ديناً غير الإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥]، سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو ملحداً فهذه كلها لا يقبل الله تعالى منها شيئاً بعد بعثة رسولنا ﷺ، هذا حكم الله تعالى وهو العليم الحكيم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فإن قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ صيغة عامة، وصيغة (مَن) الشرطية من أبلغ صيغ العموم ... ثم إن سياق الكلام يدل على أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم، فإن هذا في سورة آل عمران في أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته للنصارى فإنها نزلت لما قدم على النبي ﷺ وفد نجران النصارى ...»(٢).

وقال الشيخ الفوزان غفر الله تعالى له: «هذا الباب فيه بيان أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقبل الله من أحد سواه ... وهو ما جاء به محمد ﷺ»(٣).

(١) تهذيب كتاب «الإسلام والرسول» (ص ١٧٧-١٨٠)، «الطريق إلى الإسلام» (٣٠-٤٠)، «هذا هو الإسلام» (ص ١٣١-١٥٠)، «خصائص الإسلام» لأبي الوفاء الدرويش، «خصائص الشريعة الإسلامية» للأشقر، وغيرها.

(٢) «الجواب الصحيح» (١/ ٢٢١-٢٢٢)، وانظر «الفتاوى» (١٠/ ١٥).

(٣) «شرح فضل الإسلام» (ص ٤٢).

وقال[(١)] : «فدل على أن الذين لا يتبعون محمداً ﷺ لا يفلحون أبداً وأنهم خاسرون».

وسيأتي مزيد إيضاح في المسألة الآتية.

* المسألة السابعة: نسخ جميع الشرائع بالإسلام.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥] الآية. وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]، وظهوره على جميع الأديان يدل على نسخ ما قبله منها.

وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] الآيات. وهي صريحة في نسخ شريعة التوراة والإنجيل.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يسمع أحدٌ يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا دخل النار».

والأدلة السابقة في مسألة شمولية الإسلام دالة على هذه المسألة، كما أن أدلة هذه المسألة ومسألة الشمولية أدلة على ختم النبوة، وأدلة ختم النبوة دلالة أيضاً على المسألتين، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

فلما كان محمد ﷺ خاتم النبيين ولم يكن بعده رسول ولا نبي؛ كانت رسالته ودينه هي الخاتمة، وكتابه المنزل عليه وهو القرآن هو خاتم كتب الله عز وجل، ولهذا جاءت رسالته شاملة كاملة عامة للجن والإنس والعرب وغير العرب، وصالحة لكل زمان ومكان ولكل أمة وكل حال، ولا يقبل الله تعالى من أحدٍ ديناً سوى ما جاء به محمد ﷺ.

---

(١) (ص ٤٧)

ولما لم يكن بعده نبي فإن الله تعالى يبعث لهذا الدين من يجدد معالمه، ويكون سبباً لظهوره وعلوه ونصرته حتى تقوم الساعة، ولأجل أن يدوم حفظه الله تعالى من التحريف والتبديل، فلله الحمد والمنة!

*المسألة الثامنة: في بيان الحكمة من نسخ الشرائع السابقة

من حكمة الله تعالى العظيمة أن شرع الشرائع لكل أمة ولكل زمان بما يناسبه، ولكل قوم بما ينفعهم ويتلاءم معهم، فكان ذلك من رحمة الله تعالى بعباده، بل جعل رسول كل أمة منهم وبلسانهم ...

فإذا انقضى الزمان الذي شاء الله تعالى لتلك الأمة أو تغيرت الأمور أو الناس - وكل شيء بقدر - اقتضت حكمة الله تعالى نسخ تلك الشريعة بشريعة أخرى تتناسب مع المستجدات لدى الأمم كما نسخت شريعة يعقوب بشريعة موسى ونسخت بعض شريعة موسى بشريعة عيسى، وهكذا، ثم نُسخ جميعها بشريعة محمد ﷺ وذلك كله كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة:١٠٦]، فكان الانتقال من خير إلى أخير (حكمة بالغة)، فسبحان الله العظيم!

فالشرائع الإلهية التي شرعت قبل الإسلام لم يشرعها الله تعالى لتكون منهاجاً للناس كافة وأمم الأرض قاطبة، بل كانت لأجيال خاصة وأمم معينة، وهو سبحانه قد قدر أنه سينسخها بشريعة أخرى إذا بلغ الكتاب أجله كما هو شأن شريعتي موسى وعيسى عليهما السلام.

أما الشريعة الإسلامية فهي الشريعة التي أنزلها الله تعالى للناس كافة وللأمم جميعاً، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فتكفل سبحانه بحفظ هذه الشريعة الخالدة ليدوم صلاحها حتى قيام

الساعة، وهذا يقرره الشرع والعقل والواقع(١).

* المسألة التاسعة: العاقبة للإسلام وأهله.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٢-٣٣]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح:٢٨]، فدين الإسلام هو الظاهر بالحجة والبيان والقوة والسَّنان على مر الزمان وعلى جميع الأديان.

وما من أمة ولا قوم ولا أهل دين حاربوا الإسلام إلا غُلبوا وهُزموا، ولا تكون الغلبة لغير المسلمين إلا قليلاً أو عند حصول مخالفة المسلمين لدينهم كما قرره شيخ الإسلام وابن القيم بعده(٢).

وسبحان الله العظيم!

كم حاول أعداءُ الإسلام هدم الدين واجتثاثه، ولكن أبى الله سبحانه إلا أن يولوا الأدبار، معترفين بالعجز والخوار، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصف:٨]، وقال: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

(١) راجع «الجواب الصحيح» (١/ ١٢-١٣)، «خصائص الإسلام» (ص ٥٥)، «الطريق إلى الإسلام» (ص ٧)، «المستقبل للإسلام» (ص ٧٢-٧٥)، «خصائص الشريعة الإسلامية» (ص ٢٠).

(٢) راجع «الاستقامة» (١/ ٧٣٣)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٥٨)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٨).

وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...» الحديث إلى آخره.

وهذه بشرى حق، ولكن على المسلمين أن يراجعوا دينهم بصدق، فإننا قومٌ أعزنا الله تعالى بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله تعالى(١).

* المسألة العاشرة: شهادة أعداء الإسلام للإسلام بأنه الحق.

وهذا نذكره للاعتضاد لا للاعتماد، وكما يقال: والحق ما شهدت به الأعداء.

وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فاستدل بما هو موجود في كتبهم إفحاماً لهم، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، ويتضح الحق لمن أراده أكثر ...

وفي الصحيحين من حديث أبي سفيان رضي الله عنه في قصة هرقل المشهورة، وفيها أنه شهد لنبينا ﷺ بالنبوة وبلوغ دينه إلى ملك قيصر.

قال شارل الفرنسي: «لو وجد لدين الإسلام المبلغين المقتدرين على التفاهم مع علماء النصارى في هذه الأزمنة التي تنتشر فيها مذاهب الضلالة المتفرقة وتنتصر لأسلم الناس جميعاً»(٢).

وقال برناردشو: «إن الرجل العالم يميل بطبعه إلى الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذي ينظر إلى أمور الدنيا والآخرة سواء».

---

(١) راجع المسألة بتوسع في كتاب «المستقبل للإسلام» لسليم الهلالي.

(٢) حسبنا الله ونعم الوكيل! لقد غفل المسلمون عن الدعوة إلى الإسلام، فماذا سيقولون يوم العرض على الله، (شغلتنا أموالنا وأهلونا)، شغلتهم السياسة والحزبية.

وقال بيرك الإنجليزي: «إن دين الإسلام هو أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ البشري».

وكثير من كبار وعلماء ومفكرين وخبراء ... أسلموا لما درسوا الإسلام(١).

* المسألة الحاديةَ عشر: طريقة التعرُّف على الإسلام والسنة.

١- التفكر والتدبر في تعاليم هذا الدين وما جاء به من أحكام ومعاملات، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤]، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وهذه الوقفة من أهم ما يعين على الاقتناع بالإسلام لكماله وسلامته من التناقض، ففيه ما يدهش العقول ويجذب الألباب.

٢- قراءة الكتب المترجمة والنشرات ومتابعة المواقع (الانترنت) المتخصصة للتعريف بالإسلام ... ونقول: إذا أردتم معرفة حقيقة الإسلام فاقرءوا في كتب ومواقع المستقيمين على الإسلام أهل السنة والجماعة، وإياكم وكتب ومواقع مبتدعة المسلمين وفساقهم فإنهم لا يمثلون الإسلام.

٣- الاتصال بمراكز ومكاتب الجاليات ومحاورتهم وسؤالهم وطلب الكتب منهم ونحو ذلك، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

---

(١) انظر «تهذيب كتاب الإسلام والرسول» (ص ١٨١-٢٩٠)، «الطريق إلى الإسلام» (ص ٣٦-٣٧)، (١٠٠ قصة من ظلمات النصرانية إلى نور الإسلام» وغيرها.

٤- المقارنة بين الإسلام وبين غيره من الأديان المحرفة أو الوثنية أو الإلحادية من حيث الاعتقاد، ومن حيث العبادات، ومن حيث تنظيم شؤون الحياة، ومن حيث الاهتمام بأمور الآخرة ...

فالإسلام ليس له نظير؛ لأنه تنزيل الرب العليم الحكيم.

* المسألة الثانيةَ عشر: واجبنا تجاه حديثي العهد بالإسلام.

والمراد بحديثي العهد بالإسلام: هم الذين أسلموا قريباً فلم يمض على إسلامهم إلا زمن قصير، فلم يعرفوا تعاليم الإسلام كما ينبغي.

وواجبنا نحوهم:

١- تعليمهم فضل النطق بالشهادة، وشرح معناها له: أنه لا يعبد بالحق إلا الله تعالى، وأن عبادة غيره باطل، وأن دين الإسلام خاتم الأديان ورسول الله ﷺ خاتم الرسل. والبراءة من كل معبود سوى الله تعالى ومن أهله.

٢- تعليمه أركان الإيمان بمعانيها، ومنها الإيمان بجميع الرسل والملائكة والكتب والبعث والجنة والنار، وأن كل شيء بقدر.

٣- تعليمه الغُسل والوضوء – عملياً – وأنه شرط في الصلاة.

٤- تعليمه الصلاة وأركانها – عملياً – حتى يحفظها، مع بيان أنها ركن في الإسلام مع الدعاء المأثور، لحديث أبي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَسْلَمَ الرَّجُلُ كَانَ أَوَّلُ مَا يُعَلِّمُنَا الصَّلَاةَ أَوْ قَالَ: عَلَّمَهُ الصَّلَاةَ ".

وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللهِّ –صلى الله عليه وسلميُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ يَقُولُ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي». رواه مسلم.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ، قَالَ: مَا أَقُولُ؟، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي» فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ...[فلمَّا أسْلَمَ] قالَ: فَمَا أَقُولُ الْآنَ حِينَ أَسْلَمْتُ؟، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ، وَمَا عَمَدْتُ، وَمَا جَهِلْتُ». رواه ابن حبان.

٥- ويعلم الزكاة والصيام والحج حسب الحاجة.

٦- متابعته قدر الإمكان وتشجيعه والوقوف إلى جانبه، وتزويده بالكتب والأشرطة والمواقع وغيرها مما يحتاج إليه، وتعريفه بمحاسن الإسلام ومزاياه...

٧- استعراض الشبه التي عنده أو التي تلقى عليه وإزالتها وحثه على الثبات. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنْ الْكُهَّانِ فَقَالَ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا مِنْ الْجِنِّيِّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ. متفق عليه.

٨- الحرص على تعليمه اللغة العربية ومبادئ الإسلام وربطه بالمواقع والإذاعات التي تتكلم باللغة العربية ليزداد معرفة للإسلام.

٩- إعلامه وتعريفه بالدعاة ومكاتب الجاليات والأخيار من المسلمين ليستأنس بهم.

١٠- دعمه بالمال قدر الإمكان والدعاء له بظهر الغيب، والله المستعان(١).

(١) وانظر كتاب «حديثو العهد بالإسلام، مسائل ومشاكل».

الفصل الثالث

التعريف بالأديان والملل الأخرى

* المسألة الأولى: حال الناس قبل الإسلام.

كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالات عمياء قبل الإسلام إلا غبرات من أهل الكتاب.

أما العرب: فكانوا متفرقين، مختلفين متناحرين، يأكل قويُّهم ضعيفَهم، ويستطيل غنيُّهم على فقيرهم، ولم يكونوا يعرفون شيئاً من العلوم الشرعية، ولا العلاقات الدولية، ولا نظام الحياة الاجتماعية، فعبدوا الحجر والشجر، والشمس والقمر، وشربوا الخمر، وكثر فيهم الفجور، فكانوا كما وصفهم الرب جل في علاه: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]...

وأما اليهود: وهم الأمة التي عرفت بقتل الأنبياء وكفروا بالمسيح عليه السلام، فكانوا مع كفرهم أهل كذب وخيانة، وبغي وجناية، فهم أخبث الأمم طوية وأرداهم سجية، ومع هذا فكانوا في حياة ضنكة، ومعيشة مختنقة، مشردون مطاردون، وكانوا يعبدون القبور، وعزيراً، ويصفون الله تعالى بالنقائص والعيوب، فمقتهم الله تعالى وغضب عليهم ولعنهم.

وأما الروم: فكانت تدين بالمسيحية التي حرفوا تعاليمها، وكذبوا على نبيها، فصاروا عن معالجة قضاياهم عاجزين، وفي حضارتهم متأخرين، وقد غرقوا في دينهم بالوثنية القبورية، وبالصليبية المشركة، وبالتثليث الأسطوري، فأصبحت النصرانية مزيجاً من الخرافات الهندية

والفلسفة اليونانية والوثنية الرومية، إلى جانب الانحلال الخُلقي، والإباحية المتدنية، والكهنوت المظلم، والاختلاف المؤلم، فضلوا وأضلوا ...

وأما الفرس: عباد النار، ورواد الإباحة والعار، وزعماء الإلحاد، ورؤساء الظلم والاستبداد، فلا محرم لديهم ولا معروف فيهم، إلا ما رغبت فيه شهواتهم، وأملته عليهم أهواؤهم، وكانت رعاياهم خدم لملوكهم، مظلمون لا يقولون ولا يسمع منهم، ...

وأما الهند والشرق: فكانوا أسوأ حظاً، وأردى حالاً، وأخبث معتقداً، فقد عبدوا الحيوان والإنسان والجان، وكل ما كان، حتى عبدوا الفروج والقرود والحيات والعراة والفأر.

وفشا فيهم نظام الطبقات، وظلم البراهمة والملوك والسلطات، وكانوا أتعس الخلق ديناً ودنيا...

ولابن القيم كلام جميل، قال رحمه الله تعالى: «ولما بعث الله محمداً ﷺ كان أهل الأرض صنفين: أهل كتاب، وزنادقة لا كتاب لهم ...

- إلى أن قال في أهل الكتاب -: فدينهم شرب الخمور، وأكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة، والحلال ما حلله القسيس، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر الذنوب وينجيهم من عذاب السعير.

فصل: فهذا حال من له كتاب.

وأما من لا كتاب له: فهو بين عابد أوثان، وعابد نيران، وعابد شيطان، وصابئ حيران، يجمعهم الشرك وتكذيب الرسل وتعطيل الشرائع وإنكارُ المعاد وحشر الأجساد، لا يدينون للخالق بدين، ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحدونه مع الموحدين.

وأمة المجوس منهم، تستفرش الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات، دينهم الزَّمْر، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمر، ومعبودهم النار، ووليهم الشيطان، فهم أخبث بني

آدم نحلة، وأرداهم مذهباً، وأسوؤهم اعتقاداً.

وأما زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة فلا يؤمنون بالله ولا بملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه، ولا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ...

وبالجملة: فدين الحنيفية هو الدين الذي لا دين لله تعالى غيره بين هذه الأديان الباطلة ... وقد نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فأطْلَعَ الله شمس الرسالة في حنادس تلك الظُّلَم سراجاً منيراً، وأنعم بها على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكوراً، فلله الحمد والمنة الذي أنقذنا بمحمد ﷺ من تلك الظلمات، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [آل عمران:١٦٤] الآية ...»(١).

* المسألة الثانية: النصرانية وطوائفها.

* تعريفها:

النصرانية: دين النصارى بعد تحريف الإنجيل.

والنصارى: هم أتباع المسيح عليه السلام.

وأصل دينهم صحيح، وهو ما جاء به عيسى عليه السلام، ثم وقع التحريف بعد ذلك، ووردت تسميتهم في القرآن (نصارى) (أهل الكتاب).

وأنكر بعض العلماء وصفهم (بالمسيحيين) لأنه لم يرد، ولمخالفتهم للمسيح عليه السلام.

وعلى كُلٍّ، العبرة بالحقائق والمعاني لا بالأسماء.

وأجمع المسلمون على كفرهم كما كفرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) «هداية الحيارى» (١٤ – ٢٠) ط الفوائد. وانظر «تهذيب كتاب الإسلام ومحمد» (ص ٤٧–٥٤)، وكتاب «الألوهية في العقائد الشعبية» وغيرها.

* مؤسسها:

أصل تأسيسها على يد المسيح عليه السلام كما سبق.

أما المؤسس لهذه النصرانية المحرفة المشركة فهو بولس اليهودي (ت ٦٥م) وأخبار بولس موجودة في كتاب «سفر أعمال الرسل» وغيره، وكان من علماء اليهود وأكابر أعداء الحواريين، فعمل عمله في تحريف دين المسيح، أدخل فيه إباحة الخمر ولحم الخنزير وترك الختان .. بدعوى تأليف الناس على الدخول في دينهم، ثم أعلن نسخ أحكام التوراة، ثم أدخل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء وألوهة المسيح ...

وانتشرت عقيدة بولس في زمن قسطنطين (٣١٢م) وكان ملكاً واتسع الخرق على الراقع ...

* مكانها:

تتواجد النصرانية في أوروبا وأمريكا وروسيا ، حيث تعتبر الدين السائد فيها، وتتواجد أيضاً في أفريقيا بقلة وأقليات في مصر وتركيا وفي الشام وآسيا ...

* لغتها:

أصل لغتهم: السريانية، ثم كثرت اللغات وأشهرها اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والروسية ... وغيرها.

* عددها:

هم من أكثر الأمم عدداً، حيث يزيد عددهم على مليار ونصف، وقد قال ﷺ: «تقوم الساعة والروم أكثر الأرض»، رواه مسلم.

* نشاطها:

نشط النصارى مؤخراً في الدعوة إلى النصرانية بين المسلمين والوثنيين والملحدين، وأنشأوا لذلك المؤسسات الكبيرة والجمعيات الكثيرة.

كما نشطوا ميدانياً لمحاربة المسلمين، ولحق المسلمين منهم عناء كبير وافتراق شهير.

ولهم مؤامرات تفوق الحصر في المكر بالإسلام وأهله، ولكن ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم:٤]، وسيأتي بيانه أكثر.

* فرقها:

فرقها كثيرة، فقد قال ﷺ: «افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة»، رواه أبو داود من حديث أبي هريرة ومعاوية رضي الله عنهما.

ومن فرقهم:

١- الموحدون، وهم أتباع آريوس (ت بعد ٣٣٥م) الذي كان يقول: إن الأب وحده هو الله، والابن مخلوق له، إلا أن الله تعالى منحه مجداً فوق كل الخلائق.

٢- الوحدوية. وهؤلاء طوائف:

أ- السابليون: نسبة إلى سابليوس (ت ٢٦١م) ويعتقد أن الله تجسد في المسيح، ثم لما صُلِب انتقل إلى روح القدس الذي صار مرشداً للتلاميذ، فعنده أن الله تعالى واحد أخذ هذه الأدوار.

ب- أتباع بولس السميساطي أسقف أنطاكية (ت بعد ٢٦٠م) الذي كان يقول: إن الله واحد، وأن كلمته من صفاته حلت في المسيح، فصار الفادي المخلص ورفعه الله مكافأة له.

٣- النسطورية، وهم أتباع نسطور بطريرك الإسكندرية (ت بعد ٤٣١م) الذي قال بأن مريم ولدت إنساناً ولم تلد إلهاً، إلا أنه قال بحلول الله تعالى في المسيح (وهو القول بالطبيعتين)[١].

٤- اليعاقبة، وهم أتباع يعقوب الرسول حسب زعمهم، ويقولون بأن للمسيح طبيعة واحدة (وهو القول بالاتحاد) بمعنى: أن اللاهوت (الله) اتحد بالناسوت (عيسى).

---

(١) انظر «الملل» (ص ٢٢٥) ففيه تفصيل زائد.

٥- المارسيونية: أتباع مارسيون الآسوي المولود (٨٥م) أو (١٢٠م) وأمثاله الذين يعتقدون بإلهين: إله اليهود، وهو قاسٍ شرس، وهو خالق هذا العالم المادي، وإله الرحمة وهو الإله الحقيقي المحتجب والذي ظهر في شخص المسيح ...

٦- البنويون: وهم القائلون بأن المسيح إنسان عاش كذلك حتى مات مصلوباً وقام من الموت ورفع إلى السماء وسيعود إلى الأرض ... إلا أنهم قالوا: إن الله عز وجل وقت تعميد المسيح تبناه ووهبه قوة لعمل المعجزات. (المراد تبناه بنور رحمة وعطف لا ولادة).

٧- البولسية، أتباع بولس (ت ٦٥)، وهؤلاء كانوا أكثر انتشاراً وأقوى تمكناً من غيرهم، حتى ظهر مذهبهم كما سبق على أيدي ملوك دولة الرومان، ويقولون بالتثليث والصلب والفداء ... ومنهم استقت الطوائف الكبرى عقيدتها وهي: الكاثلوكية، والبروتستانت، والأرثوذكس، وقد دامت هذه الطوائف مجتمعة مختلفة ثم انفصلت بعد ذلك كما سيأتي توضيحه.

٨- الأرثوذكس: وهم أتباع الكنيسة (الأرثوذكس) الكبرى التي في القسطنطينية، وهي من أقدم الكنائس الشرقية ثم انفصلت عن (الكاثوليكية) عام (١٠٥٤م) وتمثلت في عدة كنائس لا تعترف بسيادة (روما) عليها.

ويعتقدون: أن الله تعالى ثالث ثلاثة، وأن الله تعالى أفضل من الابن وروح القدس، وأنهما انبثقا منه، وأن المسيح إله ...

والعرب (المصريون والحبشة ونحوهم) يقولون: للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة[١].

واليونان والأوربيون يقولون: له طبيعتان ومشيئتان.

---

(١) كما تقول اليعقوبية.

* أماكنها:

تتواجد في شمال وغرب آسيا وشرق أوروبا وروسيا وأورشليم وتركيا واليونان وجزر البحر الأبيض والمجر والبلقان والأرمن وسوريا ...

* مؤسسها:

يدعون أن مؤسس الكنائس المصرية (مرقس الرسول) عام (٤٥م)، وأما كنائس اليونان فيظهر أن مرجع تأسيسها إلى عهد بولس.

* لغتها:

كما سبق في النصرانية، ولهم لغة قبطية في مصر قد اندرس كثير منها.

* فرقها:

القبطية، (وهم المصريون وأتباعهم)، والرومية اليونانية. وكان بينهم عداوة ضارية سابقاً، ثم حصل تقارب مؤخراً.

* نشاطها:

لهم نشاط ملموس في مصر وأوروبا ومشاركة في التنصير.

٩- الكاثوليك: أكبر الكنائس النصرانية وأشدها انحرافاً، ومركزها روما، وتتبعها كنائس كثيرة تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعها عقيدتهم أن الإله واحد مثلث الأقانيم، وأن الابن مساوٍ لله تعالى في خصائصه اللاهوتيه ودونه في ناسوته، وروح القدس منبثق عنهما، ويقولون بأن المسيح له طبيعتان وأن الله تجسد فيه ...

* مؤسسها: بطرس الرسول (ت ٦٢م) مع بولس (ت ٦٥م).

* أماكنها:

تتواجد في إيطاليا وأوروبا وأمريكا وألمانيا وجنوب شرق آسيا وأفريقية والمجر والفلبين... وغيرها.

* لغتها:

لها لغات عدة إلى جانب السريانية كما سبق.

* فرقها:

الكاثوليك القدماء، والكاثوليك أتباع بطرس، والفرق بينهما أن الكنيسة قررت عصمة البابا، فانفصلت منها طائفة لا تقر ذلك وتسموا بالقدماء، وظهرت مؤخراً: الكنيسة الماسونية برئاسة بطرس السادس عميل اليهود منذ (١٩٦٤م) ومنهم المارونية والجزويت والأبوس.

* نشاطها:

تعتبر من أنشط كفرة النصارى في التنصير ونشر الفتن والفساد، لا سيما في عهد الباب يوحنا الثاني (ت ٢٠٠٥م) لا رحمه الله تعالى.

١٠- البروتستانت: إحدى الكنائس الكبرى التي حدثت مؤخراً منفصلة عن الكاثوليك لمخالفتهم للإنجيل والعقل، ويعتقدون أن فهم الإنجيل ليس محصوراً على البابوات والقساوسة ونحوهم، بل لكل قادر الحق في فهمه، وتتبعها كنائس كثيرة.

وتجمعهم الإيمان بالكتاب المقدس بعهديه دون قرارات مجاميع النصارى، ولا يقرون بعصمة البابوات وصكوك الغفران ... وينكرون مرتبة الكهنوت ويقولون: كل النصارى كهنة، وليس هناك وسيط بين الله تعالى وبين خلقه سوى شخص المسيح ...

ويوافق الكاثوليك في العقائد السابقة.

* مؤسسها:

مارتن لوثر الألماني (ت ١٥٤٦) في القرن (١٦م) في ألمانيا، وكان سبب انفصاله أنه حج إلى روما (١٥١٠م)، فلما وصل أدهشه ما رأى من دعاوى الغفران وصكوكها وامتلاك سر التوبة، وتفشِّي الفساد والانحلال عند رجال الكنيسة، فرجع منكراً لذلك حتى انفصل وأسس البروتستانت وساعده زوينجلي (ت ١٥٣١) ثم تتابع رجالهم حتى انتشرت.

* أماكنها:

سويسرا وألمانيا وسائر أوروبا وأمريكا وفرنسا والدنمارك والنرويج والسويد ... وغيرها.

* فرقها:

البروتستانت أتباع لوثر، والكنيسة القديمة، الكنائس المعمدانية، المصلحة، والكنائس الأسقفية، الصهيونية المسيحية.

* لغتها:

كما سبق في الكاثوليك.

* نشاطها:

له نشاط كبير في التنصير، بل وفي الدعوات الهدامة كالقومية والماسونية والصهيونية ...

١١- الملكانية: ظهرت بأرض الروم يقولون: اتحد كلمة الله بجسد المسيح وتدرعت بناسوته فصار ابناً حينئذٍ، وقال بعضهم: إن الكلمة امتزجت بجسد المسيح كما يمازج الماء اللبن، والمسيح قديم أزلي ...

١٢- النسطورية المتأخرة: وهم غير من سبق ذكرهم، هؤلاء ظهروا في عهد المأمون العباسي وقالوا: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي الذات، واتحدت الكلمة بجسد المسيح لا على طريق الامتزاج كما تقول الملكانية، ولا على طريق الظهور كما تقول اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كورة على بلورة ...

وهذا إثبات خواص مختلفة لشيء واحد.

١٣- المارونية، وهي طائفة من الكاثوليك قالوا: للمسيح طبيعتان ومشيئة واحدة، وقد كفرهم جمهور النصارى عام (٦٨٠م)، ومركزهم لبنان، ومؤسسها مارون اللبناني (٤١٠م).

١٤- الجزويت: طائفة من الكاثوليك يسوعية، نشأت على يد (أنياس الفرنسي) في القرون الوسطى، وحملت على عاتكها محاربة المسلمين، وأسهمت في القضاء على الأندلس، وهم ينتشرون مع الجمعيات المدعية للإنسانية كالإغاثة ونحوها، ولها انتشار في أوروبا وأفريقيا وغيرهما.

١٥- المورمون: طائفة نصرانية نشأت في القرن (١٩م) على يد يوسف سميث الذي ادعى النبوة وحرية العبادة وعودة دولة صهيون، وهم يقولون بالتثليث والتمثيل، وأن الإنسان بإمكانه التطور إلى نبي أو إله، وتغشاهم أفكار وعقائد يهودية وكأنهم منهم في الحقيقة، تنتشر في أمريكا وأوروبا.

١٦- شهود يهوه: يدعون المسيحية ويسمون أنفسهم (جمعية العالم الجديد) وهم في الحقيقة ذنب لليهود ويعتقدون أن (يهوه) إلهاً، وأن المسيح رئيس مملكة الله تعالى، وينكرون الحساب والجنة والنار، ويقولون بالتثليث (يهوه – الابن – روح القدس).

ويكثرون في أمريكا وأوروبا، تأسست في القرن (١٩م).

١٧- الأبوس ديي: منظمة نصرانية تدعو إلى العودة إلى الإنجيل، وتسمى (منظمة العمل الإلهي) تتبع الكاثوليك. أسسها خوسيه ماريا في أسبانيا (١٩٢٨م).

١٨- المونية: حركة مشبوهة تدعو إلى وحدة الأديان، أسسها (صن مول الكوري) عام (١٩٣٦هم)، وانتشرت في أمريكا وأوروبا وكوريا وإيرلندا وغيرها، ويزعم أن شريعته نسخت المسيحية وسائر الأديان، وهم أشبه باتباع اليهود.

١٩- حركة التنصير: مجمعات نصرانية من طوائف عدة، تعمل على تنصير المسلمين وغيرهم، ونشر الفساد، وتمكين الاستعمار، وإثارة الفتن، ويظهرون بالتنصير صراحة، وتارة باسم الخير كالإغاثة وبناء المدارس والطب ...

٢٠- المستشرقون: تيارات نصرانية تقوم بدراسة الإسلام لغرض التشويه به من جهة

ونقل علومه من جهة أخرى ...[١].

* المسألة الثالثة: اليهودية وطوائفها.

* تعريفها:

دين اليهود بعد تحريف التوراة.

وأصل اليهود من بني إسرائيل ثم أتباع موسى عليه السلام، ثم طرأ التحريف لدينهم بشكل بارز بعد سليمان النبي عليه الصلاة والسلام، حيث كثر فيهم السحر والشرك والبدع، فلما بُعِث عيسى عليه السلام كفروا به وآذوه وقصدوا قتله، فصاروا بذلك كفاراً، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بنبينا محمد ﷺ.

وقد سماهم الله تعالى بـ: أهل الكتاب، اليهود، وسموا ببني إسرائيل، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٨]، وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة:٤٠] الآية. واسم اليهود أشمل وأوضح فيهم، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[ال عمران:٦٤] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢]

وأجمع المسلمون على كفرهم كما كفرهم الله تعالى ورسوله ﷺ.

* مؤسسها:

أصل دينهم كما سبق جاء به كليم الله تعالى موسى عليه السلام بالحق، ثم تبعه أنبياء بني إسرائيل على ذلك، ثم ظهرت اليهودية بما فيها من كفر ووثنية لا سيما بعد تدمير أورشليم على

---

(١) راجع لفرق النصارى وتعاريفها: «الملل والنحل» (٢٢١-٢٣٠)، «الموسوعة الميسرة» (٢/ ٥٦١-٦٩٥)، «رسائل في الأديان» (١٢٩-١٦٥)، «الموجز في الأديان» (٦٧-٩٠)، «دراسات في النصرانية واليهودية» (١٦٥-١٩٢) ط أضواء السلف.

يد بختنصر صاحب بابل (٥٨٦. ق م)، وفي تاريخهم أن أحد ملوكهم كان اسمه يهودا، والله أعلم.

* مكانها:

تتواجد حالياً في فلسطين (اللهم طهرها منهم) وأمريكا وأوروبا وروسيا وتركيا وإيران وأقليات في الشام وآسيا وأفريقيا.

* لغتها:

أصل لغتهم العبرانية، ثم لهم لغات في كل بلدٍ بحسبه.

* عددها:

هم قليل – زادهم الله تعالى قلة وهلاكاً – لا يتجاوزون في العالم (١٠٠ مليون).

* نشاطها:

يعتبرون من أنشط الملل في نشر أفكارهم وإخضاع غيرهم لهم عن طريق التسلط على الحكومات والاقتصاد، ونشر الفساد بأنواعه والانحلال بأشكاله، والدمار بكماله، والفتن بألوانها، وهم أعدى أعداء الإسلام، وما من شر في الأرض إلا شاركوا فيه أو فرحوا به.

* فرقها:

وقد قال ﷺ: «تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة».

ومنها:

١- السامريون: مجموعة يهودية من بعد سليمان عليه السلام، ولا يقرون إلا بالتوراة (الأسفار الخمسة) ونبوة موسى وهارون ويوشع فقط، ونسخة التوراة التي لديهم تختلف عن النسخة العبرية في ستة آلاف موضع، كما لا يقرون ببيت المقدس قبلة لهم، بل يستقبلون جبل (جرزيم) بنابلس، ولم يبق منهم إلا قلة بنابلس، وهم عدة فرق.

٢- الفريسيون: وهي كلمة آرامية تعني ذا الرأي والعلم، وهم أحبار ورهبان يهود،

تميزوا بشدة العداوة لغيرهم.

ويقال لهم: الربانيون أو التلموديون، لإيمانهم بالتلمود مع سائر كتب العهد القديم، ولا يزالون بكثرة.

٣- الصدوقيون: من كبار فرق اليهود، يعود تاريخها إلى (٣٠٠ ق م)، وينتسبون إلى كاهن يسمى (صادوق).

ويتميزن بعدم إيمانهم بالتلمود، وينكرون البعث والجزاء والملائكة ...

٤- القراءون: فرقة يهودية ظهرت عقب ضعف الفريسيون في زمن المنصور العباسي، وتنسب إلى رجل اسمه (عنان بن داود)، توفي آخر القرن الثامن الميلادي، وينتسبون إلى المصدر العبري (قرائيم) وإلى المؤسس عنان (العِنانيون) و(العِنانية).

ويتميزون عن سائر اليهود بإنكار التلمود والروايات الشفوية، إلا أنهم يقرون بالبعث وبعثة عيسى داعياً إلى التوراة فقط ومحمد عليهما السلام، لكنه عندهم إلى العرب خاصة دون اليهود، ويعادون التلموديين والصهيونية، ويخالفونهم في أعيادهم ومحاكمهم، ولا يزال منهم جمع بالآلاف، قرب تل أبيت بفلسطين وفي بعض الدول العربية.

٥- الحسيديم: فرقة متأخرة تعزى إلى رجل اسمه (إسرائيل بن اليعازر) الملقب (بعل شم طوب) (ت ١٧٦٠م)، وهم من المتعبدة الاتحادية المتصوفة، باطنية التفسير، ويعظمون التلمود مع تأويلهم الباطني له حسب فكرهم، ولا زال لهم جموع، ويعتقدون التناسخ وغير ذلك، فهم من أكفر اليهود.

٦- الإصلاحيون: فرقة متأخرة منافرة لتشددات اليهود وتسلط الحاخامات والتحرر من قيود التلمود، وتعزى إلى المؤسس (موسى مندلسون/ ت ١٧٧٦ في برلين).

وتتميز بالاندماج مع شعوب بلدانهم وقوانينهم مع البقاء على اليهودية، ويقولون: العهد القديم من صنع الإنسان وليس وحياً، وأنكروا التلمود وأنه كان لعصره خاصة وإنكار

البعث... ويتواجدون في أمريكا وبرلين وغيرهما.

٧- الأرثوذكسية: فرقة يهودية تدين بالكتاب المقدس مع التلمود، مع جميع التعصبات اليهودية، وهم المتواجدون الآن غالباً بفلسطين، والدولة بأيديهم، وهم أشبه بالتلموديين ...

٨- المحافظون: طائفة كبيرة من اليهود حاولوا التوسط بين انفلات الإصلاحيين وتشدد الأرثوذكسية، وتنسب إلى (زكريا فرانكل/ ت ١٨٧٥م)، ويتواجدون في أمريكا وألمانيا.

ويتميزن بعدم اعترافهم بأن التلمود وحي، بل نتائج ثقافة لليهود، وهم كالإصلاحيين لا يوجبون قراءة الصلوات بالعبرية، بل بأي لغة سهلت، وهم يدعمون الصهاينة.

٩- العِيسوية: فرقة تنتسب إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصبهاني، وقيل اسمه (عوفيدا ألوهيم) أي: عبد الله، ظهر في زمن مروان الحمار، ثم قاتل المسلمين في زمن المنصور فأهلكه الله تعالى، وكان أبو عيسى ساحراً، وادعى النبوة أيضاً، وأنه رسول قبل المسيح، وخالف اليهود في أمور كثيرة.

١٠- المقاربة: فرقة تنتسب إلى (يوذعان) من همذَان، وقيل كان اسمه (يهوذا)، كان يظهر الزهد ويزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً، وأصحابه عدة فرق، فمنهم الموشكانية، وكانوا يزعمون أن محمداً ﷺ رسولاً إلى الناس دون اليهود.

١١- المتعصبون: فرقة تشابه الفريسيين مع اتصافهم بشدة العداوة وسفك الدماء، وكانوا في القرن الأول للميلاد.

١٢- الكتبة: ويقال النُّساخ، وهم حكماء ووعاظ لهم مدارس وأتباع ومذاهب.

١٣- يهود الدونمة: وهم يهود تركيا الذين سعوا في إلغاء الخلافة التركية، وكانوا يدعون الإسلام نفاقاً ثم تسموا بحزب (الاتحاد والترقي) ونشروا العلمانية بتركيا، ولا يزالون، قطع الله تعالى دابرهم.

١٤- الماسونية: منظمة يهودية سرية إلحادية إباحية هدامة، تسعى لتمكين اليهود في العالم وتدمير الدول والشعوب، شعارها (الحرية والمساواة) وحقيقتها الفتن والفساد والظلم.

* أسسها:

رجل اسمه (هيرودس/ ت ٤٤م) ثم انتشرت منذ عام (١٧٧٠م) بعد سقوط الكنيسة والثورة عليها.

* أماكنها:

تنتشر في فرنسا وأوروبا وأمريكا وسائر بلاد العالم بأسماء مختلفة، ومنها (منظمة الأمم المتحدة، منظمة الشباب والشابات، أبناء العهد، بناي برث، الروتاري، الليونز، الانتراكت، الروتراكت) ...

* لغتها:

لها لغات حسب مواقع وجودها.

* نشاطها:

تعتبر من أنشط اليهود ومن أوسع المفسدين في نشر الإلحاد والدعارة والاختلاط، وبث الصراعات بين الدول والأحزاب، بل ودعم ذلك بالمال والسلاح والأفراد، ويعظم تركيزهم على الاقتصاد ورجال الدولة كالحكام والملوك وعلى الإعلام والصحف لطمس عقول الجماهير...

١٥- الصهيونية: حركة يهودية عنصرية متطرفة سياسية، ترمي إلى إقامة دولة يهودية عالمية. مع الحفاظ على عقائد اليهود السابقة مع الفكر العلماني.

* مؤسسها:

تنسب إلى (هرتزل النمساوي) اليهودي وأتباعه منذ عام (١٨٩٧م)، وكانت جذورها قديمة.

* أماكنها:

تتواجد في النمسا وأمريكا وأوروبا وفلسطين وغيرها.

* لغتها:

كما سبق في الماسونية مع العبرية.

* نشاطها:

لها نشاط ملموس يضاهي الماسونية، بل هي التي سعت جادة في إقامة دولة لليهود بفلسطين ومنهم حزب (حيروت)، وتجمع تحت لوائها جميع فرق اليهود.

١٦- العلمانية: حركة لا دينية، تسعى لفصل الدين عن الدولة والحياة الاجتماعية وبناء الحياة على المصلحة وأصلها ثورة ضد الكنائس.

* مؤسسها:

سبينوزا اليهودي وجان جاك وغيرهما.

* أماكنها:

فرنسا وأوروبا وأمريكا ثم انتشرت في العالم.

* لغتها:

كما سبق.

* نشاطها:

كالماسونية، لكنها أخبث تخطيطاً وأكثر ظهوراً[(١)].

(١) راجع لما سبق «الملل والنحل» (٢١١-٢٢٠)، «الموسوعة» (٤٩٥-٥٥٠)، «رسائل في الأديان» (٦٢-١٢٥)، «دراسات في الأديان» (٤٧-١٥٢)، «الموجز» (٢١-٦٤) وغيرها.

* المسألة الرابعة: الفِرق الإلحادية.

وهي كثيرة كما سبق في المقدمة في الفصل الأول.

* تعريفها:

الإلحاد لغة: الميل.

واصطلاحاً: مذهب فلسفي يقوم على إنكار وجود الله تعالى وإنكار شرعه ورسله والبعث ...

وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق لا خالق لها، (وهذا هو الإلحاد الكلي).

وقد يوجد إلحاد بالميل عن الحق كحال المعتزلة والأشاعرة كما هو مقرر في كتب العقيدة، ومنه ما هو كفر ومنه دون ذلك[1].

وسيأتي مزيد توضيح عند الكلام على وجود الله تعالى.

* مؤسسها:

هو مذهب قديم يعود إلى زمن إبراهيم عليه السلام، فأول من عرف بالإلحاد هو النمرود بن كنعان، واشتهر أيضاً عن فرعون والدهرية الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، وهكذا الفلاسفة، ومؤخراً ظهرت الشيوعية وأمثالها من الملاحدة كالدارونية...

* أماكنها:

تتواجد في الشرق: الصين والهند وروسيا ونوها وتنتشر في أوروبا وبعض أفريقيا، ومنهم من يتواجد بين المسلمين، فالعالم يعج بأفكارهم وزبالاتهم.

---

(١) وانظر «الفتاوى» (١٢/ ١٢٤)، «التعريفات الاعتقادية» (ص ٥٧)، «الموسوعة» (ص ٨٠٣).

* لغتها:

في كل بلد بحسبه.

* عددها:

لعل أعداد هذه الطوائف الملحدة يزيد على مليارين أو نحو ذلك.

* نشاطها:

الإلحاد مستند إلى الماسونية والعلمانية والشيوعية والأدب الغربي الحديث الفلسفي، وقد نشطت هذه المذاهب، وتدفق الإلحاد بسببها على الأرض في القرن التاسع عشر، ولا يزال لهم بقايا كثيرة، وقد بدأ الضعف عليهم – دمرهم الله تعالى– وهم كالماسونية والعلمانية في إفساد الدين والدنيا والأخلاق والعقول، ومنهم السياسيون كالشيوعية التي أخذت نصف العالم، ثم هلكت إلى سقر وبئس المستقر، ومنهم الفلاسفة، وعلى كلٍ فشرُّهم عريض، والمسلمون بحاجة إلى جهود كبيرة لصدهم.

* فرقها وطوائفها:

وهم أقسام، منهم من يؤمن بوجود الله على طرق إلحادية منحرفة، ومنهم من ينكر وجود الله تعالى بالكلية، وبهم نبدأ.

القسم الأول: منكرو وجود الله تعالى.

١ – الفلاسفة: طائفة قديمة يونانية إلحادية تعتمد على العقل. وهم فرق، فمنهم الطبايعيون والدهريون، وهؤلاء في الغالب لا يقرون بوجود الله تعالى، ويقال لهم أيضاً (الماديون) نسبة إلى المادة؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بالمادة والطبيعة، وأن كل شيء أوجدته الطبيعة، وغالبهم عبدة أوثان، وهؤلاء أتباع أرسطو.

ومنهم من يؤمن بوجود الله تعالى، وسيأتي ذكرهم في القسم الثاني.

٢ – اللذة: مذهب فلسفي ملحد، يرون أن اللذة هي الخير الوحيد في الوجود. تأسست في

اليونان على يد (أبيقور اليوناني/ ٣٤٣ ق م)، ثم انتشر مؤخراً في أوروبا باسم (المنفعة) في القرن التاسع عشر، ويقصدون باللذة الصحية الجسمية، ولذة العقل بالتحرر الكامل من المكدرات، وزاد بعضهم: لذة الجسم بالشهوات، لا سيما عند المتأخرين فكثير منهم إباحي مادي.

ويشبه هذه الطائفة (الذرائعية) بجامع الجري وراء (المنافع والمصالح).

٣- العقلانية: مذهب فكري يُحكِّم العقل في كل شيء ويصدر عنه، مع إنكار الغيبيات ووجود الرب سبحانه والملائكة والبعث ...

بل ومنهم من ينكر التجربة البشرية أو يجعلها تابعة للعقل.

ومنهم جماعات يؤمنون بوجود إله ورب لهذا الكون بطرق خيالية لا تفيد إلا العدم، كما سيأتي في القسم الثاني.

* مؤسسها:

يعزى إلى سقراط وأرسطو في القديم من فلاسفة اليونان، ومؤخراً تبناه فلاسفة أوروبا من القرن السابع عشر الميلادي وما بعده.

* أماكنها:

اليونان وأوروبا وأمريكا وجماعات في بلاد المسلمين.

* نشاطها:

نشط العقلانيون مؤخراً وكثر شرهم في الأرض وغزوا الجامعات والمصانع والصحف واشتهروا في بلاد المسلمين تحت راية المعتزلة والمدارس العقلانية.

* فرقها:

هم فرقتان كما سبق: الملاحدة، ومدعو الإسلام.

٤- النزعة الإنسانية: اتجاه فكري يجمع العديد من المذاهب الإلحادية، يجمعها محاربة

الأديان والدعوة إلى الحرية والإباحية، وكان أصلها ثورة على الكنائس النصرانية ثم عم فسادها، وغالبهم ملاحدة، ومنهم جماعات تؤمن بوجود الله تعالى كما سيمر بك في هذه الفرق.

ومذهبهم مرتكز على تطوير الإنسان عقلاً وحالاً واقتصاداً ... بأساليب وطرق يغلب عليها الخيالات، فنتج عن ذلك الإلحاد والإباحة والفوضى وجفاف الروح وتصدع الأخلاق، وعزى بعض الكُتَّاب تدهور الغرب الأخلاقي والمدني والديني إلى هذ المذهب المادي الملحد.

وقد انتشر في أوروبا وغزت العالم، ولا يزال بعض المسلمين مغتر بالمدنية هذه.

٥- الوضيعة: مذهب فلسفي مادي ملحد، يعتمد على الوقائع التجريبية وإنكار ما وراء ذلك من أسباب وجود المادة وخلقها ... ومنهم من دعا إلى عبادة الإنسان مكان عبادة الله تعالى.

أسسها الفيلسوف كونت الفرنسي(١) على فكرة التقدم الإنساني بمراحلها الثلاث: المرحلة الوثنية، ثم المرحلة التوحيدة (الإسلام والنصرانية)، ثم المرحلة الوضعية، وهذه أفكار غير صحيحة ولا واقعة.

انتشر في فرنسا وبريطانيا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

٦- الوجودية: مذهب فلسفي ملحد يغلو في قيمة الإنسان والمادة والإباحة الشهوانية.

ويرتكز مذهبهم على أن وجود الإنسان المادي هو الحقيقة المتيقنة في هذا العالم، وما عدا ذلك أوهام وخرافات، وأن الإنسان وحده هو مقياس كل شيء في الوجود، وأن شهواته وغرائزه هي الميزان الذي يوزن به كل شيء، فلا أحد يضع له قيوداً أو حدوداً.

---

(١) وشر فرنسا على المسلمين خاصة وعلى الناس عامة شر عريض، فكم تدفق منها من فتن وفساد وحقدهم على المسلمين حقدها دفين قديم أثيم.

* مؤسسها:

تعزى إلى (سورين كير كجورد/ ت ١٨٥٥م) وأتباعه.

* أماكنها:

انتشرت في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وأمريكا وسائر أوروبا وغيرها.

* نشاطها:

نشطت بسبب الإباحة فاعتنقها كثير من الشباب والشابات، وفشت لذلك فوضى خُلقية عارمة لا تبالي بدين ولا عرف ولا نظام ... حتى تحول الإنسان إلى حيوان بلا عقل، فخطرها كبير.

٧- الفرويدية: وتسمى (التحليل النفسي)، وهي فكرة فلسفية إلحادية إباحية تجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، وأن موانع ذلك تورث أمراضاً نفسية.

كما تقوم على التحرر من الأفكار، وأن الحياة المثلى هي (لا دين ولا أخلاق ولا تقاليد) كما تستمد أفكارها من الرؤيا والأحلام والتحليل النفسي.

* أسسها:

اليهودي سيجموند فرويد (ت ١٩٣٩م).

وانتشرت في ألمانيا وأمريكا وسويسرا وفيينا وسائر أوروبا.

ولها نشاط لكنه إلى التدهور.

٨- الكلاسيكية: مذهب أدبي وثني يغلب عليه الإلحاد، يعتني بالأدب اليوناني وكتب سقراط وأفلاطون ... متقيد بالعقل والواقعية.

واشتهر مؤخراً على يد أولوس جيليوس اللاتيني ثم تبنته المدرسة الفرنسية على يد نيكولا (ت ١٧١١م) وأتباعه.

وانتشر في أوروبا وغيرها.

٩- الرومانسية: ويقال: (الرومانتيكية) مذهب أدبي إلحادي يهتم بالنفس وعواطفها متحرر من كل قيد أدبي وديني وعقلي ... حتى قال أحدهم: لابد أن يكون الإنسان غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانسية.

* أسسها:

فريدريك الألماني والباحث الفرنسي الذي ترجم مسرحيات شكسبير إلى الفرنسية في القرن الثامن عشر ...

وانتشرت في فرنسا وألمانيا، ومؤخراً بدأت تنحسر لأنها تسلب الإنسان عقله وقيمته ...

ويشبه هذا المذهب (الرمزية) إذ تعتمد على الرموز والإشارة، مع الإلحاد والإباحية.

١٠- الحداثة: مذهب فكري أدبي علماني ملحد مستخلص من المذاهب الملحدة، كالداروينية والماركسية وغيرها، ويرتكز على معاداة اللغة العربية والدين ونشر الإباحية وهدم القيم واجتثاث الأخلاق.

ظهرت في القرن التاسع عشر، وانتشرت في أوروبا ثم بلاد المسلمين، ومن أشهر رموزها (شارل بودلير/ ت ١٨٦٧).

وقد تدهورت هذه الطائفة تبعاً للرمزية والرومانسية.

١١- الواقعية: مذهب أدبي ملحد، نشأ على أنقاض الرومانسية ليخفف من خيالاتها، ويقتصر في تصويره على عالم المادة وينكر عالم الغيب ويدعو إلى الإباحة، نشأ بفرنسا وانتشر بأوروبا، ومن زعمائه (أنوريه بلزاك/ ت ١٨٥٠م).

١٢- العدمية: مذهب أدبي فلسفي ملحد إباحي، اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود ونهايته، ويقولون: وجود الإله وعدمه سواء. أسسه (ديستوفسكي الروسي) وانتشرت بأوروبا.

١٣- البرناسية: مذهب أدبي لا ديني.

١٤- البنيوية والانطباعية (التأثرية) والتعبيرية والعبثية والسريالية، ونحوها من المذاهب الأدبية الملحدة.

١٥- الشيوعية والاشتراكية: مذهب فكري فلسفي ملحد مفسد إباحي فوضوي مادي وحشي حاقد ظالم مدمر.

يقوم على أساس: المادة أساس كل شيء وفرض المذهب بالقوة.

ويقولون: (لا إله والحياة مادة) (الدين أفيون الشعوب) أي: مُبَلِّد ومؤخر.

* مؤسسها:

مذهبها في أصله قديم يعود إلى (مزدك) الذي ظهر بفارس (٤٨٧م) ودعا إلى اشتراك الناس في الأموال والنساء، فقتله الفرس.

ثم دعا إليه (قرمط الباطني) (٢٨٨هـ) فقتله الله تعالى، ومؤخراً ظهر الفكر على يد (ماركس اليهودي الألماني/ ت ١٨٨٣م) بمساعدة (فردريك إنجلز/ ت ١٨٩٥م)، وصارت لهم دولة على يد (لينين) في روسيا (١٩١٧) وغيره.

* أماكنها:

ظهرت في ألمانيا وروسيا ثم انتشرت في الصين وشرق أوروبا وفيتنام وكوبا ويوغسلافيا وبلغاريا والمجر وغيرها، ووصلت إلى بلاد المسلمين: أفغانستان وتركستان والعراق ومصر وغيرها. ثم تقلصت ونبذتها أكثر الشعوب السابقة[١].

* عددها:

كانوا بمئات الملايين ومؤخراً قَلُّوا (زادهم الله تعالى قلة وذلاً).

---

(١) لا تزال الصين الإرهابية تمارس كثير من الظلم الشيوعي، وتجبر كثير من المسلمين على اعتناق أفكار الشيوعية، فمن أبى عذبوه أشد العذاب حتى الموت، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

❋ لغتها:

الروسية، وفي كل بلدٍ بحسبه.

❋ نشاطها:

نشطت أولاً تحت دعاوي العدل والمساواة ومحاربة الظلم حتى عم فكرها وكثر شرها وفسادها في العالم، ثم تدهورت مؤخراً.

❋ فرقها:

الشيوعية، فكر ماكر، فله في كل بلد اسم، ومن ذلك: البعثية، والناصرية، والاشتراكية، والجناح اليساري، والجبهة القومية، والماركسية، ...).

١٦- الداروينية: حركة فكرية خيالية ملحدة إباحية مفرطة تزعم أن أصل الإنسان قرد، وأن الحيوان قد يصير بشراً، وأن الإنسان اختلق فكرة (الله) بسبب جهله، أما الآن فلا حاجة إلى ذلك.

❋ مؤسسها:

شارلز داروين الإنجليزي عام (١٨٥٩م)، وكان مصاباً بأمراض نفسية جعلته يتخيل هذا الفكر، وقد اعترف هو وأتباعه بأنه فكر لا برهان عليه.

❋ أماكنها:

بدأت في بريطانيا وفرنسا وانتشرت بأوروبا وتأثر بها بعض ملاحدة العرب، ثم لما ظهرت مسألة (الجينات الوراثية) اندثرت الداروينية.

❋❋❋❋

* القسم الثاني: في الملاحدة الذين لا ينكرون وجود الله سبحانه لكنهم ألحدوا بطرق أخرى.

١- الفلاسفة: طائفة قديمة أرادت التوفيق بين العقل والإلهيات والبحث عن حقائق الكون بالعقل، وأن العقل هو مصدر كل خير.

وعرفها بعضهم بقوله: هي النظر العقلي المتحرر.

وبحثهم حول:

أ) البحث عن عالم الطبيعة والمخلوقات.

ب) البحث عن الإلهيات وأصل الخلق (ما وراء الطبيعة).

* مؤسسها:

تعزى إلى كبار فلاسفة اليونان القدماء أمثال تاليس الملطي وسقراط وبقراط وغيرهم، ثم اشتهرت على يد أفلاطون وغيره، ثم ظهر فلاسفة ادعوا الإسلام كابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم وسقراط وأفلاطون، كانوا يعرفون بالتوحيد الذي هو الإقرار بالرب سبحانه...(١).

* أماكنها:

اليونان ومصر والهند وفارس وأوروبا ... ومؤخراً اشتهرت بأوروبا، وغالب التيارات الملحدة استمدت من الفلاسفة ...

* فرقها: (أي الفلاسفة):

أ- فلاسفة اليونان القدماء، وهم طوائف، ذكرها الشهرستاني في (الملل والنحل).

ب- الأفلاطونية الحديثة: طائفة وثنية فلسفية مزيج من الأديان الوثنية، تؤمن بوجود إله

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند الكلام على توحيد الألوهية عند الفلاسفة من هذا الكتاب.

منفصل يفيض عنه الكون والوجود. تأسست (٢٥٠ ق م) على يد (أفلوطين) وأتباعه.

وانتشرت في مصر وأوروبا، وبها تأثر فلاسفة العرب مدعو الإسلام، كما تأثروا بأرسطو وأتباعه.

جـ- فلاسفة الإسلام: وهم كما قيل ينتسبون إلى الإسلام بمقتضى الولادة في بلاد الإسلام ونشأوا عليه، ثم ارتدوا إلى الفلسفة كأمثال ابن سيناء والفارابي(١).

٢- المثالية: مذهب أدبي ملحد يعتمد على الظواهر المحسوسة والعواطف، وتصوير الغيبيات بالمحسوسات.

تأسست في أوربا على يد جون دن (ت ١٦٣١).

ويثبتون (إله) بالعقل والفلسفة بطرق غير مفيدة ولا مقنعة.

٣- الفرق الكلامية التي تدعي الإسلام، وقد تقدم الكلام عليهم في بحثنا الآخر.

٤- العقلانية: طائفة تُحكِّم العقلَ، وهم أشبه بالفلاسفة في إثبات الإلهيات وأصل الكون والوجود والدين، ...

ومنه المدرسة العقلية التي تدعي الإسلام وهم المعتزلة وأذنابهم.

ولكن بحثنا هنا عن كفار وملاحدة العقلانية.

* مؤسسها:

تعزى إلى فلاسفة اليونان (كما سبق ذكرهم عند الكلام على الفلاسفة)، واشتهرت مؤخراً على يد (رينيه ديكارت/ ت ١٦٥٠م) الفرنسي الذي اعتمد على العقل لإثبات الوجود عامة ووجود الله خاصة، ...

---

(١) ذكر شيخ الإسلام أن هؤلاء تبنوا فلسفة أرسطو وحاولوا التوفيق بينها وبين الإلهيات.

* أماكنها:

انتشرت بفرنسا وألمانيا وسائر أوروبا ثم عمت العالم.

* نشاطها:

كثر نشاطها في العالم، فغشت المثقفين والجامعات ووصلت إلى بلاد المسلمين باسم المدرسة العقلية وانتشرت أفكارهم في إنكار كثير من الغيبيات، ووصفوا (الإله) بصفات وهمية وتعطيل أوصاف الرب سبحانه، فقال بعض أهل العلم: إنما يثبتون (الإله الفلسفي) وليس هو الرب سبحانه.

****

* القسم الثالث: في مدعي الإسلام من الملاحدة.

الباطنية: فرقة تظهر الإسلام وتبطن الكفر والإلحاد، وتزعم أن للشرع ظاهرًا وباطنًا، وأن الظاهر للجهال والباطن للعقلاء وهم منهم.

والواقع أنهم ينكرون الأديان والبعث ويبيحون كل حرام، ويتسترون بحب آل البيت، وجعلوه ملجأً للكيد في الإسلام وأهله.

وقد ذكر شيخ الإسلام وغيره أنهم أكفر من اليهود والنصارى.

قال عبد القادر البغدادي: «والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها..»(١).

وقال ابن الجوزي: «فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم ...»(٢).

وقال ابن كثير: «وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس...»(٣).

وذكر ابن عابدين أن عبد الرحمن العمادي نص في فتاويه في كتاب السير على أن الدروز والتيامنة والنصيرية والباطنية كلهم كفار ملاحدة زنادقة ...(٤).

وقال شيخ الإسلام: «هؤلاء النصيرية وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين...»(٥).

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص ٢٩٤).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص ٩٢).

(٣) «البداية» (١١/ ٧٣).

(٤) «حاشية ابن عابدين» (١١/ ١٣٩).

(٥) «الفتاوى» (٣٥/ ١٤٩).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ومن أشر طوائف المجوس الذين لا يقرون بصانع ولا معاد، ولا حلال ولا حرام: الخراميّة أصحاب بابك الخرمي، وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدرزية وسائر العبيدية الذين يُسمون أنفسهم الفاطمية، وهم من أكفر الكفرة، وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم ولا بشريعة من الشرائع»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولهم ((ألقاب)) معروفة عند المسلمين: تارة يسمون ((الملاحدة))، وتارة يسمون ((القرامطة))، وتارة يسمون ((الباطنية))، وتارة يسمون ((الإسماعيلية))، وتارة يسمون: ((النصيرية))، وتارة يسمون: ((الخرمية))، وتارة يسمون: ((المحمرة))، وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم... (٢).

ولهم أسماء أخرى منها: القداحية، والمزدكية، والمكارمة، والبهرة، والنخاولة، والرافضة، والحشاشون، والأغاخانية، والبابية، والبهائية، والقاديانية، والأحباش، وغيرها كما سيأتي.

* مؤسسها:

أشهر من تنسب إليه هو ميمون القداح وجماعة معه من أبناء المجوس، وكان ابتداء دعوتهم في القرن الثالث نحو (٢٢٠هـ)، ثم ظهرت على يد حمدان القرمطي (ت ٢٧٨هـ) وأبي عبد الله الشيعي بالمغرب وأسس دولة الفاطمية (٢٩٧هـ) ومحمد بن نصير مؤسس النصيرية (ت ٢٧٠هـ) ثم تتابع أمرهم وكثر أتباعهم ...

* أماكنها:

يتواجدون مؤخراً في اليمن باسم المكارمة والبُهرة في صنعاء وحَراز ووايلة بصعدة وعَراس بِيَرِيْم والفَرع بالعُدَين وبجِبلة بإب اليمن وغيرها.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٢)« الفتاوى » (٣٥/ ١٥٢). « الفتاوى المصرية » (١/ ٤٣٨).

وفي المدينة باسم النخاولة والرافضة، وفي القطيف والأحساء وغيرها كذلك، والمكارمة بنجران.

وكذلك في البحرين والكويت معرفون بالرافضة واليزيدية.

وهم بسورية بدمشق وحلب يسمون بالنصيرية، ومنهم جماعات باللاذقية، وبتركيا غربي الأناضول باسم (الحطابون) وغيره.

وبالعراق وتركيا وإيرن ويسمون باليزيدية والقرامطة.

والإسماعيلية تتواجد في إيران وباكستان والهند وفي الشام في بانياس والكهف والخوابي وغيرها.

والدروز لهم انتشار في لبنان وسوريا وغيرها.

والحشاشون لهم انتشار في إيران وسوريا ولبنان والهند وغيرها.

والبابية والبهائية تنتشر في إيران وقليل في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ويكثرون في أمريكا وغيرها.

والقاديانية تنتشر في الهند وباكستان وأفريقيا وأوروبا وأمريكا.

والأحباش تنتشر في لبنان وأوروبا وأمريكا وغيرها.

والأنصار وهم باطنية تتواجد في أمريكا.

❋ نشاطها:

هذه الفرق تنشط وتمكر بالإسلام وأهله ليلاً ونهاراً على مستوى المدارس والمساجد والوظائف وتدريب الأفراد وإعانة الاستعمار ... إلخ.

❋ فرقها:

١- الباطنية: وهم أتباع ميمون القداح، كما سبق.

٢- الإسماعيلية: فرقة باطنية تنسب - كذبًا- إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ومنهم

البهرة والمكارمة، ويؤلهون أئمتهم ويقولون بالتناسخ والإباحة المطلقة، وتعزى إليهم فرقة الحشاشين.

٣- النصيرية: حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث على يد ابن نصير، يزعمون أن علياً إلههم وابن نصير نبيهم ويقولون بالتناسخ والحلول، ويعظمون ابن ملجم ويزعمون أن عليًّا خلق محمداً ... والمقداد خالق الناس...، ومنهم (الحطابون) (البكتاشية) بتركيا.

٤- القرامطة: أتباع حمدان القرمطي الباطني وأتباعه الجَناني الذي غزا مكة وقلع الحجر الأسود، وكانوا يرون شيوع المال والنساء كالمِزدكية ويجاهرون بالمجوسية وأن للكون إلهين...

٥- الدروز: فرقة باطنية تؤله الحاكم بأمر الله العبيدي، تنسب إلى (تشتكين الدرزي) و(حمزة الزوزني) وينكرون الأنبياء والبعث ويقولون بالتناسخ، والإباحة المطلقة ... وعددهم يصل إلى (٢٥٠ ألفاً).

٦- الحشاشون: فرقة باطنية فاطمية نزارية تدعو إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله الفاطمي وأولاده، أسسها حسن الصباح بقلعة (ألموت) وهي طائفة إباحية تقول بالتناسخ وغيرها ...

٧- البابية (البهائية): فرقة باطنية تعتقد حلول الله تعالى في علي وأولاده، وتجلت فيهم الحقيقة المحمدية، وأن الشرائع نسخت، وأن زعيمهم (الباب) هو خالق كل شيء، وأنه نبي حل فيه الإله، مع قولهم بالتناسخ، وينكرون البعث والغيبيات، ويحجون إلى عكا ويناصرون اليهود ...

ومؤسسها هو الميرزا علي محمد الشيرازي (ت ١٢٦٦هـ) وتنتشر في إيران والعراق وسوريا ولبنان وأمريكا وغيرها.

٨- القاديانية: وهم أشبه بالبابية، وهي حركة هندية ملحدة إباحية، تزعم أن إلهها إنجليزي، ويصفون الله تعالى بالنقائص، ويقولون بالتناسخ، ونسبة الولد لله تعالى كالنصارى، والحج عندهم إلى (قاديان) بالهند ويكفرون كل من لم يكن منهم، ومع إعلان

الطاعة العمياء للإنجليز فكأنهم من صناعة الإنجليز ...

أسسها الميرزا غلام أحمد القادياني (ت ١٩٠٨) ويتواجدون في البنجاب والهند وباكستان وغيرها.

٩- الأحباش: طائفة ضالة مشبوهة تدعو إلى إحياء مناهج الباطنية والرفض والتصوف وتثير الفتن على المسلمين.

أسسها عبد الله الحبشي الرفاعي الصوفي الباطني المعروف بالفتان، لكثرة شره، وأثار على المسلمين فتناً في الحبشة ولبنان ...

ويتواجدون في لبنان والحبشة وأمريكا وأستراليا والسويد والدنهارك ...

١٠- الأنصار: فرقة باطنية عنصرية ظهرت بين السود في أمريكا، وعقائدهم خليط من النصرانية واليهودية والبوذية والإسلام، وينكرون البعث وهم أشبه باليهود ...

أسسها دوايت يورك (١٩٣٥م) دعا أصحابه إلى العمل بالتوراة والإنجيل وجعل لهم عيداً يوم السبت.

يتواجدون في أمريكا وكندا وغيرهما.

١١- اليزيدية: فرقة ضالة دبَّ إليها الانحراف الباطني في عهد حسن الكردي (٥٩١هـ) الذي سن لهم تقديس يزيد ثم تقديس إبليس، وعمدوا إلى القرآن فطمسوا منه كل ذم أو لعن لإبليس، وزعموا أنه مما زاده المسلمون، وزعموا أن امتناع إبليس عن السجود لآدم توحيد حيث لم يسجد لغير الله تعالى... ويقدسون وادي (لاش) بالعراق، ويحجون إليه يوم عاشوراء، والبعث في عقائدهم يكون في قرية (باطط)، وأن عدي بن مسافر – أحد كبارهم – هو الذي سيحاسب الناس، ويقولون بالتناسخ والحلول ووحدة الوجود ...

أسسها إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد الأموي، وانتشرت في شمال العراق وسوريا وتركيا وإيران وروسيا وغيرها وعددهم يصل إلى (١٢٠ ألفاً).

[ملحق][١].

٩- البلاليون (أمة الإسلام): فرقة ضالة ملحدة تزعم النسبة لبلال بن رباح، ظهرت بين السود في أمريكا، ودعت إلى الإسلام بمفاهيم خاصة منحرفة، وتولي السود ولو كانوا ملاحدة، وتحارب البيض ولو كانوا مسلمين، ويصفونهم بالشياطين وينكرون كثير من الغيبيات والبعث ...

أسسها والاس فارد (١٩٣٠م) ثم خلفه: إليجا محمد الذي زعم أن الله تعالى متجسد في شخص فارد، ودعا إلى عبادته، وزعم لنفسه النبوة وتلقب بـ(رسول الله) ثم خلفه وارث الدين محمد وهو أخف ضلالاً ...

تنتشر في أمريكا وغيرها.

وتبعهم على معتقد (إليجا محمد) الفرخانية أتباع (فراخ خان) وزاد عليه زعمه أن جميع السود آلهة، وأن الله خلق نفسه، وأن الكتب السماوية ألفها السود وأن (إليجا) إله وأنه عيسى المسيح ...

١٠- القومية: حركة ضالة ملحدة تدعو إلى القومية العربية وإحلال الرابطة العربية مكان الأخوة الدينية، وشعارها (الدين لله والوطن للجميع) على منهج العلمانية ...

وقد اندثرت مؤخراً.

١١- الاتحادية: وهم الذين زعموا أن الله تعالى حل في الخلق واتحد بالمخلوقات كلها، كمذهب ابن عربي وغيره، وقد سبق بيان عقائدهم.

---

(١) البلاليون والقومية والاتحادية ليسوا من أتباع الباطنية لكنهم أشبه بهم. راجع للقسم الثالث «الفرق بين الفرق» (٣٣٠) وما بعدها «الموسوعة» (٣٧٠-٤٤٠)، «هتك أستار الباطنية»، «فضائح الباطنية»، «الموجز» (١٢٦-١٧١)،.. وغيرها.

١٢- غلاة الرافضة: كالسبئية، وهم أتباع عبد الله بن سبأ الذي زعم أن الله تعالى حل في علي.

- والبيانية، وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي الذين زعموا أنه نبي ناسخ لشريعة الإسلام وزعم أتباعه أنه إله.

- والمغيرية: وهم أتباع المغير بن سعيد العجلي الذي اخترع قصة المهدي المنتظر للرافضة، وادعى لنفسه النبوة وأنه يحيي الموتى، وله عبارات فيها تنقص الرب جل وعلا، إلى غيرها من الإلحاد ...

- والحربية: وهم أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وكان يزعم أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى وصلت إليه ... وهم أشبه بالبيانية.

- والمنصورية: وهم أتباع أبي منصور العجلي، الذي زعم أنه عرج به، وأن الله تعالى قال له: يا بني، بلغ عني، وادعى النبوة وأنكروا البعث ...

- والجناحية: وهم أتباع عبد الله بن معاوية الطالبي، وهم كالحربية في دعوى التناسخ، وأنكروا البعث وأباحوا المحرمات ...

- والخطابية: وهم أتباع أبي الخطاب الأسدي، وكانوا يزعمون أن الأئمة آلهة، ثم ادعى أبو الخطاب أنه إله ...

- والغرابية والمفوضة والذمية والنميرية والمقنعية ... وغيرهم من الرافضة الملاحدة.

****

* المسألة الخامسة: الطوائف الوثنية. وهي التي تعبد الأوثان والكواكب وغيرها.

١ – الهندوسية (البراهمة):

وهي ديانة وثنية خرافية تعبد بُرهما، وتعتقد فيه أنه إله أزلي خالق العالم، وتعبد البقر وغيرها من الحيوانات.

وعقائدهم عبارة عن مجموعة تقاليد وعادات غير ثابتة، بل الديانة الهندوسية خالية من العقيدة الرئيسة، ويعترفون ويفتخرون بذلك، وينكرون النبوات والبعث ويقولون بالتناسخ وأزلية الروح ...

* مؤسسها:

لا يعلم من هو المؤسس الحقيقي، لكن اشتهر أن (برهما) مجدد هذه الديانة (٨٠٠ ق م) وأنه الذي مهد لهم نفي النبوات والبعث ... وذكر الشهرستاني عنه أنه كان يقر بوجود الله تعالى، والله أعلم.

* أماكنها:

يكثرون في الهند ومنهم في الصين وكوريا وشرق آسيا وغيرها.

* لغتهم:

السنسكرتية (لغة الآريون الذين حكموا الهند ردحاً من الزمان)، واللغة الإنجليزية التي انتشرت مؤخراً إثر الاحتلال البريطاني، واللغة العربية منذ دخول الإسلام، لكنها ضعفت مؤخراً، و(التورانية) لغة الهنود الأصل، و(اللغة الكَنَارية) و(اللغة اللميبارية) و(اللغة التليفوية) و(اللغة التاملية) ...

وأشهر لغاتها الآن (الأوردو) و(الفارسية) و(الإنجليزية).

* عددها:

كثير من أهل الهند على هذه الديانة، ويقدر عددها بنحو (٤٠٠) مليون.

* نشاطها:

للهندوسية نشاط ملموس مؤخراً واجتماعات كبيرة يدعون فيها إلى الهندوسية ويحذرون من الإسلام وغيره، وقد أدت أساليب العنف لدى الهندوس ضد المسلمين أثناء حكم الإنجليز إلى انفصال باكستان، والله المستعان!

* فرقها:

أ- فرقة فشنو: وهم الذين يؤلهون (فشنو) ويصفونه بجميع صفات (برهما) ويعبدون (كرشنا) لأنه يرجع إليهم لنصرتهم حسب زعمهم ...

ب- فرقة سيفا: وهم الذين يؤلهون (سيفا) وهو إله التدمير حسب زعمهم، ويصفونه بأنه ليس له وجود ولا عدم، وهو محيط بكل شيء، وتختار الزهد والخلوات ...

ج- أصحاب الفكرة والوَهْم: وهم المنجمون والسحرة والكهان، ويعدون كوكب (زحل) هو الذي يمنح السعادة والنحاسة، ويعظمون الفكر، ومنهم من يكثر من العُري.

د- الباسْنَوية: وهم طائفة من عباد البقر، غير أنهم يزعمون أن لهم رسول روحاني نزل من السماء على صورة بشر فأمرهم بتعظيم النار واتخاذ صنم على مثاله وعبادته ...

هـ- ونحوهم طائفة الباهودية والكابلية والبهادونية وأمثالهم من عباد الأصنام والنار ... (ذكرهم الشيرازي).

و- عباد الكواكب: وهم طائفة من الهنود من الهندوس وغيرهم ... ومنهم عباد الشمس وعباد القمر والكواكب وغير ذلك. ولا تجد هندوسياً إلا وهو يعبد جمعاً من الآلهة؛ لخلو دينهم من عقيدة صحيحة.

٢- البوذية: طائفة وثنية فلسفية صوفية، ظهرت في الهند كثورة على الهندوس وإلغاء

نظام الطبقات وادعاء الزهد لطلب السعادة وتتبع الخياليات والأوهام، وبعضهم يؤله بوذا ...

* مؤسسها:

تنسب إلى رجل يقال له (بوذا) واسمه: سدرماتا (ت ٤٨٠ ق م) تقريباً، ويذكر أنه ابن ملك من الشمال الشرقي للهند، فلما شبَّ هرب إلى البراري وتزهد وتقشف وألقى المواعظ وألغى نظام الطبقات فتبعه خلق كثير ...

* أماكنها:

الهند، وتوجد أيضاً بالصين والتبت واليابان وشرق آسيا والسند وأركان وبورما وكوريا وتايلاند وغيرها.

* لغاتها:

كما سبق في الهندوسية إلى جانب لغات البلدان التي انتشرت فيها كالصين وكوريا ...

* عددها:

يقدر عدد البوذية في العالم بنحو (٣٠٠) مليون أو أكثر.

* نشاطها:

نشطت البوذية قديماً، فلما جاء الإسلام اضمحلت كثيراً، ولكن لا زال لها دعاة ونشاط وانتشار، وحصل للمسلمين منهم أذية كبيرة في بورما وغيرها ...

* فرقها:

كان البوذية ابتداءً طائفتين أحدهما: الرهبان والعباد، والثانية: عامة الناس.

وأما فرقها بعد ذلك فهي أكثر من ثمانية عشر فرقة، منها:

أ- هينايان (المذهب القديم): وهو المذهب الجنوبي المنتشر في جنوب الهند وجزيرة سيلان وروبما وسيام ولاوس وكمبوديا.

وهذه الفرقة تلتزم تعاليم بوذا القديمة المكتوبة باللغة (البالية) وعبدوا بوذا باعتباره معلماً

عظيماً لا إلهاً، جاء لهداية البشر – زعموا – وتنكر وجود الله تعالى والروح كما تقول بالتناسخ، ومنهم من يعبد الرهبان بل والحيوان ...

ب- مهايان (المذهب الجديد)، وهم المذهب الشمالي المنتشر في شمال الهند والتبت ومنغوليا والصين واليابان وكوريا وفيتنام ... وهذه الفرقة تعتمد على النصوص القديمة المكتوبة باللغة (السنسكريتية) إلى جانب النظريات الفلسفية، وأكثر انتشاره في القرن الأول بعد الميلاد، وهؤلاء عبدوا بوذا باعتباره إلهاً، وأنه موجود على الدوام، وأنه أزلي، وكل راهب عندهم إله، ومنهم من يعبد الحيوان ...

٣- الجينية: ديانة هندية وثنية منشقة من الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، وادعت الزهد، فضارعت البوذية في كثير من خرافاتها إلى جانب ظهور الإلحاد فيها والقول بقدم العالم، ولا يقرون بوجود خالق للكون، ويؤلهون الروح ...

* مؤسسها:

تنسب إلى رجل اسمه (مهافيرا) (ت ٥٢٧ ق.م) وهو من أسرة الملوك (الكاشتر) وكان أبوه أميراً.

* أماكنها:

الهند فقط في: كلكتا ودلوارا وكهجورا وجبل آبو ...

* عددهم:

يَصِلون حالياً إلى نحو مليون نسمة.

* لغتها:

اللغة الهندية السابقة.

* نشاطها:

لهم نشاط كبير مؤخراً في نشر كتبهم ومعتقدهم، ساعدهم على ذلك الثراء الواسع لدى

كثير منهم.

* فرقها:

منها:

الأولى: الدجامبرية، وهي فرقتان:

أ) تاران بنتحص: وهؤلاء لا يعبدون الأصنام، بل يحرمون ذلك ويختارون الإلحاد.

ب) الدجامبرية الأصل: وهؤلاء يعبدون الأصنام ...

الثانية: الشوتامبرية: وهي فرقتان كالأولى، فالملحدة تسمى (داس) وعباد الأصنام بقية الفرقة.

وهذه الفرقة بفرعيها ترتدي اللباس وتفترش الفراش ونحو ذلك وجمع المال، بينما الدجامبرية تختار العري والزهد كما هو حال نساك وعباد هذه الفرقة وذلك ملاحظ في بلدانهم...

٤- المهاريش: مذهب ملحد تتبع الهندوسية لا تؤمن برب ولا بدين مع فساد وإباحة واسعة، ويتواجدون بأمريكا وألمانيا وأوروبا وأفريقيا ... أسسها رجل يقال له (مهاريشي) وله صلة بالصهيونية.

٥- السيخ: فرقة وثنية خليط من الهندوسية والبوذية وغيرها، ومؤخراً عبدوا البقر وحاربوا الإسلام ووالوا الهندوس والإنجليز، وعبدوا مؤسسهم وسموه إلهاً، وقالوا بالتناسخ...

* مؤسسها:

رجل اسمه (نانك الهندي/ ت ١٥٣٩م)، وكان يدعي حب الإسلام مع تمسكه بأصله الهندوسي وأخذ يدعو إلى دين جديد تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمون) ولا فرق بين مسجد ومعبد الهنادكة، وكان يقول بالاتحاد ...

* أماكنها:

الهند والبنجاب وقلة في ماليزيا وسنغافورة وأمريكا وشرق أفريقيا ... وبلدهم المقدس (أمرتيار) من أعمال البنجاب.

* عددهم:

يبلغون حالياً نحو (١٥ مليوناً).

* لغتهم:

لغة الهند السابقة مع لغة كل بلد وكتبهم باللغة (الكورمكية) وغيرها ...

* نشاطها:

لهم نشاط ملموس لا سيما ضد المسلمين، ويحرصون على نشر ديانتهم في الجامعات والاجتماعات وغيرها.

* فرقها:

أ- آكلي خالصة: ترى وجوب اتباع تقاليد المؤسس وخلفائه في الزهد والعبادة والتقاليد الموروثة فيهم، وأن الوصول إلى الألوهية لا يمكن إلا بهذه الطريقة (أي الاتحاد) وتنكر حمل السلاح إلا عند الضرورة، وترى أن سلسلة الخلافة انتهت بموت الخليفة العاشر لهم.

ب- نرى كاري: لا توجب اتباع التقاليد، وتوجب حمل السلاح، وأن سلسلة الخلافة لا تزال جارية، وأن السيخي لابد أن يقتل مسلماً حتى يحوز على رضا الإله ... قبح الله تعالى وجوههم.

٦- الطاوية: ديانة صينية وثنية اتحادية فلسفية صوفية، تحارب المدنية والأديان الأخرى، ويعتقدون أن أساس المخلوقات هو (طاو)، وأن الخالق لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بالاتحاد في المخلوق وإلا لاقى الفناء، والإله عندهم أبدي ليس بصوت ولا صورة ... وينكرون البعث.

* مؤسسها:

رجل يقال له (لوتس طاو) (٦٠٠ ق م) وسمى نفسه: المعلم السماوي، ثم تتابع أصحابه بعده.

* أماكنها:

الصين، ومنهم في ماليزيا وسنغافورة وبانكوك، ويكثرون في اليابان وتايوان ...

* عددها:

هم قلة لعلهم لا يصلون إلى المليون – أظن.

* نشاطها:

لهم نشاط يسير محصور في بعض أماكنهم.

* لغتها:

اللغة الصينية وغيرها.

* فرقها:

فرق ثلاث، وأظنها انقرضت ولم يبق إلا أتباع (لوهيوشنغ/ ت ٤٧٧م).

٧- الكونفوشيوسية: ديانة صينية وثنية فلسفية، تدعو إلى عبادة أرواح الأجداد والآباء والملائكة وعبادة إله السماء الإله الأعظم، مع قولهم بالتمثيل، ويعتبرون الدين وسيلة لتحقيق التآلف بين الناس فقط، وينكرون البعث والجزاء، ومؤخراً عبدوا (كونفوشيوس) وغيره.

* مؤسسها:

كونفوشيوس (كونج) (ت ٤٧٩ ق.م) وهو تلميذ (لوتس طاو)، وكان سياسياً نظامياً، وفرض مذهبه على الشعب.

* أماكنها:

الصين، وقلة في كوريا واليابان وغيرها.

* لغتها:

الصينية وغيرها.

* عددها:

صاروا قلة بعد ضربات الاشتراكية.

* نشاطها:

لديهم مؤخراً فتور.

* فرقها أشهرها فرقتان:

أ- مذهب متشدد حرفي ويمثله منسيوس الذي يدعو إلى التمسك بآراء المؤسس ودقة تطبيقها.

ب- المذهب التحليلي ويمثله هزنتسي وغيره، إذ يقوم مذهبه على تحليل وتفسير آراء المؤسس ونحو ذلك.

٨- الشنتوية: ديانة يابانية وثنية تعبد الامبراطور الميكادو ويعدونه من نسل الآلهة، ويعبدون الكواكب والأوثان وغيرها كالشمس والأرز والأجداد ...

* أسسها:

لا يعرف مؤسسها، ولكن تطورت في الشرك في عهد الامبراطور (الميكادو).

* أماكنها:

اليابان فقط، فهي الديانة الرسمية فيه.

* نشاطها:

لها نشاط ملموس.

٩- الصابئة: طائفة وثنية تعبد الكواكب والملائكة والأوثان، تزعم أن نبيها يحيى عليه السلام، ويعتقدون بإله أزلي، ويؤمنون بالتناسخ، ويصلون نحو القطب الشمالي ...

ويتواجدون مؤخراً في العراق وحرَّان والبصرة والأهواز وغيرها.

وهؤلاء أشبه بالمجوس، وقد عدهم شيخ الإسلام من المشركين...

١٠ - **عُبَّاد القبور**، وهؤلاء من جملة الوثنيين، وقد سبق الكلام عليهم.



الباب الثاني

مصادر العقائد

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: مصادر الدين الإسلامي الحنيف.

الفصل الثاني: مصادر الأديان والملل والنِّحل والمذاهب الأخرى.

الفصل الأول

مصادر الدين الإسلامي

وفيه أربع مسائل:

* المسألة الأولى: تعريف المصدر (وهو مفرد: مصادر).

المصدر: هو ما يصدر عنه الشيء، أي: ينشأ عنه.

والمراد: الكتب والأقوال والصحف التي نشأ عنها الاعتقاد وغيره[١].

كما يشمل المصادر القديمة والحديثة والعامة والخاصة[٢].

* المسألة الثانية: تعلق العقائد بالمصادر.

لا شك أن البحث في قضية المصادر يُشكِّل أهمية بالغة لما لها من تأثير في تكوين العقائد وسائر العلوم والاستمرار عليها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فحفظ الذكر وهو القرآن والسنة (مصدر الإسلام) حفظ للإسلام ودوامه، كما أن سلامة المصادر من الخلل والتناقض سلامة للعقائد والمناهج، ولذلك يحتج أهل السنة على أهل البدع بفساد مصادر كثيرة يعتمدونها ككتب الكلام والفلسفة والآراء والأقيسة، كما سبق

(١) «مصادر النصرانية» (ص ٤١).

(٢) «منهج أهل السنة في الرد على النصرانية» (ص ٣٩).

بيانه في بحثنا (منهج أهل السنة ومناهج أهل الأهواء: عرض مقارن).

وهنا نوجه الاحتجاج على الملل الكافرة بمثل ذلك – كما سيأتي – إذ مصادرهم فيه من الخلل أو الضعف أو الانحراف ... ما كان سبباً لانحراف معتقداتهم ومخالفة أكثرها للشرائع والعقل والفطرة.

* المسألة الثالثة: مصادر الدين الإسلامي.

وهي نوعان: مصادر عامة، ومصادر خاصة.

فالعامة هي: القرآن والسنة والإجماع وتوابع ذلك.

والخاصة: كتب التفسير والشروح والفقه والآثار ونحوها.

* أولاً: القرآن الكريم.

وهو مصدر المصادر، وأساس الدين، وحجة الله تعالى البالغة على الناس أجمعين، ففيه الهدى والنور المبين، فقد اشتمل على أصول الشريعة وقواعدها والردود على من خالفها، بأحسن قول وأوضح بيان.

* وللقرآن مزايا وخصائص:

١ – حفظ الله تعالى له من التغيير والتحريف على مر العصور والدهور، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]، فلا استطاعة لحاقد ولا حاسد على تحريفه، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة:٧٩]، وقال سبحانه: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤﴾ [عبس:١٣-١٤] أي: منزه عن كل عيب ونقص، ومنزه عن التحريف.

وكتاب ضمن الله تعالى حفظه فمن ذا يطمع في تحريفه أو إخفائه؟؟ ولا نعلم ذلك لكتاب غيرها مما أنزل الله عز وجل. وسر ذلك أن هذا القرآن تشريع عام لجميع الأجيال والأزمان إلى

قيام الساعة.

٢- جمعه في كتاب واحد، وكتابته في عهد الرسول ﷺ، فقد كان ﷺ كلما نزلت عليه آيات كتبها وأقرأها أصحابه، فاجتمع لهم الحفظ المتقن في الصدور، والكتابة المتقنة في الألواح، ثم جمعه أبو بكر في كتاب واحد ثم عثمان رضي الله عنهم جميعاً.

٣- أنه مروي بالأسانيد المتواترة الصحيحة، وعلى هذا إجماع الأمة الإسلامية قاطبة.

قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يُخَلِّفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[(١)].

فأخذه الصحابة عن رسول الله ﷺ وأخذه التابعون عن الصحابة، وهكذا إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة.

قال محمد بن حاتم المظفر رحمه الله تعالى: «إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة وشرَّفها وفضَّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد موصول، وإنما صحف في أيديهم ...»[(٢)].

٤- أنه معجز في نظمه ومعناه، وهذا مجمع عليه.

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣]، وتحداهم بأن يأتوا بسورة فعجزوا عنه.

ومن ذلك عدم اختلافه، بل هو مؤتلف، وكذا سائر الشريعة، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

---

(١) رواه الطبراني وسنده صحيح.

(٢) انظر «توضيح الأفكار» (٢/ ٣٩٩).

وخصائص القرآن كثيرة.

* ثانياً: السنة النبوية الصحيحة.

والمراد بالسنة هنا: ما روي بالأسانيد الثابتة عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة(١).

والسنة قرينة القرآن وأصل الإسلام، وحجة قاطعة على الأنام، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩] الآية. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور:٦٣].

والسنة كالقرآن في:

١- حفظ الله تعالى لها، فهي من الذكر.

٢- أنها مروية بالأسانيد الصحيحة، وما كان من الأحاديث الضعيفة فما دونها فليس من ديننا.

٣- أنها متفقة مع القرآن ومع بعضها، لأنها تنزيل الحكيم العليم.

٤- أنها معجزة في معانيها وصحة دلالاتها.

ولها خصائص أخرى(٢).

---

(١) وقولنا: (بالأسانيد الثابتة) لأن الضعيف لا يجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما يفعله المستشرقون من تتبع الضعيف والموضوع لإيراد الشبة فعمل العاجزين الماكرين.

(٢) راجع «مكانة السنة في التشريع الإسلامي»، «مصادر الدين الإسلامي» (ص ١٣)، وباب (الأدلة) من كتب أصول الفقه.

* ثالثاً: الإجماع.

وهو اتفاق علماء الأمة المجتهدين على حكم شرعي.

وأصح الإجماعات: إجماع الصحابة رضوان الله عليهم ثم تابعيهم.

ودليل كون الإجماع مصدراً في الإسلام قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وسبيل المؤمنين الكتاب والسنة وإجماع المؤمنين.

وقال ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»، رواه الحاكم وهو صحيح.

وتوابع ما سبق القياس الصحيح وغير ذلك.

* رابعاً: كتب التفسير والشروح والفقه ونحوها.

وهذه الكتب تعتبر مرجعاً في فهم كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ فهماً سديداً، وكذلك تجمع شتات المسائل وبيان القضايا والجمع بين المشكلات ونحو ذلك، فلا غنى لمسلم عنها لا سيما كتب العقيدة والتفسير السليم من العقائد المنحرفة (وما كان من الأقوال مخالفًا للحق فهو مردود على قائله، والعبرة بما وافق الكتاب والسنة)(١).

* المسألة الرابعة: دفع شبه حول مصادر الدين الإسلامي.

لأعداء الإسلام شبهات تثار حول مصادر الدين الإسلامي، لكنها في الحقيقة كما وصف الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، لا قيمة للباطل ولا قرار له، بل هو زاهق

(١) راجع للمزيد كتاب «مصادر الدين الإسلامي» (ص ٢٥-٤١)، «التأسيس في أصول الفقه» (ص ١٨٦-٢٥٠)، «معالم أصول الفقه» (١٦٢-٢١١) وغيرها.

مضمحل.

فالقرآن والسنة وما إليهما حق لا باطل فيه، وصواب لا خطأ منه، ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:١-٢]، وهذا من حفظ الله تعالى لهذا الدين.

ومن تلك الشبه الساقطة:

١- دعوى أنه قول بشر غير منزل من عند الله تعالى.

وهذا مردود بالقرآن والسنة والإجماع، وأنى لبشر أن يقوله وقد عجز عن ذلك جمع العرب من المشركين مع حرصهم على ذلك، وعجزوا على الإتيان بسورة واحدة، ولا زال هذا العجز حاصل إلى قيام الساعة، ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور:٣٤]، قال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤]، فلا قدرة لبشر على مثله.

وهكذا السنة لا قدرة لبشر على مثلها، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٤]، بل ذلك كله ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء:٨٢].

٢- ومنها قولهم: إنه - أي القرآن - فيه آيات يخالف بعضها بعضاً.

وهذا جهل من قائله، كيف وقد نفى الله تعالى عنه الاختلاف، ولكن يقع الاختلاف في فهوم الناس، وأما القرآن والسنة فلا اختلاف فيها، فالحق واحد مؤتلف غير مختلف ولا متناقض، فإذا زاغت القلوب ادعت الاختلاف في كلام علام الغيوب، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧].

٣- ومنها قولهم: القرآن والسنة غير صالح لزمن الحضارة.

وهذه شبهة عليلة بل ميتة، كيف يكون الشرع المنزل من الله تعالى العالم بكل ما يصلح العباد في كل زمان وحال، كيف يقال: هو غير صالح لزمن الحضارة؟

ثم يزعم أرباب هذه الشبهات أن قوانين البشر هي الصالحة لذلك، فجعلوا تشريع المخلوق أفضل من تشريع العليم الحكيم سبحانه، هذا جهل مركب وكفر من أقبح أنواع الكفر.

إلى جانب أن الواقع شاهد بفساد وعجز قوانينهم حيث سادت الفوضى وعمت البلوى وفسدت الأرض ...

فشرع الله تعالى لا صلاح للخلق إلا به، ولا تستقيم أمورهم بغيره، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩] أي: تحكيم شرع الله تعالى خير في الدنيا والآخرة(١).



(١) راجع للمزيد وكتاب «الجواب الصحيح» لابن تيمية، وكتاب «هداية الحيارى» لابن القيم كتاب «الردود المسكتة على الافتراءات المتهافتة» وكتاب «ردود على شبهات حول الإسلام» للعدوي، و«الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة» وغيرها.

الفصل الثاني

مصادر الأديان والملل والنحل الأخرى

وفيه مباحث:

١ – مصادر النصرانية.

٢ – مصادر اليهودية.

٣– مصادر الوثنيين.

٤ – مصادر الملاحدة.

الفصل الثاني

مصادر الملل والأديان

المبحث الأول: مصادر النصرانية.

* المسألة الأولى: مصادر النصارى جملة تنقسم إلى قسمين: ما هو منسوب إلى الرسل، والثاني إلى غيرهم.

فالأول: التوراة، الإنجيل، الأسفار، ونحو ذلك.

والثاني: تشريعات المجاميع النصرانية والبابوات ونحو ذلك (وسيأتي شرحها).

* المسألة الثانية: معنى الوحي عند النصارى.

يعرفوه بـ: إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر، وهو عمل روح الله. أو بعبارة أدق: عمل الروح القدس(١).

وهذا معناه أن الوحي معناه من عند الله دون لفظه(٢)، وأنه عمل الملك في نفس النبي أو غيره من البشر، وعلى هذا فالوحي ليس خاصاً بالأنبياء عندهم.

* المسألة الثالثة: انقطاع السند في مصادر النصرانية.

وابتداء ذلك باختفاء إنجيل المسيح عليه السلام الخاص به، وهذا اعترف به قدماء النصرانية وغيرهم، والأناجيل الأربعة المشهورة يعترف جامعوها أنها غير إنجيل المسيح عليه

---

(١) «(قاموس ك م)» (ص ١٠٢٠).

(٢) قارن كلام الأشاعرة بكلام النصارى وشعر الأخطل النصراني.

السلام. فهذا أمر.

الأمر الثاني: أن الأناجيل الأربعة لم ترو عن أصحابها بأسانيد صحيحة، بل ليس هناك معلومات كافية عن جامعي هذه الأناجيل، فبعضهم مجهول. ولا توجد مخطوطات لهذه الأناجيل عن أصحابها أو عن تلامذتهم.

وكان إنجيل المسيح بالعبرانية وهذه الأناجيل على غير ذلك.

فأين أسانيد مصادر النصرانية؟ ما لها لم تظهر خلال أكثر من ألفين عام؟ والقول في التوراة كالقول في الأناجيل، فلا سند إليها.

قال أهل العلم: إن سبب اختفاء الإنجيل وظهور أناجيل محرفة هو أن بولس وأتباعه عمدوا إلى ذلك لأجل أن يُفسح لهم المجال ليضعوا ما شاؤوا من عقائد وعبادات ...(١).

* المسألة الرابعة: الخطأ في ترجمة مصادر النصرانية.

فقد ترجمها النصارى إلى عشرات اللغات، فحصل من الغلط والزيادة والنقص والتحريف ما حصل كما قرره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى(٢).

* المسألة الخامسة: دراسة مصادر النصرانية تفصيلاً:

أولًا: (العهد القديم) والمراد به التوراة وما أضيف إليها، والكتاب المقدس ينقسم عندهم إلى (العهد القديم) و(العهد الجديد) وكل منهما يحتوي على أسفار (وهو الجزء من التوراة) وفي كل سفر إصحاحات تحتوي على فقرات وجُمل.

وهذا التقسيم إلى إصحاحات متأخر يعزى إلى عام (١٢٢٦م) على يد ستفين من أساقفة إنجلترا.

---

(١) «منهج أهل السنة» (ص ١٨٨)، «مختصر كتاب إظهار الحق» (١٩)، «مصادر النصرانية» (١/ ٩٥).

(٢) «الجواب الصحيح» (٢/ ١٦-٢٠).

وللكتاب المقدس مخطوطات عدة، بلغات مختلفة، أقدمها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، مع اختلاف كبير بينها.

والعهد القديم (التوراة) معترف به عند اليهود والنصارى جملة، لكن لكثرة نسخه واختلافها فإن النصرانية تعترف ببعضها فقط ومنها:

- النسخة العبرية (تعترف بها البروتستانت).
- النسخة اليونانية (تعترف بها الكاثوليك والأرثوذكس وتنكرها البروتستانت واليهود).
- النسخة اللاتينية (تعترف بها الكاثوليك والأرثوذكس وتنكرها البروتستانت واليهود).

وفيهما زيادات ومخالفات للأولى.

- تقسيم أسفار العهد القديم (حسب النسخة العبرية) إلى:

أ- التوراة أو أسفار موسى الخمسة.

وتشمل (سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، أو الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية).

ب- أسفار الأنبياء وهي (٢١): (يشوع - القضاة - صموئيل الأول - صموئيل الثاني - الملوك الأول - الملوك الثاني - إشعياء - إرميا - حزقيال - هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجَّي - زكريا - ملاخي).

ج- الكتابات، وتشمل: الكتب العظيمة (المزامير - الأمثال أو أمثال سليمان - أيوب).

والمجلات الخمس (نشيد الأنشاد - راعوث - المراثي - الجامعة - أستير).

الكتب (دانيال - عزرا - نحميا - أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني).

فمجموعها (٣٩ سفراً) ولها عند كل طائفة تقاسيم مختلفة عن غيرها، فهي عند الكاثوليك (٤٦ سفراً)، وعند البروتستانت (٣٩) وعند الأرثوذكس (٤٦)، والاختلاف

حاصل في العدد والأسماء والمضمون بما يطول ذكره ...(١).

سؤال- لماذا يعترف النصارى بالتوراة والأسفار؟

يرجع ذلك إلى أمرين:

الأول: تأكيد المسيح والإنجيل على تقديس التوراة والاحتكام إليها.

الثاني: موافقته لبعض عقائدهم كالتجسيد وغيره ...(٢).

والواقع أن النصرانية تعتمد على الكتب المترجمة (اليونانية واللاتينية) وهما محرفتان كما سبق، أما التوراة فهم في الحقيقة لا يقرون بها، وقد قرر هذا ابن حزم وبعده شيخ الإسلام، والحقيقة أنها توراة مبتدعة ابتدعها النصارى بالترجمة كما حرفها اليهود قبلهم، فاجتمع في نسخ النصارى التحريف اليهودي والتحريف النصراني ...(٣).

وإلا فليس في العهد القديم شيء من عقائد النصرانية – قبل تحريف العهد- كما سبق، وإلى جانب الاختلاف الكثير بين (العهد القديم والعهد الجديد).

- اشتمل العهد القديم بجميع نسخه على الطعن في الله تعالى وفي رسله وفي العقائد الصحيحة والأخلاق الحميدة، كما سيأتي كلٌّ في بابه.

- هذا (العهد) مروي بدون أسانيد كما سبق، ولا توجد دلالات على إثبات نبوة من ادعي نبوته من أصحاب الأسفار، فهذه الأسفار مروية عنهم بالدعاوى، فاليهود والنصارى بحاجة

---

(١) «مصادر النصرانية» (١/ ١٢٠-١٤٥)، «منهج أهل السنة» (ص ٤-٥٠)، «مختصر إظهار الحق» (ص ٧-١٠).

(٢) وهذا مما في نسخهم المحرفة من العهد القديم...

(٣) «الفصل» لابن حزم (١/ ٢٥٧-٢٦٥)، «الجواب الصحيح» (١/ ٢٣/ ١١٤)، وانظر «منهج أهل السنة» (ص ١٧٨)، و«مصادر النصرانية» (١/ ١٤٩-٢٢٠).

إلى إثبات نبوة هؤلاء ثم إثبات صحة نسبة الأسفار إليهم، ولكن الواقع أنهم يبنون دينهم على الهيام لا على الحقائق، فأين التوثيق العلمي لهذه الكتب.

ثانيًا: (العهد الجديد): الأناجيل وما أضيف إليها.

وهي الجزء الثاني من الكتاب المقدس. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- الأسفار التاريخية (الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل ومنهم بولس).

ب- الأسفار التعليمية [رسائل بولس (١٤) ويوحنا (٣) وبطرس (٢) ويعقوب ويهوذا(٢)].

ج- الأسفار الأحلامية (سفر الرؤيا، وهو رؤيا يوحنا اللاهوتي).

وبعضهم يجعلها أربعة أقسام، (وكلاهما مجموعة سبعة وعشرون سفراً).

- القول في تحريفها وأسانيدها كما سبق آنفاً، وكذلك التناقض فيما بينها.

- مخالفة النصرانية لكثير من نصوص الأناجيل، لا سيما التي تأمر بالتوحيد أو تدعو إلى الإيمان برسولنا ﷺ.

- يدَّعُون - أي: النصارى - أن العهد الجديد كُتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام.

- الأناجيل الأربعة هي: (إنجيل متى - إنجيل مَرقس - إنجيل لُوقا - إنجيل يوحنا).

أما لوقا ويوحنا فلم يريا المسيح ولم يسمعا منه.

بل صرح جماعة من علماء النصارى أن هذه الأناجيل ليست صحيحة إلى أصحابها إلى جانب انقطاع أسانيدها، ولم تظهر إلا بعد موتهم[(١)].

- أقدم المخطوطات للأناجيل مكتوبة باليونانية، وإنما كانت لغة المسيح وأصحابه عبرانية، فدل على أنها متأخرة، فكيف حالُها؟!

---

(١) كما صرح به فهيم عزيز المصري (نصراني) وغيره.

- هؤلاء الذي تنسب إليهم الأناجيل مجاهيل لم يُعلم تعديلهم عن ثقة بإسناد ثابت(١).

- الرسائل المضافة إلى الأناجيل كما سبق ذكرها كتب بولس اليهودي وستٍّ منها نُسبت لغيره، ومعلوم أن كاتبها غير معصوم، فلا غرابة أن يوجد فيها تحريف وأخطاء ونحوها ومخالفة للأناجيل ...(٢).

- قرارات مجامع النصرانية: (اجتماعات تتعلق بالديانة) وكان أولها في القرن الأول حسب زعمهم، لكن أشهرها عام (٣٢٥م) (مجمع نيقية) أول مجمع عالمي للنصارى في عهد قسطنطين الروماني ملك الرومان، ثم تتابعه المجامع بعده وعددها سبعة أو أكثر.

وفي كل مجمع تشرع القوانين ويحلل الحرام ويحرم الحلال، وغيرها مما يقررونه فيها، فأسهمت هذه المجامع في تحريف العقائد الصحيحة، وفيها قررت التثليث والصلب والفداء والحلول وغير ذلك مما سيأتي ذكره، فلا تكاد توجد عقيدة محرفة عند النصارى إلا ولها صلة بهذه المجاميع، إلى جانب اختلاف وتناقض قوانين هذه المجاميع ...(٣).

- يزاد لدى الكاثوليك قرار (١٧٦٩م) الذي قرر فيه المجمع (عصمة البابا) فصار من حقه التشريع والتحليل والتحريم، وعمدتهم أنه صار رئيساً لجميع النصارى الكاثوليك ... وهذا مردود عليهم بالأدلة والواقع، فلا عصمة إلا للرسل عليهم السلام، وواقع البابوات دليل على كثرة أخطائهم، بل وشركهم وكفرهم ...(٤).

---

(١) «مصادر النصرانية» (١/ ٣٥٣-٥٠٠)، «منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل» (ص ١٦٥-١٨٠)، «مختصر إظهار الحق» (٧١٥)، «منهج أهل السنة» (ص ٤٧)، «التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة».

(٢) «مصادر النصرانية» (٢/ ٦٧٥-٧٠٠)، «منهج أهل السنة» (ص ٤٩).

(٣) «مصادر النصرانية» (٢/ ٧٠٩-٩٢٨)، «دراسات في الأديان» (ص ٢٤٩-٣٦٠).

(٤) «مصادر النصرانية» (٢/ ٩١٥-٩٤٠)، «دراسات في الأديان» (ص ٢٦١).

المسألة السادسة: موقف الإسلام من مصادر النصرانية:

من القرآن: قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤]، فوصف التوراة المنزلة على موسى عليه السلام بالهدى والنور، ثم وصف ما بأيدي اليهود بأنه محرف مبدل دلالة على أنها غير الأولى، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [آل عمران:٧٨]، يعلمون: كذبهم وتحريفاتهم. وبيَّن سبب انغماسهم في التحريف وأنه الجهل والأطماع، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٧٩].

فتبين أن ما نزل من عند الله تعالى حق لا شك فيه يجب الإيمان به وتصديقه، وذلك لا ينافي كونه منسوخاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

وهذا متوقف على صحة ما وُجد من التوراة والإنجيل، ولا سبيل إلى معرفة صحة هذه الكتب المنسوبة إلى الرسل، بل نقطع بعدم صحتها لما فيها من الأخطاء والتناقض، ولكننا نؤمن بأن الله تعالى أنزل كتباً على رسله وأنها حق، وليست هذه التي تدعيها اليهود والنصارى. ولا ننفي وجود بعض العبارات أو الكلمات مما أُثِر عن الرسل، لكنها قد اختلطت بتحريفات أهل الكتاب.

وكذلك قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]، وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة:٥٩]، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ

﴿تَعْلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران:٧١]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة:١٥].

فهذه وأمثالها مما يبين تحريف اليهود والنصارى لكلام الله تعالى وكتمان كثير منها.

ومن السنة قوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، وذلك لاختلط كتبهم، أما ما عُلم كذبه ومخالفته للحق فيكذبون به كما ذكر الله عنهم مثل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، فهذا كذب، وهكذا كل يجرى مجرى ذلك.

والأدلة في الباب كثيرة ...[١].

المسألة السابعة: شبهات أحدثت للدفاع عن مصادر النصرانية والرد عليها.

أ- من شبههم: أن المسيح بعث وأقر التوراة وأمر الله تعالى النصارى بالتحاكم إليها.

والجواب: أن المسيح لم يتمكن من إلزامهم بما أوجبه الله تعالى من الإيمان به، فكيف كان يمكنه أن يغيِّر نُسَخ التوراة التي عندهم مع كثرتها أو تمييزها لا سيما مع طلبهم له ليقتلوه ...

وأما أمر الله تعالى بالتحاكم إليها فهو أمر لأهل الكتاب في قضية الرجم والتوحيد وغيرها، فذلك إن وجدت لديهم نسخة صحيحة أو بعضها صحيح وحكَّموها، فإنها تقتضي الدعوة إلى الإيمان بنبينا محمد ﷺ والإقرار بالتوحيد... ولكنهم مع هذا لم يفعلوا وزادوا في التحريف كما ذكر الله تعالى عنهم واختلط الصحيح بالمحرف[٢].

(١) «مصادر النصرانية» (١/ ٢٣١، ٢٣٩، ٣٣٥)، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية» (٩٦)، وكتاب «موقف القرآن من التوراة» (ص ٢٥-١٠٠)، وانظر «الجواب الصحيح» (٢/ ١٨، ٢٠، ٤٤، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٦، ٢١٧)، «البحث الصريح» (٢٣٩-٣٥٠)، «مختصر إظهار الحق» (ص ٢٦)، «الفصل» لابن حزم (١/ ١٣٨، ٢٦٠، ١٣٩، ١٥٠، ١٨٤، ٢١٤) وغيرها.

(٢) «الجواب الصحيح» (٢/ ١٨، ٤٤، ٢٢٣، ٢٢٥)، «الردود المسكتة» (١٣٧- ١٣٨)، وغيرها.

ب- كيف يسمح الله تعالى بتحريف كتابه ...؟

والجواب: قدر الله تعالى ذلك كنوع من الابتلاء والاختبار للناس كشأن قتل بعض رسله، فذلك داخل فيما سبق، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، ولأنها لمجتمع خاص، فلما جاءت الرسالة العامة نُسخت.

جـ- هل القرآن مصدق لكتب اليهود والنصارى؟

الجواب: القرآن مصدق لما أنزله الله تعالى دون ما سواه مما افتراه المفترون.



المبحث الثاني

مصادر اليهود

* المسألة الأولى: مصادر اليهود تشمل العهد القديم وغيره

كالتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، وقد سبق الكلام على العهد القديم وأن اليهود إنما يعتمدون النسخة العبرية منه ...

وقد وجد للتوراة نُسخ مخطوطة زعموا أنها كتبت قبل الميلاد بثلاثة قرون، وعُثر عليها عام (١٩٥٦م) أو قبلها، ولم يظهروها لأمرٍ عجيب، وعندي أن أيديهم لا تزال تعمل على إتمام تحريفها ثم ترى النور بعدئذٍ.

ولديهم نسخة أخرى تسمى (الماسورية) أُخرجت في القرن العاشر، وهي عمدتهم، ونسخة أخرى تسمى (السبعينية) مترجمة لكنها غير معتمدة لديهم.

* المسألة الثانية: جمهور اليهود على اعتماد النسخة العبرية

ولها نُسخ عدة مختلفة اختلاف كبير، كما هو مقرر في الكتب المعتنية بذكر تحريفاتها ...

* المسألة الثالثة: هناك طوائف من اليهود تعتمد نسخاً أخرى وتنكر بعضها.

فالقرّاؤون ينكرون التلمود.

والسامريون ينكرون الأسفار كلها إلا أسفار التوراة الخمسة مع سفر يوشع، ومع ذلك فنسختهم تختلف عن النسخة العبرانية في نحو ستة آلاف موضع، كما أنهم لا يؤمنون بالتلمود ولا غيره من كتب اليهود.

وفرقة الصدوقيون لا يقرون إلا بالأسفار الخمسة فقط، وينكرون ما عداها من الأسفار والتلمود وغيرها.

وفرقة الإصلاحيين ينكرون الوحي في العهد القديم وإنما هو مجمع الناس مع تعظيمهم له، ولا يأخذون منه إلا التشريعات الأخلاقية دون العبادات والعقائد، وأنكروا التلمود وأنه كان لعصره خاصة.

وفرقة المحافظين يقرون بالعهد القديم ويعتبرون التلمود نتاج ثقافي لليهود يستفاد منه وليس وحياً.

وفرقة الأرثوذكسية اليهودية مع فرقة الفريسيين يؤمنون بالكتاب المقدس مع التلمود، ويعتبرون التلمود هو الوحي الشفوي المنزل على موسى عليه السلام وهم أغلب اليهود...[(١)].

* المسالة الرابعة: الكلام على التلمود.

وهو كما يزعمون (الوحي الشفوي) معناه أنه غير التوراة المكتوبة، وفيه تعليم ديانة وآداب اليهود وشرح للتوراة.

وتم تدوينه في القرن الثاني الميلادي وسموه (المشناة) ثم شرحوه في قرونٍ بعد ذلك وسموا الشرح (جمارا) وسموها (التلمود) وهو نوعان: (تلمود بابل) و(تلمود فلسطين) ...

وقد اشتمل على غرائب وتحريفات أكثر مما في التوراة بكثير أفردها بعض الباحثين في مجلدات ...[(٢)].

* المسألة الخامسة: الكلام على بروتوكولات حكماء صهيون.

وهي مخطط تطبيقي لأهداف صهاينة اليهود (مأخوذ بعضه من الكتب السابقة) وكتابتها

---

(١) راجع مراجع فرق اليهود السابقة، والموسوعة (١/ ٥٠٠)، «دراسات في الأديان» (ص ٩٦-١٠٠)، «الصهيونية النصرانية» (ص ١٢٥-١٧٠) وغيرها.

(٢) انظر «التلمود وموقفه من الإلهيات/ ثلاثة مجلدات»، «دراسات في الأديان» (ص ١٢٢-١٢٦) وغيرها.

متأخرة (عام ١٨٩٧ م) لغرض السيطرة على العالم، وفيه تدمير العالم اقتصادياً ودينياً وأمنياً ... إلخ كما سبق شرحه، وقد تُرجم إلى العربية عام (١٩٥١م) وكتبت عليه ردود كثيرة ...(١).

وأما استير ويهوديت: فهما كتابان يحكيان قصة امرأة استخدمت جمالها وفتنتها في رفع الظلم عن اليهود ...(٢).

* المسألة السادسة: مصادر أخرى لفرق يعود أصلها إلى اليهود أو النصارى.

١- الصهيونية النصرانية: يعتمدون الكتاب المقدس بعهديه كما تقره البروتستانت، ويعتمدون كتاب (عيسى ولد يهودياً) للوثر، وكتابه (اليهود وأكاذيبهم) وكلاهما دفاع عن اليهود ودعوة إلى إقامة دولة لهم في فلسطين.

ومن كتبهم (الاستعادة العظمى العالمية) وغيرها ...(٣).

٢- كتب العلمانية والماسونية: تعتمدها طوائف من اليهود والنصارى.

٣- الكتاب المقدس للمورمون: زعموا أنها مخطوطات منذ أيام آدم عليه السلام، وهذه دعوى مضحكة مكذوبة كذباً غير مرتب.

- وكتاب (المورمون) زعموا أنه وجد قبل الميلاد بآلاف السنين، وهو عمدتهم، ويحكي زيارة المسيح للقارة الأمريكية بعد قيامه من موته مباشرة - حسب زعمهم -، وهذا الكتاب نزل به ملك من السماء اسمه (موروني) على يوسف سميث ... وهذا يناقض الكلام السابق.

- ولهم كتب أخرى سموها (العهد القديم) و(العهد الجديد) وكلاهما كما سبق من

---

(١) انظر «دراسات في الأديان» (ص ١٢٧-١٣٠)، «الموسوعة» (١/ ٥٢٠-٥٢٤).

(٢) «الموسوعة» (١/ ٥٠١).

(٣) انظر «الصهيونية النصرانية» (ص ١٢٥-١٧٤).

(الكتاب المقدس) وفيه من الشرك والكفر والغرائب الشيء الكثير كما سيأتي كلٌّ في بابه...[(١)].

٤- كتاب (الطريق) (القيمة الإلهية للإنسان) وغيرهما من كتب (الأبو سديي)، ويعتبرونه مقدسة وهي في الجملة تابعة (للكاثوليك).

٥- (المبدأ المقدس) تأليف صن مون زعيم (المونية) وهو يحكي مبادئ اليهودية بدعوى أنه أوحي إليه، ويسعى لتوحيد الأديان، وحقيقته: تحطيم الأديان ونشر الفساد ...

****

(١) انظر «الموسوعة» (٢/ ٦٣٩-٦٤١).

المبحث الثالث

مصادر الفرق الوثنية

* المسألة الأولى: مصادر الصابئة

لديهم عدد من الكتب مكتوبة باللغة السامية وغيرها.

أ- الكنزاريا (زعموا أنه صحف آدم): يحكي نظام تكوين العالم والحساب وغيرها.

ب- دراسة إديهيا (أي: تعاليم يحيى): يحكي تعاليمه وحياته.

جـ- سدرة إدنشاماثا (تعاليم متفرقة): حول التعميد والحداد والدفن ...

وكتب أخرى بعضها من كتب التنجيم والسحر ...

وفيها من الشرك والوثنية والبدع الشيء الكثير كما سيأتي ...(١).

* المسألة الثانية: مصادر الهندوسية.

لديهم كتب كثيرة بلغات مختلفة، ومن أهمها:

أ- الفيدا: وفيه حكايات وآراء فلسفية وقصص حول الآريين، وفيه وحدة الوجود، وشركيات، وسحر وطلاسم ...

ب- قوانين منو: فيها محاربة الإلحاد (الجينية والبوذية) وشرح معالم الهندوسية.

جـ- مها بهارتا وكيتا وغيرها: تحكي الحروب الواقعة في الهند قبل الميلاد.

د- يوجا واس تها: يحتوي على (٦٤ ألف بيت) في أمور فلسفية ولاهوتية.

هـ- راما يانا: كتب السياسة وخطب الملك (راما) ...(٢).

---

(١) «الموسوعة» (٢/ ٧١٥-٧١٦).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٧٢٥) وغيره.

* المسألة الثالثة: مصادر الشنتوية.

مصدرهم الأكبر العادات المتوارثة.

* المسألة الرابعة: مصادر الطاوية.

من مصادرهم كتاب (طاوتي تشينغ) ومعناه: طريق القوة مع دعوى نزول الوحي عليهم كما زعم شانغ عام ١٤٢م، وكتاب (سوانغ «موسوعة الطهارة») كتاب فلسفي وفيه خرافات كدعوة قدرة الإنسان على الطيران والخلود، ولهم أدب فلسفي سري يؤدون القسم على كتمانه وكتب أخرى في الكيمياء، وتسمى هذه عندهم بالكتب المقدسة.

وأنى لها التقديس وهي آراء وتجارب بشرية مع مخالفة كثير منها للعقل والشرع مع ما تحمله من الوثنية.

* المسألة الخامسة: مصادر الجينية.

من مصادرهم ما يسمونه بالكتاب المقدس (عبارة عن خطب وإجابات لأسئلة) ألقاها (مهافيرا) في ولاية بتنا، مع خطب وكلمات لأتباعه مدونة باللغة السينكرية أو السنسكرتية ومؤخراً (القرن الخامس ميلادي) جمعت عدة كتب لهم من تراثهم مع اختلافهم فيها وأعظمها عندهم (توارت سوترا) وتشتمل مصادرهم على الإلحاد والأساطير وحياة لا هدف فيها ولا قيمة لها.

* المسألة السادسة: مصادر الكونفوسية.

من مصادرهم (الكتب الخمسة) من تأليف مؤسسهم تتحدث عن الأغاني والتاريخ والفلسفة والطقوس والربيع والخريف، و(الكتب الأربعة) من تأليف المؤسس وشروح تلاميذه وتتحدث عن السياسة والأخلاق وغيرها، وقد اشتملت هذه الكتب وغيرها على

الإلحاد تارة والوثنية تارة والإباحة المحدودة...(١).

* المسألة السابعة: مصادر البوذية.

من مصادرهم إلى جانب العادات الموروثة:

- مجموعة قوانين البوذية ومسالكها.

- مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا.

وهي معتمدة على الآراء الفلسفية والاتجاه الإلحادي والرياضة النفسية والبدنية ومخاطبة الخيال والأوهام والسير في ركب الخرافات والتسول، فالبوذية طائفة وثنية في طابع إلحادي سلبية دنيا وديناً واقتصاداً وفكراً ...(٢).

* المسألة الثامنة: مصادر السيخية.

من مصادرهم: كتاب (آدي غرانت) وهو كتابهم المقدس ونحوه كتاب (كرانته صاحب) وكتاب (راحت ناما) والأول فيه آلاف الأناشيد والثاني فهي تعاليم باللغة الكورمكية ...، واشتملت هذه الكتب على عقائد السيخ المزيج من الهندوسية والاتحاد والتناسخ وغيرها مع عادات أخرى مخالفة للشرع والعقل ...(٣).

* المسألة التاسعة: المهاريشية.

مصدرها أفكار مؤسسها الإلحادية الإباحية واستغراقهم في التأملات وهي الوحي عندهم، مع ما ورثوا من بعض الأفكار الهندوسية والبوذية، وتأثرات بمذاهب ملحدة كالفرويدية وغيرها ...

---

(١) انظر لما سبق «الموسوعة» (٢/ ٧٣٣، ٧٣٦، ٧٤٣، ٧١٥)، «فصول في أديان الهند» (ص ١٥٤-١٥٦).

(٢) «فصول في أديان الهند» (١٣٤-١٣٨)، «الموسوعة» (٧٦١).

(٣) «الفصول» (ص ١٦٦-١٧٠)، «الموسوعة» (٧٦٨).

المبحث الرابع:

مصادر المذاهب والحركات الإلحادية

* المسألة الأولى: مصادر الفلاسفة.

من مصادرهم كتب الفلاسفة اليونانيين هي مصدر جميع الفلاسفة من الوثنيين والإلحاديين وأهل الكلام والعقلانيين والفلاسفة العرب كابن سيناء وغيرهم، إلى جانب أن بعضهم يزيد مصادراً أخرى كما سيأتي.

* المسألة الثانية: مصادر اللذة.

من مصادرهم إلى جانب كتب الفلاسفة كتاب (مقدمة الأصول) لجيرمي بنتام وغيره...[(١)].

* المسألة الثالثة: مصادر الأفلاطونية الحديثة.

من مصادرهم إلى جانب كتب الفلاسفة كتب أفلوطين (ت ٢٧٠م) المليئة بالوثنية والسحر والأساطير، وكتاب (أسرار مصر) شرح فيها أديان مصر الوثنية، وكتاب (مبادئ اللاهوت) و(لاهوت أفلاطون) خليط من النصرانية والوثنية والفلسفة وغيرها ...[(٢)].

* المسألة الرابعة: مصادر العقلانية.

وعمدتهم كتب الفلسفة والكلام، وتقديم العقل ونتاج فكره على غيره.

* المسألة الخامسة: مصادر الإنسانية.

من مصادرهم كتب الأدب اليوناني الفلسفي وكتاب (المذهب الإنساني) لفرانسيس بوتر

(١) «الموسوعة» (٢٠/ ٧٩٠).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٧٩٣-٧٩٤).

وغيره، وهذه المصادر ونحوها تحمل طابع الإلحاد والفلسفة والفوضى والإباحة وفقدان الحياة الروحية الصحيحة ...(١).

* المسألة السادسة : مصادر الوضعية.

معتمدة على الفلاسفة والمبادئ الاشتراكية وكتاب (محاضرات في الفلسفة الوضعية) وغيره وهو كسابقه ...(٢).

* المسألة السابعة: مصادر المثالية.

أفكار المؤسس جورج باركلي من أهم مصادرهم والتي تعد خليطاً من النصرانية والفلسفة وتقديس العقل ...(٣).

* المسألة الثامنة: مصادر الوجودية.

مذهب فلسفي يعتمد الفلسفة الإلحادية، وكتب المؤسس كجورد (رهبة واضطراب) وغيره، وهي كالوضعية ...(٤).

* المسألة التاسعة: مصادر الفرويدية.

تعتمد على التحليل النفسي والرؤى وتفسير الأحلام ونحو ذلك، وأفكارهم تدور غالباً حول الجنس – كما يقال – والإباحة مع وميض من الأفكار اليهودية ...(٥).

---

(١) «الموسوعة» (٢/ ٧٩٩-٨٠١).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٨١١-٨١٢)، «المذاهب الفكرية المعاصرة» (٢/ ٩٩١-٩٩٢).

(٣) «الموسوعة» (٢/ ٨١٥).

(٤) «الموسوعة» (٢/ ٨١٨)، «المذاهب الفكرية المعاصرة» (٢/ ٨٥٥-٨٥٨)، «رسائل في الأديان» (ص ٣٢٣-٣٢٤).

(٥) «الموسوعة» (٢/ ٨٢٦-٨٢٩).

* المسألة العاشرة: مصادر الكلاسيكية.

يعتمد الأدب الفلسفي اليوناني والروماني مع كتب متأخرة ككتاب (فن الأدب) لنيكولا (ت ١٧١١م) وغيره، ويحمل طابع الوثنية والحكايات والأساطير والحلول ونحوها ...[(١)].

* المسألة الحاديةَ عشر: مصادر الرومانسية.

تعتمد على المشاعر النفسية الأدبية والخيالات وبساطة التعبير، وفيها من الإلحاد والحرية الفردية والإباحة والوثنية وعدم الاعتداد بالعقل، بل الجري وراء الخيال والعاطفة ...[(٢)].

* المسألة الثانيةَ عشر: مصادر الحداثة.

يعتمدون الأدب الفلسفي مأخوذ من الفرويدية وسائر الملاحدة، ويتظاهرون بالشعر الحر ولهم دواوين فيه ...[(٣)].

* المسألة الثالثةَ عشرَ: مصادر والواقعية والانطباعية والبرناسية والميتافيزيقية وغيرها.

أشبه بما سبق ...[(٤)].

* المسألة الربعةَ عشرَ: مصادر الرأسمالية.

وهي نظام اقتصادي ديمقراطي تعتمد على الفلسفة الديمقراطية والنظم الاقتصادية اليهودية واللادينية، أشبه بمذهب المنفعة، فمرجعهم ومصدرهم حصول المنفعة بأي طريق كانت ...[(٥)].

---

(١) «الموسوعة» (٢/ ٨٥٥-٨٥٧).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٨٥٩-٨٦١).

(٣) «الموسوعة» (٢/ ٨٦٧-٨٦٩)، وكتاب «الحداثة في الميزان».

(٤) «الموسوعة» (٢/ ٨٧٢-٩٠٩).

(٥) «الموسوعة» (٢/ ٩١٠-٩١٧).

* المسألة الخامسة عشر: مصادر الاشتراكية.

أفكار المزدكية مع بلورتها على يد ماركس ورفقائه، ومجموعة المؤلفات الكبرى للينين، وقاعدتهم (الغاية تبرر الوسيلة) مع تأثر الشيوعية باليهود والعقلانية والمدارس الإباحية كالوجودية والوضعية ... فجمعت بين الإلحاد والفساد والعناد ...[١].

* المسألة السادسة عشر: مصادر الداروينية.

مصدرهم أفكار داروين وأتباعه ...[٢].

* المسألة السابعة عشر: مصادر الباطنية.

وهم من جملة الملاحدة، وأهم مصادرهم:

يستقون من مذهب مزدك والمجوس والاتحادية والإباحية، وشيء كثير من مذهب الرافضة الإمامية ...

وذكر الذهبي في «السير» (١٥/ ١٤٤) أن لهم البلاغات السبعة: فالأول للعوام، وهو الرفض، والثاني للخواص، ثم الثالث لمن تمكن، ثم الرابع لمن استمر سنتين، ثم الخامس لمن ثبت في مذهبهم ثلاث سنين، ثم السادس لمن أقام أربعة أعوام، ثم الخطاب بالبلاغ السابع وهو الناموس الأعظم[٣].

وذكر شيخ الإسلام (٣٥/ ١٥٣): ومضمون البلاغ الأعظم جحد الخالق تعالى والاستهزاء به وبمن يقر به وجحد الشرائع ...

---

(١) «الموسوعة» (٢/ ٩١٩-٩٢٣).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٩٢٥).

(٣) وهذا شبيه بما تصنعه بعض الجماعات الحزبية اليوم.

ومن مصادرهم: علم الباطن، من علمه عندهم ارتقى عن رتبة التكاليف(١).

قال شيخ الإسلام (٣٥/ ١٣٥): «علم الباطن الذي يدَّعون مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...

ولهم ألقاب وترتيبات ركبوها من مذهب المجوس والفلاسفة والرافضة...(٢).

ومن مصادرهم الخاصة ببعض فرقهم إلى جانب ما سبق:

- اليزيدية: كتاب (الجلوة لأصحاب الخلوة) وغيره للملحد المعروف بالشيخ حسن (ت ٦٤٤هـ) ولديهم مصحف اسمه (رش) فيه تعاليم الطائفة، وهذان من الكتب المقدسة لديهم، وفيها من الكفر والوثنية والغرائب الشيء الكثير.

- القرامطة: ومن مصادرهم (رسائل إخوان الصفا) وفيها كفريات القرامطة.

- الإسماعيلية: ومن مصادرهم أفكار المؤسس ميمون القداح كما سبق إلى جانب بعض أفكار الهندوس.

- النصيرية: ومن مصادرهم أفكار مؤسس الطائفة ومؤلفات حسين الخصيبي والرسالة القبرصية لحاتم الطوباني (ت ٧٠٠هـ)، وتأثروا بالهندوس فقالوا بالتناسخ والحلول وغير ذلك.

- الدروز: ومن مصادرهم (رسالة التنبيه والتأنيب) وغيرها للسموقي، و(الميثاق الخاص) وتأثروا بالهندوسية كسابقتهم، و(رسائل الحكمة) لحمزة وللسموقي، ولهم مصحف اسمه (المفرد بذاته) و(النقض الخفي) ادعى فيه حمزة الدرزي نقض الشرائع كلها ... وإلحادهم واسع جداً.

---

(١) ومنهم استقت الصوفية هذه الفكرة.

(٢) وانظر «هتك أستار الباطنية» (٤٨-٥٢).

- الحشاشون: ينطلقون تحت شعار (لا حقيقة في الوجود، وكل أمر مباح) وهم فرقة باطنية مصادرهم واحدة، ومصدرهم الأكبر تعاليم (الإمام شيخ الجبل) زعيمهم الذي لا يخالفونه في شيء ...[1].

****

(١) انظر «الموسوعة» (١/ ٣٦٩-٤٢٠)، و«أسرار فرقة الحشاشين» (ص ٦٠، ٢٠٤)، «القاديانية» لأحمد بن حجر (ص ١٣٥)، «البهائية وموقف الإسلام منها» (ص ١٢٤) وغيرها.

الباب الثالث

في التوحيد والعقيدة

ويشمل فصلين:

١- عقائد الإسلام في التوحيد والإيمان بالله تعالى (والشرك بالله تعالى)

٢- عقائد الملل والنحل في التوحيد الإيمان بالله تعالى (والشرك به سبحانه)

الفصل الأول

عقائد الإسلام في التوحيد والإيمان بالله تعالى

(والشرك بالله تعالى)

ويشمل مباحث:

المبحث الأول: مسائل الإيمان بوجود الله تعالى

المبحث الثاني: مسائل الربوبية.

المبحث الثالث: مسائل الألوهية.

المبحث الرابع: مسائل أسماء الله تعالى وصفاته.

المبحث الخامس: مسائل الشرك بالله تعالى.

المبحث الأول

في تعريف التوحيد والإيمان وأهميته

* المسألة الأولى: تعريف الإيمان بالله تعالى.

الإيمان لغة: هو الإقرار والتصديق.

والإيمان بالله تعالى: الإقرار والتصديق الجازم بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء: الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته، فإذا لم يؤمن العبد بهذه الأشياء الأربعة فإن إيمانه بالله تعالى لم يتم، فإن الإيمان بالله تعالى يتضمن هذه الأشياء الأربعة.

فيشمل الإيمان بوجود الله تعالى الإيمان بأنه الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء.

والإيمان بأن الله تعالى هو رب كل شيء وخالقه ومدبره وأنه لا نظير له.

والإيمان بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ولا ند له.

والإيمان بأن الله تعالى متصف بصفات الكمال المطلق منزه عن كل عيب ونقص فلا مثيل له»(١).

---

(١) وانظر «شرح الطحاوية» (ص ٧٦)، «الطريق إلى الإسلام» (ص ٥١)، «جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود» (ص ٨١)، «شرح القواعد المثلى» (ص ١٨-١٩) ط الآثار.

فمن أنكر وجود الله تعالى فليس بمؤمن ومن أنكر ربوبية الله – ولو في بعض مخلوقاته – فليس بمؤمن، ومن أنكر ألوهية الله فليس بمؤمن، ومن أنكر أسمائه وصفاته فليس بمؤمن.... أ.هـ

* المسألة الثانية: تعريف التوحيد:

التوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد أي: اعتقد الشيءَ واحداً.

شرعاً: إفراد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

ووحَّد الله: اعتقد اللهَ تعالى واحداً لا شريك له في ربوبيته ولافي ألوهيته وعبادته ولافي أسمائه وصفاته.

والله جل وعلا واحد لا شريك علم الناسُ ذلك أو جهلوه.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤] الأحد: المنفرد بالكمال الذي له الأسماءُ الحسنى والصفات الكاملة العليا والأفعال المقدسة المثلى الذي لا نظير له ولامثيل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لمّا بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله تعالى...»، رواه البخاري في صحيحه.

قال المقريزي رحمه الله تعالى: واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيدُ الله تعالى غير أن التوحيد له يشمل أمرين:

الأول: أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله، ويسمى هذا القول: توحيداً وهو مناقض التثليث الذي يعتقده النصارى...

والثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة أو إنكار لهذا القول...» ا.هـ

«تجريد التوحيد» (ص ٥١-٥٢). فـ(لا إله إلا الله) تعني توحيده وإفراده بما سبق(١).

* المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالله تعالى وتوحيده:

الإيمان بالله تعالى أصل الأصول وأهم المهمات وأشرف العلوم وهو الأساس الأول الذي تقوم عليه العقائد الصحيحة والمناهج السليمة ومن أجله خلق الخلق وأنزلت الكتب وبعثت الرسل قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح:١٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «إن أصل العلم الإلهي ومبدأه ودليله الأول عند الذين آمنوا هو الإيمان بالله ورسوله...»، «الفتاوى» (٢/ ١).

وقال: «إن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي تصير إليه الحادثات فهو الأصل الجامع فالعلم به أصل كل علم وجامعه، والعمل له أصل كل عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته... وبهذا جاءت النصوص الإلهية في أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات إلى النور وضرب مثل المؤمن وهو المقر بربه علماً وعملاً بالحي والبصير والسميع والنور والظل، وضرب مثل الكافر بالميت والأعمى والأصم والظلمة والحرور...»، «الفتاوى» (٢/ ١٦).

(١) انظر «الفتاوى» (٣/ ٧٤)، «بدائع التفسير» (٥/ ٣٦٧)، «تفسير السعدي لسورة الإخلاص»، «ابن تيمية ومنهجه في التوحيد» (ص ٥١-٥٣)، «فتاوى ابن باز» (١/ ٣٤)، «الشرح الجديد على القول المفيد» (ص١١١-١١٥) وغيرها.

فالإيمان والتوحيد أعدل العدل وأحسن الحسنات وأعظم الطاعات وأجلُّ القُّربات، وهو أصل الدين وأساسه، وعماد الحق ورأسه، وبه أنزلت الكتب وبعثت الرسل، ولأجله خُلق الكون والجنة والنار والملائكة، وهو أفضل الأعمال المتعين على كل أحد والذي لا يصح شيء من الشُعب والطاعات إلا بعد صحته.

* وله ركنان:

الأول: إفراد الله تعالى بالعبادة.

والثاني: أن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فالأول نفيٌ للشرك والإلحاد بجميع أنواعه، والثاني نفيٌ للبدع والمعاصي بجميع أنواعها.

فالإسلام هو التوحيد والسنة والطاعة، والكفران هو الشرك والبدعة والمعصية. فلا سعادة ولا نجاة ولا صلاح إلا بالتوحيد والسنة والطاعة. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨](١).

****

(١) انظر «شرح مسلم» (٢/ ٤)، «الفتاوى» (١/ ٢٣/ ٨٦/ ٩٦)، «الاستغاثة» (١/ ٢٩٠/ ٢٩٣)، «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٠)، (٢/ ٩٣٢)، «البدائع» (/ ٦٧١) ط دار الفوائد، «تجريد التوحيد» (ص ٥١)، «مجموع الرسائل النجدية» (٣/ ٤٤٦-٤٤٧) وغيرها، وانظر قواعد التوحيد (الأولى - الثانية - والتاسعة).

المبحث الثاني

في إثبات وجود الله تعالى

إن الإيمان بوجود الله تعالى دلت عليه الكتب والشرائع والرسل والآيات الشرعية والكونية والعقل والإجماع والفطرة...

فالقلوب مفطورة على الإيمان به ولا يجحده إلا شرار الناس وسنستعرض بعض الأدلة على إثبات وجود الله تعالى رداً على الملحدين والمعطلين وجهلة الوثنيين وغيرهم.

❋ المسألة الأولى: أدلة وجود الله تعالى من القرآن الكريم. هننننا

١ – قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] أي خالقهم ومدبرهم.

٢ – قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور:٣٥].

فإن مَن قال: وُجِد الخلق دون سبب ولا خالق فهذا محال ممتنع عقلاً وشرعاً وفطرة وحسًّا، فلابد لكل موجُود من موجِد لاسيما وهذه المخلوقات على هذا النظام البديع المتَّسِق المتآلف يدل على أن لها خالقاً علياً عظيماً قديراً حكيماً.

ومَن قال: هذه المخلوقات هي الخالقة لنفسها.

فهذ محال ممتنع عقلاً وشرعاً؛ فإن الشيء لا يخلق نفسه لأنه قبل وجوده كان معدوماً فكيف يخلق نفسه؟

فإذا امتنع التقدير الأول والثاني لم يبق إلا قول واحد وهو: أن هذه المخلوقات لها خالق

أوجدها من عدم وهو الله سبحانه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، ومن قال بغير هذا فقد خالف الشرع والعقل والفطرة.

٣- قوله تعالى في قصة موسى عليه والسلام مع فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الشعراء:٢٣-٢٦] الآيات. وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٩-٥٠] الآيات.

وكان فرعون ملحداً فأجابه موسى بأن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض وما بينهما ومدبر أمورها وخالق الأولين والآخرين ورب المشرق والمغرب ومدبر العالم ومُنَظِّم أمره...

فغُلِب فرعون وانقطعت حجته واعترف بقلبه بأنه عاجز عن خلق دجاجة فضلاً عن السماوات والأرض، وإذا كان فرعون يدعي الربوبية على قومه فمن خالق فرعون ومن رب وخالق آباء فرعون قبل وجود فرعون؟ لقد بُهت وأقر في نفسه لكن منعه الكبر من الاعتراف ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] الآية.

وقال سبحانه في خطاب موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:١٠٢]، فلما أدركه الغرق جهر بما في نفسه وفطرته من الاعتراف بالخالق سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠].

٤- قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام مع الملحد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ﭐﻟﻈَّٰﻠِﻤِﻴﻦَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة:٢٥٨].

وهذا الملحد (النمرود) كان ينكر وجود الله تعالى، حمله على ذلك الكبر وطول الملك فسأل إبراهيم عن ربه فقال إبراهيمُ ربي هو الخالق لهذه الكائنات من عدم الذي أحياها بعد أن لم تكن ثم يميتها وهذا دليل على وجود خالق قدير فعَّال لما يريد وهو الذي أدعوك إلى عبادته وتوحيده.

فزعم الملحد أنه يحي ويميت بقتل شخص أو العفو عنه، وهذه حجة ساقطة فذلك ليس كما ادَّعى... فانتقل معه إبراهيم إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ أي: إذا كنت تدعى القدرة على الإحياء والإماتة فالذي له قدرة على ذلك فإنه يقدر على تغيير مسار الكواكب والشمس والقمر؟

فبهت وأقر بعجزه وأقر بالحجة لإبراهيم عليه السلام.

٥- الآيات في محاجة إبراهيم لقومه في سورة الأنعام والآيات التي فيها ذكر الخلق والبعث والرسالات وغيرها.

* المسألة الثانية: أدلة وجود الرب سبحانه من السنة النبوية:

١ - قوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء»، الحديث رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه. وهو صريح على أن وجود الله تعالى سابق للخلق فهو الأول فليس قبله شيء خالق الأشياء.

٢- قوله لرسل كسرى حين جاءوا إليه يزعمون أن ربهم كسرى أمرهم بأن يحضروا الرسول ﷺ إليه فقال لهما: «إن ربي قد قتل ربكما الليلة».

فحجَّهما بأن كسرى ليس ربًّا بل الرب الذي يحيي ويميت ويعلم الغيب.

* المسألة الثالثة: دلالة الفطرة على وجود الله تعالى:

والفطرة هي الخلقة التي خلق الله تعالى عبادة عليها من سلامة القلوب ومحبة الخير والإقرار بالخالق سبحانه.

وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وقوله ﷺ: «قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء»، رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث... متفق عليه.

وفي رواية: «يولد على هذه الملة»، وفي رواية: « على فطرة الإسلام».

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فأصل علمهم وعملهم هو العلم بالله تعالى والعمل لله عز وجل وذلك فطري كما قد قررته في غير هذا الموضع وبينت أن أصل العلم الإلهي فطري ضروري وأنه أشد رسوخاً في النفوس من مبدإ العلم الرياضي كقولنا: الواحد نصف الاثنين ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين، لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي فما يُتَصور أن تعرض عنه فطرة....» (١).

وقال: «وأما قول من قال: ولدوا على فطرة الإسلام أو على الإقرار بالصانع - وإن لم يكن ذلك وحده إيماناً - أو على المعرفة الأولى يوم أخذ الميثاق عليهم فهذه الثلاثة لا منافاة بينها بل يحصل بها المقصود.

والكتاب والسنة دلَّ على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله تعالى الذي هو معرفة الله سبحانه والإقرار به، وبمعنى أن ذلك موجب فطرتهم، وبمقتضاها حصوله فيها إذا

(١) «الفتاوى» (٢/ ١٥).

لم يحصل ما يعوقها، فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط بل على انتفاء مانع...»، «درء التعارض» (٨/ ٤٥٤).

ومن دلالة الفطرة: أن الإنسان يجد نفسه مندفعة إلى خالق تعبده وتخضع له وتلجأ إليه عند الحاجة أكثر وهذا الشعور تابع للشعور بوجود الله تعالى والإقرار به، لا يقدر على دفع ذلك.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

ولذلك جاءت الرسل بالدعوة إلى توحيد العبادة أولاً لإقرار كثير من الأمم بالله تعالى وبربوبيته

* المسألة الثالثة: دلالة الميثاق الأول على وجود الله تعالى:

وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢] الآية.

فأخرجهم من ظهر آدم وظهور آبائهم حقيقة ثم كلمهم فأجابوا بلسان المقال: بلى شهدنا.

والفطرة من آثار هذا الميثاق ومن جعلهما واحدًا ففي قوله نظر.

* المسألة الثالثة: دلالة آيات الرسل على وجود الله تعالى:

إن من أقر بالنبوة وإرسال الرسل حصل لهم المعرفة بالله تعالى بثبوت النبوة من غير نظر ولا استدلال في دلائل العقول، فهو يؤمن بالرسول وبمن أرسله سبحانه ولوكان واقعاً في شركيات كحال العرب واليهود والنصارى ونحوهم فهم يقرون بوجود الله تعالى، وعلى هذا الوجه كان إيمان المسلمين من جميع الأمم المؤمنين بالرسل من أهل التوحيد من باب أولى وفي

هذا رد على علماء الفلاسفة والكلام.

وهكذا آيات الرسل دالة على وجود الله تعالى ووحدانيته من وجوه:

١- أن الآيات يُعلم بها صدق الرسل المتضمن إثبات مرسِله كما سبق شرحه،

٢- أنها دالة بنفسها على ثبوت الخالق سبحانه المحدث لها وأنه أحدثها لتصديق الرسول كما حصل في آيات موسى عليه السلام فإنه أرسله إلى فرعون الجاحد بالله تعالى فأراه الآيات الكبرى واستدل بها على إثبات إلهية ربه سبحانه وإثبات نبوته جميعاً كما قال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء:٢٩-٣٣].

ولهذا قال السحرة لما عارضوا معجزتَه بسحرهم وبطل سحرهم وتبيَّن أن تلك آية لا يقدر عليها المخلوقون: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف:١٢١-١٢٢]، فكان إيمانهم بالله لما شاهدوا معجزة موسى ﷺ فكانت المعجزة مبينة للعلم بالخالق وبصدق رسوله....

وهذا الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الخالق وصفاته وأفعاله فإنها جمعت بين الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها ولهذا يسميها الله آيات بينات..(١)

ومن ذلك ما جاءت به الرسل من علوم وأحكام وأخبار وغيرها فإنها محكمة متقنة صحيحة لا تتناقض ولا تَفسُد بوجه على مرور الآلاف السنين ولا تنسخ إلا بأمر رب العالمين...

فعلى الدعاة التركيز على هذا الأمر وإعطاؤه حقه.

---

(١)) انظر «الفتاوى» (١١/ ٣٧٧-٣٨٠)، «درء التعارض» (٩/ ٤١-٤٤) «الصواعق» (٣/ ١١٩٧). وغيرها.

* المسألة الثالثة: دلالة الآيات الكونية على وجود الله تعالى:

كالسماوات والأرض والشمس والقمر ونحوها.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

وراجع استدلال إبراهيم وموسى عليهما السلام بالآيات الكونية على إلهية الله تعالى ووجوده كما سبق

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وأما مقارنة الحق سبحانه لهذه المخلوقات: فهو ما اشتملت من الحكم والمصالح والمنافع والآيات الدالة للعباد على إلههم ووحدانيته وصفاته وصدق رسله وأن لقاءه حق لاريب فيه ومن نظر في الموجودات ببصيرة قلبه رآها كالأشخاص الشاهدة الناطقة بذلك بل شهادتها أتم من شهادة الخبر المجرد لأنها شهادة حال لا يقبل كذباً، فلا يتأمل العاقل المستبصر مخلوقاً حق تأمله إلا وجده دالاً على فاطره وبارئه وعلى وحدانيته وعلى كمال صفاته وأسمائه وعلى صدق رسله وعلى أن لقاءه حق لاريب فيه.

وهذه طريقة القرآن في إرشاده الخلق إلى الاستدلال بأصناف المخلوق وأحوالها على إثبات الصانع وعلى التوحيد والمعاد والنُّبوات ....

فقف الآن عند كل كلمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الجاثية:٣-٥]...(١).

(١) انظر «البدائع» (٤/ ١٥٩٠-١٥٩٨) وهو كلام جميل يا حبذا لو أُفرد وتُرجم إلى لغات عدة.

وكما ذُكر عن أعرابي أنه قال: سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج، أفلا تدل على العليم الحكيم.

وكما ذُكر عن بعض السلف احتج على بعض الملاحدة حيث ذكر لهم أن سفينة وجدت صدفة وشحنت بضائع بمفردها وتحركت في البحر حتى أتت العراق فأفرغت البضائع دون سائق ولا مساعد... فأنكروا ذلك وأنه مستحيل فقال لهم: فهذه السماء والأرض والجبال والمخلوقات كيف توجد صدفة دون خالق ولا مدبر؟ فبهتوا...(١).

ودلائل إثبات وجود الله تعالى كثيرة جداً.

* تنبيه:

وقد اعتبر عدد من الباحثين إثبات وجود الله تعالى هو توحيد الربوبية والصواب تباينهما في مسائل والله أعلم.

****

(١) راجع «الإجماع» لشيخ الإسلام (ص ٢٣٧)، «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١٦٤)، «الفتاوى» (٢/ ١٥-٢٠، ٤٠)، «الصواعق» (٣/ ١١٩٥-١٢٠٠)، «حقيقة التوحيد» (١٣١-١٤٥)، «الأصول الثلاثة مسألة: معرفة العبد ربه»، وكتاب «الآيات الدالة على الله تعالى» لإبراهيم آل عيسى، وكتاب «إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته»، «الطريق إلى الإسلام» (ص ٥١-٥٥)، «منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة» (١/ ٢٧٦-٢٩٠) وغيرها.

المبحث الثالث

في توحيد الربوبية

* المسألة الأولى: في تعريف توحيد الربوبية:

هو: إفراد الله تعالى في أفعاله وجلاله.

كالخلق والرزق والتدبير والملك والأمر والإحياء والإماتة ونحو ذلك.

فلا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا مالك إلا الله سبحانه ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢].

وأدلة إثبات الربوبية كأدلة إثبات وجوده سبحانه وتعالى بالقرآن والسنة والعقل والفطرة.

فالإقرار بربوبية الله تعالى أمر فطري لا يحتاج إلى كثرة أدلة فلم ينكره إلا بعض الأمم كما سبق في المبحث الذي قبله وإثبات وجود الله تعالى وكماله يلزم منه إثبات ربوبيته. والذي نريد أن نبينه هنا اختصاص الرب سبحانه بالربوبية.

* المسألة الثانية: تفرد الله عز وجل بالربوبية وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [البقرة:٢٠]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [الإخلاص:١-٢]، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وأخص وصف الرب ليس هو صفة واحدة، بل علمه بكل شيء من خصائصه وقدرته على كل شيء من خصائصه وخلقه لكل شيء من خصائصه...».

«الرد على البكري ١/ ٣١٥).

وقال: من عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه فهو مشرك. (الفتاوى ١٣/ ١٩).

ودليله قوله تعالى عن المشركين وهم في النار يختصمون مع مَن كانوا يعبدونهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

فدين الإسلام ليس فيه تسوية المخلوق بالخالق في شيء من الربوبية بل فيه توحيد الرب سبحانه لا يشاركه في خصائصه نبي مرسل ولا ملك مقرب

ومن توحيد الربوبية: ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يطلب من غيره.

كطلب المغفرة والرحمة ومحو الخطيئة أو النفع أو دفع الضر ونحو ذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨](١).

* المسألة الثالثة: تنزه الله عز وجل عن النقائص:

جاء الإسلام الحنيف بتعظيم الله عز وجل ووصفه بالكمال المطلق فله الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال المثلى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ

---

(١) وانظر «الفتاوى» (١/ ١٠٤-١١٠)، «الفتاوى» (١٣/ ١٨-١٩)، «الاستغاثة» (١/ ٣٩٠)، «الاستقامة» (١/ ٣٤٤)، «المدارج» (١/ ٣٥٢)، «الشرك في القديم والحديث» (١/ ١٢٠)، «قواعد ابن تيمية في الرد المخالف» (ص ٥٩)، «ابن تيمية ومنهجه في التوحيد» (ص ٧٣-٧٦).

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤].

وهو الملك القدوس المنزه عن كل عيب ونقص كالولد والصاحبة وعدم العلم والفتور والفقر وغير ذلك... فهذه النقائص ممتنعة في حق الله عز وجل لكماله وعظمته وغناه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١]، فنزه نفسه سبحانه عما يصفونه به من النقائص ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوا به الرب سبحانه ثم حمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته وأفعاله.

وقال سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١]، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه:٥١-٥٢]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤]، والآيات والأحاديث التي تنفي عن الله عز وجل النقص والعيب كثيرة.

واعلم أن كل نفي ورد في حق الله سبحانه فإنه متضمن إثبات كمال ضده.

فنفي العجز لكمال قد رته ونفي الصاحبة والولد لكمال غناه ووحدانيته ونفي النوم والسنة لكمال حياته وقيوميته... وهكذا نفي الشريك والمعين ونحوها لكمال عظمته وملكه وقدرته... والأصل في النفي الإجمال كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]، وهذا ليعم نفي كل نقص.

وقد يأتي مفصلاً لنفي ما ادعاه الكاذبون كقوله: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم:٩١-٩٢]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ

﴿أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨] رداً على اليهود وغيرهم.

أو لدفع توهم كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان:٣٨]...(١).

* المسألة الرابعة: وجوب دفع الوساوس في مسألة الربوبية:

جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول الله فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقرأ: آمنت بالله ورسله. فإن ذلك يذهبه عنه»، رواه أحمد (٦/ ٢٥٧).

وهو في الصحيح بلفظ: «لايزال الناس يتسألون حتى يقال: هذا خَلْقُ الله فمن خَلَقَ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ورسله».

وفي رواية: «فليستعذ بالله تعالى ولينته».

وفي رواية عند أبي داود: «فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يساره – ثلاثاً – وليستعذ من الشيطان».

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: دلت هذه الأدلة الصحيحة على أنه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: من خلق الله؟

أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما جاء في الأحاديث المذكورة...

ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة.

وأعتقد أن من فعل ذلك طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ مخلصاً في ذلك أنه لابد أن تذهب

---

(١)) راجع «الصفدية» لشيخ الإسلام (١/ ١١٦)، «التدمرية» (ص ٥٧)، «القواعد المثلى/ قواعد الصفات».

الوسوسة عنه ويندحر شيطانه؛ لقوله صلى الله عليه سلم: «فإن ذلك يذهب عنه».

وهذا التعليم النبوي الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية...(١).

* المسألة الخامسة: الإيمان بالأسماء والصفات لله عز وجل من الإيمان بالربوبية.

جاء الإسلام (القرآن والسنة) بما يشفي ويكفي في هذا الباب كما هو مقرر في (قواعد الأسماء والصفات) ومنها:

الإيمان بالأسماء الحسنى والصفات العليا لله تعالى أحد أركان الإيمان بالله تعالى.

أسماء الله تعالى كلها حسنى وصفاته عليا كاملة: أي بالغة في الحسن أكمله لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أسماء الله تعالى وصفاته لا تماثل أسماء وصفات خلقه قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: واتفق سلف الأمة وأئمتها: أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في صفاته ولا في أفعاله.

وقال بعض الأئمة: من شبه الله سبحانه بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً.

وقال آخر: والمسلمون متفقون على أن الله تعالى لا يقاس بخلقه في أفعاله كما لا يقاس بهم

---

(١) «الصحيحة» (١١٦-١١٧-١١٨)، وانظر «الآيات الدالة على الله تعالى» (ص ١٢٧-١٣٣)، (وشرح الأحاديث) و«معالم السنن» (٤/ ١٣٦).

في ذاته وصفاته فليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله...[١]

❋ المسألة السادسة: معرفة آثار أسماء الله تعالى وصفاته في الكون:

فالخلق أثر لِاسْمِهِ الخالق وما تضمنه من وصف، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فصلت:٣٩]، فهذا كله من آثار اسمه القدير وما تضمنه من صفات، وكل خير ولطف وبركة هي من آثار رحمته سبحانه واسمه الرحيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد:٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [القصص:٧٣]، فالليل والنهار من آثار رحمته.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: مَن تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها وَوَضْعها في مواضع النفع بها محكمة عَلِمَ قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه ا. هـ (١/ ١٠٠) من تفسيره

وهذا باب واسع لا يحاط به في مجلد...[٢]

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ١٤٥)، «الفتاوى» (١/ ١٢٦)، «منهاج السنة» (١/ ٤٤٧)، «الجواب الصحيح» (٣/ ١٢٠)، «البدائع» (١/ ١٦٠- ١٧٠)، «ابن تيمية ومنهجه في التوحيد» (٢٠٥- ٢٠٧)، «القواعد المثلى وشروحها» وغيرها.

(٢) انظر كتاب: «الفتاوى ٥/ ٤٩٤»، «البدائع» (١/ ١٦٢)، «آثار أسماء الله الحسنى وصفاته الإلهية في الكون والإنسان: لحمد شيلي»، والقواعد المثلى «القاعدة الثالثة للأسماء».

المبحث الرابع

في توحيد الألوهية

* المسألة الأولى: في تعريف توحيد الألوهية:

هو: إفراد الله عز وجل بالعبادة.

وسمي توحيداً: نسبة إلى الإله الواحد سبحانه فإنه المعبود بحق وحده لا شريك له، ولأن العبادة لا تكون صحيحة مقبولة إلا إذا قصد العابد بها التقرب إلى الله تعالى وحده سبحانه.

فتبين أن من عبد الله تعالى وعبد غيره أنه غير موحِّد بل مشرك كافر، وأكفر منه من عبد غير الله تعالى فقط وأعظم شركاً وكفراً منهما من أنكر وجود الله تعالى وعبادته... (١)

* المسألة الثانية: أدلة توحيد الألوهية:

* أولًا: من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ

---

(١) «الإبانة لابن بطة ٦٩٣-٦٩٤»، «الاستقامة» (٢/ ٣١)، «الفتاوى» (٢/ ٤٤٩)، «ابن تيمية ومنهجه في التوحيد» (ص ١٠٨-١١٠)، «الشرح الجديد على القول المفيد» (ص ١١١-١٢٤)، «فتاوى ابن باز» (١/ ٣٨-٤١) وغيرها.

﴿وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] أي: يخلصون العبادة لله والإخلاص: هو إفراد الله تعالى بالعبادة قصداً وعملاً وقولاً.

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]، فالله هو الإله الواحد الحق سبحانه، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩].

قال ابن القيم في معنى (لا إله إلا الله): تضمنت هذه الشهادة الدلالة على وحدانية الله المنافية للشرك وعدله المنافي للظلم وعزته المنافية للعجز وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل والقدرة والعلم والحكمة ولهذا كانت أعظم شهادة... «المدارج» (٣/ ٤٦٠).

* ثانيًا: من السنة:

وهي كثيرة ومنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم... أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً...»، رواه مسلم.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تبايعون؟» قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً...»، رواه مسلم.

وعن ربيعة الدِّيلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، رواه أحمد(١).

(١) وانظر كتاب: «بلوغ السعادة من أدلة توحيد العبادة» للبدير.

ولا يتم فلاح وتوحيد العبد حتى يأتي بالشهادتين ويبرأ مما خالفهما لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» متفق عليه.

وعن أبي مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » رواه مسلم.

*** ثالثًا: الأدلة العقلية على توحيد العبادة (الألوهية):**

كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢]، فهي تدل على أنه لوكان في هذا الكون أكثر من إله واحد لفسد نظامه وحاله كما قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: لو قُدِّر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود، والمشاهدُ أن الوجود منتظم متسق كلٌ من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال... ا.هـ من تفسيره.

فهذا يدل على عدم وجود رب آخر أو إله آخر منافس في الألوهية واستحقاقها.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء:٤٢] أي: لطلبوا معه الملك والتدبير ولنازعوه على ذلك.

وقيل: لطلبوا سبيلاً إلى الله وإلى رضاه عنهم لأنهم دونه.

وعلى كلا القولين: فعدم حصول ذلك دليل على عدم وجود آلهة أخرى تستحق العبادة والألوهية...[(١)].

* رابعًا: ومن الأدلة أيضاً: تفرد الرب سبحانه بالكمال وصفات الجلال.

ولذلك احتج سبحانه واحتجت الرسل عليهم السلام على أقوامهم في بطلان آلهتهم بما فيهم من النقائص كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧] إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل:٢٠-٢١]. وقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء:١١٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف:١٩٤]، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف:١٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء:٦٩-٧٤]، وقوله: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات:٨٦-٨٧] إلى قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩١-٩٦].

فتأمل هذه الآلهة التي عبدوها وهي مخلوقة ولا تقدر على الخلق بل هي جماد لا تشعر

---

(١) انظر كتب التفسير، «شرح الطحاوية» (ص٣٥-٣٦)ط ابن تيمية، «ابن تيمية ومنهجه في التوحيد» (ص ١٢٥-١٢٨).

بشيء ولا تقدر على جلب نفع ولا تدفع ضرًّا عن نفسها فضلاً أن تدفع عن غيرها...

بل لا تسمع ولا تبصر ولا تفهم الخطاب فأين عقول هؤلاء الذين يعبدونها؟

* المسألة الثالثة: أولَّ واجب على العبادة توحيد الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن إلا الله وأن محمداً رسول الله...» متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله...» متفق عليه.

وهو بمعنى الرواية الأخرى: «فليكن أولَّ ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله».

وعلى هذا سار جميع الرسل - كما سيأتي - أول ما دعوا أقوامهم إليه توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة والألوهية.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: السلف والأئمة و متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ...[1].

(١) «درء التعارض» (٨/ ١١-١٢) و(٨/ ٧٠٦)

قال: الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه كما أخبر الله تعالى عن نوح وهود وصالح وشعيب... (١)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: فالتوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق (٢).

* المسألة الرابعة: أصل التوحيد وأساسه: شهادة أن لا إله الله، وأن محمداً رسول الله:

فشهادة أن لا إله الله: معناها: لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له.

والإله: أي: المألوه المعبود، والألوهية: العبودية الحقة لله تعالى.

* ولها ركنان:

١) نفي استحقاق العبادة عن غير الله تعالى.

٢) إثبات أحقية الله تعالى بالعبادة.

فـ(لا إله) تنفي أن يوجد إله حق غير الله تعالى، و(إلا الله)تثبت العبادة له سبحانه.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

وكقوله ﷺ: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم»، رواه البخاري.

وشهادة (أن محمداً رسول الله) معناها: أن محمداً مبعوث من الله تعالى بالحق إلى الإنس والجن كافة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فالشهادتان متلازمتان لا تقبل أحدهما إلا بالأخرى كما سيأتي بعد قليل أن العبادة لابد

---

(١) «الفتاوى» (١٦/ ٣٣١).

(٢) «المدارج» (٣/ ٤١١).

فيها من الإخلاص والإتباع.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ولهذا كان رأس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه... (١)

والعبادة: هي كل ما أمر الله تعالى به، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والظاهرة والباطنية... (٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وتوحيد الألوهية هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله وفعل ما يحبه وترك ما نهى عنه الله ورسوله وموالاة أوليائه ومعادة أعدائه... «الرسائل والمسائل» (١/ ٤).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء والرجاء والتوكل والرغبة الرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها كلها لله تعالى... فمن صرف منها شيئاً لغير الله سبحانه فهو مشرك كافر... «الأصول الثلاثة»(٣).

* المسألة الخامسة: جميع الرسل اتفقوا على الدعوة إلى التوحيد والطاعة لله تعالى والنهي عن الشرك والمعصية:

وذلك أمر أوضح من عين الشمس في نصف النهار وأدلته من القرآن والسنة والعقل

---

(١) «الفتاوى» (١٠/ ١٥).

(٢) «العبودية» (ص ٣٨).

(٣) وانظر «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (١/ ٢٥٠).

والإجماع...

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود:٢٥-٢٦]، ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود:٦١]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود:٨٤]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وهكذا جميع الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، والآيات كثيرة في هذا.

ومن السنة قوله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، والمراد: اختلفت شرائعهم في أشياء واتفقوا على التوحيد والرسالات والبعث والآخرة والأخلاق ونحو ذلك.

قال الشيخ ربيع غفر الله له: تلك هي دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم أولو العزم منهم، الأنبياء والذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين ألفاً ومئة ألف يسيرون في دعوتهم على منهج واحد وينطلقون من منطق واحد وهو التوحيد...(من كتابة منهج الأنبياء).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما التوحيد الذي ذكره الله تعالى في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله.

هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما بيَّن ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، فأخبر أنه إله واحد لا يجوز أن يُتخذ إله غيره، فلا يعبد إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، وكما قال سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢]... «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٥٦٤).

وقال: أفضل الكلام ورأس الإسلام: هو شهادة أن إله إلا الله.

وله ضدان: الكبر والشرك...

ولفظ (الإسلام) يتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص، وقد عُلم أن الرسل جميعهم بُعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك كما قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة:٤٤]، وقال موسى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس:٨٤]، وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [البقرة:١١٢]، وقال الخليل لما قال له ربه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة:١٣١-١٣٢]، وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف:١٠١] ونظائره كثير... (١)

وقال: «وله معنيان - أي الإسلام -:

أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو الذي بُعث به جميع الأنبياء كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) «الفتاوى» ٧/ ٦٢٣- ٦٢٤) وانظر (١١/ ٢١٩) وغيرها.

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج... (١)

وقال: فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية فالاعتقادية: كالإيمان بالله ورسله وباليوم الآخر... والعملية: كالأعمال العامة المذكورة في سورة الأنعام والأعراف وسورة بني إسرائيل كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] إلى آخر الآيات الثلاث، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] إلى آخر الوصايا. وقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأعراف:٢٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف:٣٣] الآيات فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع، وغيرها... (٢)

* المسألة السادسة: دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين:

الأول: أن لانعبد إلا الله وحده لا شريك له.

والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ.

فالأول: هو الإخلاص والتوحيد والثاني هو الاتباع والسنة

والأول: يتضمن البراءة من الشرك وأهله.

والثاني: يتضمن البراءة من البدع وأهلها.

---

(١) (ص ٦٣٥-٦٣٦/ «الفتاوى» المجلد السابع).

(٢) «الفتاوى» (٢/ ١٣)، وانظر «الفتاوى» (١١/ ٤٩٧)، (١٤/ ٣٢٦)، «تطهير الاعتقاد» (ص٧) الأصل الثاني)، «مجموع مؤلفات السعدي» (٦/ ٣١٢/ ٣٢٤)، «الجامع الفريد شرح كتاب التوحيد» (ص ١/ ٢٥٧) وغيرها

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

والعمل الصالح الحسن هو ما اجتمع فيه التوحيد والسنة، وما لم يكن كذلك فهو مردود على صاحبه.

وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام وأساسه فلا دين صحيح إلا ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولفظ (الإسلام) يتضمن الإخلاص والاتباع، فلابد في الاسلام من الاستسلام لله تعالى وحده والإخلاص حتى يَسْلم القلب والعمل من الشرك له سبحانه ولا استسلام لله تعالى إلا بالانقياد لشرعه الذي جاء به رسوله ﷺ (١).



(١) «الفتاوى» (٧/ ٦٣٧-٦٣٥)، «اقتضاء الصرط المستقيم» (٢/ ٣٧٣-٣٧٧) ط العاصمة. «المدارج» (١/ ٨٣-٨٥)، «الجواب الكافي» (ص ١٩٦)، «تجريد التوحيد» (ص ٩٥)، «الدرر السنية» (٢/ ٢٢) وغيرها.

المبحث الخامس

قاعدة: لا صلاح ولا سعادة إلا بالتوحيد

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: واعلم أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: «أتدري ماحق الله على عباده؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ماحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم ألا يعذبهم».

وهو يحب ذلك ويرضى به عن أهله ويفرح بتوبة من عاد إليه كما أن في ذلك لذة العبد وسعادته ونعيمه... فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله تعالى إن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصحابه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

﴿لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢]، فإن قوامهما بأن تأله الإله الحق.

فلو كان فيهما آلهة غير الله تعالى لم يكن إلهاً حقاً إذ الله تعالى لاسمي له ولا مثل له.

واعلم أن فقر العبد إلى الله تعالى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به... فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ولا صلاح لها إلا بلقائه.

ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله تعالى فلا يدوم ذلك..... وأما إلهه فلابد له منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦]، وكان أعظم آية في القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

* واعلم أن هذا الأمر مبني على أصلين:

أحدهما: على أن نفس الإيمان بالله تعالى وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان وكما دل عليه القرآن... ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة، والمتفقه، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] أي: وإن وقع في الأمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفاً، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب ولذة الأرواح وكمال النعيم وذلك لإرادة وجه الله تعالى والإنابة إليه وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن القلوب إليه ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبداً، قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥] فهذا أصل.

الأصل الثاني: النعيم في الدار الآخرة أيضاً مثل النظر إليه لا كما يزعم طائفة من أهل الكلام ونحوهم أنه لا نعيم ولا لذة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكح ونحو ذلك بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء المأثور: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»، رواه النسائي وغيره، وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ نادى منادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه» وهو الزيادة.

فبين النبي ﷺ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله تعالى في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم لأنهم تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره...(١)

وقال(٢): والعبد كلما كان أذل لله تعالى وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً له كان أقرب إليه وأعزَّ له وأعظم لقدره فأسعد الخلق أعظم عبودية لله تعالى.

وأما المخلوق كما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره...

وقال في «الاستقامة»(٣): وأهل هذه الكلمة (يعني لا إله إلا الله) هم السعداء فمن مات عليها دخل الجنة كما ثبت في صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من

---

(١) «الفتاوى» ١/ ٢٤-٢٧) وما بعده.

(٢) ص ٣٩.

(٣) (١/ ٢٩٣).

مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة...».

وقال رحمه الله تعالى: وأما الحق المبين فهو أن كمال الإنسان في أن يعبد الله علماً وعملاً كما أمره ربه تعالى وهؤلاء هم عباد الله وهم المؤمنون والمسلمون وهم أولياء الله المتقون وحزب الله تعالى المفلحون وجند الله الغالبون وهم أهل العلم النافع والعمل الصالح وهم الذين زكوا أنفسهم وكملوها، كملوا القوة النظرية العلمية والقوة الإرادية العملية كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص:٤٥]، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧]، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، ...(١)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

الباب السادس: أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده معبوده وغاية مطلوبه وأحب إليه من كل ما سواه ... ولهذا كان صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب.

فالأول: من معنى ألوهيته، والثاني: من معنى ربوبيته.

فإن الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً.

والرب: هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى مصالحه فلا إله إلا هو ولا رب إلا هو فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل فكذلك إلهية ما سواه.

(١) «الفتاوى العراقية» (٢/ ٧٢٠) ط: المكتب الاسلامي.

وقد جمع الله بين هذين الأصلين في مواضع من كتابه كقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:١٢٣].

وذكر سبعة أدلة – وقال: فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين لمعنيي التوحيد اللذين لا سعادة للعبد بدونهما ألبته.... (وذكر كلاماً طويلاً جميلاً نحو كلام شيخ الإسلام[(١)])

وقال رحمه الله تعالى: إن محبة الله سبحانه والأنس به والشوق إلى لقائه والرضا به وعنه: أصلُ الدين، وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله: أصل علوم الدين كلِّها فمعرفته أجل المعارف وإرادة وجهه أجل المقاصد وعبادته أشرف الأعمال والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام...

فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من محبته سبحانه والأنس به والشوق إلى لقائه.

وقال العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتابه (أصل عظيم من قواعد الإسلام:

القاعدة الخامسة: الدين الإسلامي هو الصلاح المطلق ولا سبيل إلى صلاح البشر الصلاح الحقيقي إلا بالدين الإسلامي...[(٢)]

والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة... كما قال بعضهم: مساكين أهل الغفلة

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٠ – ٩٦) ط ابن الجوزي، وانظره نحوه في «طريق الهجرتين» (١/ ١١٦-١٢٩) ط عالم الفوائد و(ص ٦٤٣).

(٢) «مجموع مؤلفات السعدي» (٦/ ٣٣٢-٣٣٨).

خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها...

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه...(١)



(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩٣٠-٩٣٥) في كلام جميل فراجعه. وانظر «بدائع الفوائد» (٢/ ٦٧١-٦٧٢) ط دار عالم الفوائد.

المبحث السادس

في مسائل الشرك بالله تعالى وأسبابه

* المسألة الأولى: الأصل في البشرية التوحيد والشرك طارئ عليهم:

دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع فالأمة مجمعة على ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢]، وأدلة الفطرة وقد سبقت في المسألة الأولى. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس:١٩]. كانوا أمة واحدة على التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى أن وقع الشرك ابتداءً في قوم نوحٍ عليه السلام، وعلى هذا جميع الملل لا يخالف في ذلك إلا الملاحدة(١).

* المسألة الثانية: تعريف الشرك وبيان أنواعه:

الشرك بالله سبحانه: هو تسوية غير الله تعالى بالله سبحانه فيما هو من خصائصه سواء كان في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات أوفي جميعها.

---

(١) «الفتاوى» (٢٠/ ١٠٦-١٠٧)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩٤٢)، «الشرك في القديم والحديث» (١/ ١٨١-٢٠٠)، «رسالة في الشرك ومظاهره» (ص ١١١) وغيرها.

* وتفصيل ذلك:

١ - الشرك في الربوبية: باعتقاد شريك لله تعالى في الخلق أو التدبير أو النفع أو غيرها.

مما اختص الرب جل وعلا به من صفات الربوبية والوحدانية في ذاته وأفعاله.

ويدخل فيه من جعل للكون خالقين أو أكثر كالمجوس...

ومنه إنكار قدرة الرب سبحانه على البعث والنشور، ودعوى أن النجم أنزل المطر أو أن برهما خلق العالم أو أن شخصاً يجلب النصر على الأعداء... وهذا الشرك من أعظم الشرك وقد أبطله الله تعالى بالأدلة الكثيرة كما سبق (عند الكلام على توحيد الربوبية.

٢ - الشرك المناقض لوحدانية الرب سبحانه في أسمائه وصفاته:

وذلك باعتقاد شريك لله تعالى في أسمائه وصفاته أو جحدها.

ويدخل فيه من اعتقد أن غير الله تعالى يعلم الغيب أو له قدرة كقدرة الله تعالى ونحو ذلك ومنه تمثيل الخالق بالمخلوق أو تمثيل المخلوق بالخالق...

ومنه تعطيل صفاته سبحانه وتحريف معانيها...

وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

٣- الشرك في الألوهية (الشرك في العبادة).

وهو: صرف العبادة أو بعضها لغير الله تعالى من صنم أو حجر أو جن أو إنس أو حيوان أو كواكب أو بقر أو غير ذلك.

وهذا الشرك يكون في أعمال القلوب والجوارح كالمحبة والتوكل والخوف والرغبة والذكر والدعاء والصلاة والسجود والذبح والنذر والحج والطواف... وغيرها.

وقد أبطل الله تعالى ذلك في أدلة كثيرة سبق كثير منها، وكقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى

ﭐلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤]

الآية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨].

٤- شرك التعطيل: وهو إنكار وجود الله تعالى أو صفاته وأفعاله كشرك فرعون والنمرود وغيرهما - كما سبق.

كما قالت الدهرية: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤] فرد عليهم سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ [الجاثية:٢٤] فلا علم ولا عقل.

وهذا أقبح أنواع الشرك وأعظم أنواع الكفر. وقد سبق الرد عليهم وسيأتي مزيد أيضاً في بابه(١)

* المسألة الثالثة: في معنى الكفر وأنواعه:

١- الكفر والشرك قرينان فإذا أطلق أحدهما شمل الآخر، وإذا اجتمعا افترقا في المعنى، والكفر أعم من الشرك فالاستحلال كفر وليس بشرك وسب الدين (مثلاً) كفر وليس بشرك ونحو ذلك...

(١) راجع «الفتاوى» (١/ ٨٨)، «الصواعق» (٣/ ١٠٢٨)، «الشرك في القديم والحديث» (١/ ١١٧-١٨١)، «الجواب الكافي» (ص ١٥٠-١٥٢)، «شرح القول المفيد» باب الشرك وأنواعه. وغيرها.

ومنه تكذيب الرسل والكتب المنزلة، والنفاق وغيرها مما تكون كفراً ولا تكون من الشرك عند التفصيل (١)

٢- تعريف الكفر: هو ضد الإيمان.

قال شيخ الإسلام: الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله... (٢)

* وهو أنواع:

أ- كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل أو أحدهم ويكون بالقلب.

ب- كفر الجحود: وهو الكفر باللسان مع اعتراف القلب كفرعون والملاحدة.

ج- كفر الاستكبار: وهو أن يعرف الله تعالى بقلبه ولسانه ويستكبر عن عبادته كإبليس.

د- كفر الإعراض: وهو أن يعرض بقلبه وسمعه عن الله تعالى ورسوله فلا يصدق ولا يُكَذِّب.

هـ- كفر الشك: وهو أن يشك في ما جاء به الله تعالى ورسوله فلا يجزم بصدقه

و- كفر النفاق: وهو أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

ز- كفر الشرك: وهو ما سبق آنفاً (٣).

٣- ويكون بالقلب أو اللسان أو الجوارح أو بها جميعاً.

بالقلب كمن يشك في وحدانية الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ [النحل:١٠٦]، وباللسان كَسَبِّ الرب سبحانه أو إنكار شرعه أو تكذيب رسله... ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [التوبة:٧٤].

---

(١) «التكفير وضوابطه» للرحيلي (٨١- ٨٤) وغيرها.

(٢) (الفتاوى ١٢/ ٣٣٥).

(٣)) انظر «المدارج» (١/ ٣٤٦)، «التكفير وضوابطه» (٩٥-١٠٤) وغيرها.

وبالجوارح كعمل السحر ومناصرة الكفار محبة لدينهم وغير ذلك: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

* المسألة الرابعة: أصل الشرك اتخاذ الوسائط:

ومعنى ذلك: أن يتخذ العبد بينه وبين الله سبحانه واسطة من الخلق يعبدهم من أجل أن يتوسطوا له عند الله تعالى في جلب نفع أو دفع ضر.

وهو أصل الشرك في قوم نوح والأمم بعدهم كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] الآية وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: إن المشركين من العرب وأمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء يتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم إلى الله تعالى وهذا كان أصل شرك العرب قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣]...(١)

وهذا كفر بإجماع الرسل عليهم السلام وبإجماع المسلمين(٢).

وأصل اتخاذ الوسائط ناتج عن تمثيل الله تعالى بالمخلوق كالملوك الذين يتوسط إليهم بالوسائط وهذا كفر برأسه أي التمثيل واتخاذ الوسائط إنما يكون لعدم العلم بحال الناس من ذوي الحاجات أو لعجز الملك عن تدبير رعيته فيتخذ له أعواناً ونواباً أو لقلة رغبته في نفع

(١) (شرح الطحاوية ٣٦- ٣٧).

(٢) وانظر «الفتاوى» (١/ ١٢٣- ١٢٤)، «الداء والدواء» (ص ٢٥٢-٢٧٢) ط ابن تيمية.

المحتاجين....

وكل هذا لا يجوز في حق الله تعالى: فالله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافيه يسمع دعاء العبد أينما كان وبأي لغة كانت... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وهو سبحانه القادر على كل شيء الغني الكريم وهو الرحيم بعبادة فلا يحتاج إلى معين ولا ظهير: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ:٢٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] الآية. فعُلِم أن اتخاذ الوسائط شرك يضر صاحبه، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨](١).

* والمشركون في هذا نوعان:

الأول: متخذو الوسائط البشر والملائكة والحيوان ...

والثاني: متخذو الوسائط من الكواكب ونحوهم كقوم إبراهيم(٢).

وكلاهما قد زاد على ذلك عبادة قبور زعمائهم أو قبور الأنبياء والأولياء وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام حمه الله تعالى: والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين أولهما تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها وهذا أول الأسباب التي ابتدعها الآدميون وهو شرك قوم نوح ...

ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب... ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة أو

---

(١) الفتاوى (١/ ١٢٦-١٣٨) وانظر «إغاثة اللهفان» (١/ ١٢٩-١٣٠)، «كتاب كشف الشبهات».

(٢) «الفتاوى» (١/ ١٥٧-١٥٩).

الجن وضعت الأصنام لأجلهم(١) .

وتطور الأمر عند أهل الكتاب حتى بنوا على القبور مساجد وعبدوا غير الله تعالى وحجتهم اتخاذ الوسائط (الشركية) وذلك من أصول الشرك (٢) ولذلك كان من قواعد التوحيد: (لا يجتمع قبر ومسجد أبداً).

والحقيقة: أن مما حمل هؤلاء على الشرك: إساءة الظن بالله تعالى كما قال سبحانه: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله تعالى... «إغاثة اللهفان» (١/ ١٢٩)، كما أن من أصول الشرك مخالفة الرسل عليهم السلام(٣)، ومن أصول الشرك التشبه بالكافرين(٤) .



(١) «الفتاوى» (١٧/ ٤٦٠)، «الرد على المنطقيين» (ص ٢٨٥)، وانظر «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩٥٧).

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٢٩٠) ط دار الكتب العلمية.

(٣) «الفتاوى» (٢٨/ ٤٦٠).

(٤)) «الاقتضاء» (١/ ٣٥٢)، (١/ ٣٤٩-٣٥١) و(ص٧٢) «الجامع الفريد» (١/ ٤٨٧-٤٨٨).

الفصل الثاني

عقائد الملل والنحل والطوائف والمذاهب...

في مسائل الإيمان بوجود الله تعالى والربوبية والألوهية

والأسماء والصفات

(وفي الشرك بالله تعالى)

ويشتمل على عدة مباحث

المبحث الأول
في عقائد التوحيد والإيمان بالله تعالى والألوهية والربوبية والأسماء والصفات
وفي (الشرك) عند النصارى

* المسألة الأولى: الإيمان بوجود الله تعالى:

النصرانية باعتبار أصلها تؤمن بوجود الله تعالى وإن كان هذا لإيمان تخالطه أمور فضيعة مثل دعوى أن وجود الرب ووجود المسيح واحد - عند بعضهم -أزلاً وقول بعضهم بالاتحاد وبالحلول... - كما سيأتي.

* المسألة الثانية: عقائد النصارى في الربوبية والأسماء والصفات:

* أولاً: معنى الربوبية عندهم:

الرب عندهم: هو الأب الخالق الأزلي ضابط الكل، خالق السماوات والأرض.

وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل الدهور نور من إله حق مولود غير مخلوق...

من كتاب «الأمانة للنصارى» [(١)].

وفي رساله راهب فرنسا: إن المسيح هو الرب المحيي المميت...

وفي الأمانة قالوا: إن الله أحدي الذات ثلاثي الصفات...[(٢)]

وقال[(٣)]: والمسيح عندكم هو الإله الخالق الذي يقال له: اغفر لنا وراحمنا...

فخلاصة القول أن الرب هو الخالق المدبر... وأن الرب هو المسيح عندهم أو حل في المسيح عند بعضهم... إلخ.

* **والجواب على ما قالوه:**

١- أن الرب سبحانه خلق المسيح[(٤)] فكيف يكون الخالق هو المخلوق المحدث فهذا جمعٌ محال وتناقض ظاهر كما قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩١].

٢- أن المسيح تعرض لما يحصل للبشر من الخوف والمؤاذاة له، وأنه يأكل الطعام...

وهذا صفات المخلوق لا صفات الخالق الكامل سبحانه قال سبحانه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة:٧٥-٧٦].

---

(١) كما نقله شيخ الإسلام. «الجواب الصحيح» (٢/ ١١٦) وانظر «الصراع العقائدي في الأندلس» (ص ٩٤).

(٢) كما في «الجواب الصحيح» (٢/ ١١٧).

(٣) (٢/ ١١٥)

(٤)) المسيح عليه الصلاة السلام نبي كريم ورسول عظيم، لكن ليس له من الربوبية شيء، وحاشاه أن يدعي ذلك.

٣- إذا كان المسيح لم يقدر على دفع اليهود عنه وأنهم قتلوه كما تزعمون فكيف كان ربًّا، والرب سبحانه على كل شيء قدير يحيى ويميت ويغني وينصر عباده وأولياءه... فإن كنتم تصفون الربَّ بالنقائص فقد كفرتم وإن كنتم تكذبون على المسيح بأنه رب - وهو الواقع - فقد كفرتم وأشركتم بالله العظيم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢] الآيات.

٤- ويقال لهم: لو أراد الله تعالى أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه فمن يقدر على دفع ذلك عنه؟ هل يقدر المسيح على الدفع عن نفسه؟

وهل يقدر غيره على ذلك؟

الجواب: لا يقدر هو ولا غيره، فلماذا ننسب الربوبية إلى من يجوز في حقه الفناء ونجعله كالرب سبحانه وهما لا سواء؟ ولماذا نعبد الفاني ونترك الباقي سبحانه أو نشرك به؟ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة:١٧].

٥- ثم في كلامهم السابق تناقضات كثيرة ومخالفات بينها شيخ الإسلام وغيره[(١)]، ومخالفات لما في أناجيلهم من وصف المسيح بالعبودية لاسيما مخطوطات كتبهم القديمة لأنها أقل تحريفاً من غيرها ومن ذلك:

في إنحيل (متى) في أول الفصل الرابع أن المسيح قال: (لا تسجد إلا للرب إلهك وهو

---

(١))الجواب الصحيح (٢/ ١١٠-١٢٠) (الصراع العقائدي ص ٩٠-١٠٠) (الفصل لابن حزم ١/ ٢٨٣/ ١١٧)وغيرها.

وحده تعبده).

وفي «الفصل» (١١/ رقم/ ٢٥) قال المسيح: أحمدك أيها الرب رب السماء والأرض) وأمثال هذا كثير...(١).

ثانياً: وصف الرب تعالى بالنقائص في أناجيلهم وكتابهم المقدس.

إن النصارى جهلوا الربوبية الحقَّة لله سبحانه وزادوا إلى ذلك الشرك به ووصفه بالنقائص وذلك من أسباب وقوعهم في التثليث والاتحاد...

في أسفارهم وصف الرب سبحانه بصفات المخلوق كما وصفه بعضهم بالشيخ العاجز الذي أشرف على الفناء. فلذلك تسمع صياح بعضهم ليحيا الله»...(٢).

ومن ذلك وصفه تعالى بالنسيان كما في سفر التكوين (٨/ ١) والندم، كما في سفر الخروج (٣٢/ ١٤)، والتعب والإعياء كما في سفر الخروج (٣١/ ١٧)، وسفر التكوين (٢٢)، والجهل، كما في سفر الخروج (١٢/ ٢٣/ وغيره)، وأنه يُعلِّم النهب كما في سفر الخروج (٣/ ٢٤/ و ١١/ ٢٠)(٣).

ومن ذلك قولهم: إن صفات الله مخلوقة وأن أسماءه مخلوقة، ومنهم من فسر الأسماء بالتثليث، ووصف الله تعالى بأنه شخص ذو جوارح وأنه ينزل في قبة، والتشكيك في قدرة الله تعالى...(٤).

إن النصارى هم أهل الضلال والتناقض والجرأة على الله تعالى ويكفي في كفرهم هذه

---

(١) انظر (البراهين الإنجيلية لتقي الدين الهلالي).

(٢) انظر (إتين دينية ص ٢٥) (كما في مصادر النصرانية ١/ ٣١٢).

(٣) وانظر (مصادر النصرانية ١/ ٣١٣-٣١٦) (الصراع العقائدي ١/ ٣١٢).

(٤) انظر الصراع العقائدي (١٢٠ – ١٥٨) (تحفة الأريب ص ١٩٧-٢٠٠).

النقولات عنهم من كتبهم.

ثالثاً: قولهم بالتثليث المناقض لتوحيد الربوبية:

من أسس الديانة النصرانية: التثليث والصلب.

ومعنى التثليث: أن الربَّ ثلاثي الأقانيم يمتاز كل منهم عن الآخر أزلاً وأبداً لكنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد، فهو واحد حقيقة وثلاثي حقيقة حيث يتميز كل واحد من (الأب - الابن - الروح القدس) بأعمال وميزات ليست للآخر...

واختلفوا في مصدر التثليث فقيل: الكتاب المقدس، وقيل: العقل، وقيل: مجموعها... واختلفوا في تفسير (روح القدس) فقيل: هو الذي حل في مريم لدى البشارة ولايزال موجوداً يرشد الكهنة ويحل عليهم المواهب وهو روح الله وحياته...

واختلفوا في طبيعة المسيح ومشيئته كما سبق عند الكلام على فرقهم.

وعلى كلٍّ فأمرهم كما قال القس توفيق جيد في كتابه (سر الأزل): إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط في كفه. ا.هـ

والوقع أن كلامهم لا يقبله عقل ولا شرع ولا فطرة.

* والرد على عقيدة التثليث من وجوه:

١ - أنه أمر مرفوض شرعاً.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢] إلى قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] الآيات. وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ

ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢] الآيات. وقوله جل وعلا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [التوبة: ٣٠] الآيات. فدل على أن منشأ التثليث والوثنية في النصارى هو متابعة قول الكفار قبلهم كالهندوس والرومان وغيرهما - كما سيأتي عند المقارنة.

٢- التثليث مرفوض عقلاً:

وقد صرح كثير منهم بهذا، ومما يدل على ذلك أنها لا دليل عقلي عليه وأنها متناقضة مختلفة وأن دعوى استحالة الرب إنساناً محال أو استحالة الإنسان إلهاً محال أيضاً كما أن قولهم: المسيح كلمة الله بمعنى جزء منه، فهي شيء رابع - على زعمهم - فصار إلههم أربعة، وعلى قول من يؤله مريم صار الإله خمسة وعلى قول من يؤله يهوذا صار الإله ستة... وهذا أشبه بقول الوثنيين.

٣- التثليث مخالف للكتاب المقدس الذي يعظمونه:

ومن ذلك أن التوراة فيها النص على أن الإله واحد وأن ادعاء إله غير الله تعالى شرك أكبر يستحق صاحبه واللعن والقتل.

وفي إنجيل التثنية: (إن الرب هو الإله وليس آخر سواه). وفي انجيل مرقس: (الرب إلهنا رب واحد).

وورد في العهد الجديد وصف المسيح بالإنسان أكثر من سبعين مرة.

وفي إنجيل برنابا رد عقيدة التثليث وغيرها، وقد أنكره أيضاً آريوس(١) في عصره وتبرأ

---

(١) وآريوس كان يقول: عيسى مخلوق وهو خالق السماوات والأرض. وهذا باطل.

منه، كما فعل قبله برنابا حيث صرح أن ذلك من دسائس بولس.

بل صرح ابن حزم أن التثليث لم يكن في كتبهم، وصرح به يوحنا الدمشقي وهو منهم حيث قال: (إنكم لن تجدوا أيضاً التثليث أو وحدة مادة الأب والابن أو ثنائية الطبيعة في المسيح في الكتب المقدسة) [(١)].

٤- مخالفات التثليث للفطرة:

قال شيخ الإسلام: وهم يجدون نفرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث والاتحاد والحلول فإن فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وما جعله في قلوب الناس من المعارف العقلية يدفع ذلك وينفيه وينفر عنه لكن يزعمون أن الكتب الإلهية جاءت بذلك لا لأن العقول دلت عليه، مع أنه ليس في الكتب الإلهية ما يدل على ذلك بل فيها ما يدل على نقيضه وهم لا يميزون بين ما يحيله العقل ويبطله ويعلم أنه ممتنع وبين ما يعجز عنه العقل فلا يعرفه ولا يعلم فيه بنفي ولا إثبات وأن الرسل أخبرت بالنوع الثاني ولا يجوز أن تخبر بالنوع الأول فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول وقد ضاهوا في ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولداً وشريكاً... [(٢)]

٥- الدعوى بأن المتحد بالمسيح هو كلمة الله (العلم) إن أريد به نفس الذات العلمية الناطقة كان المسيح هو الأب وهو لابن وروح القدس وهذا باطل، وإن أريد أن المتحد هي الصفة فالصفة لا تنفك عن الموصوف فلا تقوم بنفسها فدعوى ذلك محال.

٦- أن إطلاق لفظ (الأب) على الله تعالى، ولفظ (الابن) على المسيح؛ ويقود إلى فهم

وانظر «إغاثة اللهفان» (٢ / ١٠٢١) ط ابن الجوزي.

(١) انظر: «أسطورة تجسد الإله» (ص ٢١١).

(٢) (الجواب الصحيح ٢/ ٩١-٩٢).

معانٍ باطلة، ومنها دعوى أن المسيح ولد الله تعالى، ومنها أنه إله، ومنها تعدد الآلهة ... وغير ذلك.

٧- التثليث عقيدة وثنية لا عقيدة شرعية.

فأصل هذه العقيدة عند قدماء الهند وقدماء المصريين واليونانيين وغيرهم كما ذكر هذا جمع من الباحثين.

فقد ذكر محمد طاهر كثير: كان قدماء المصريين يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مصوراً في أقدم هياكلهم ...

وقال محمد مجدي: الثالوث المقدس عند قدماء المصريين على مشابهته تماماً للثالوث المسيحي، سواء في عدد الأقانيم أو في خاصية كل أقنوم ... (١)

وعُرف الثالوث عند الهنود وهو بلغتهم: (ترى مورتى) أي: ثلاثة أقانيم، وعند الهندوس الثالوث (براهما) (فشنو) (سيفا) فالأول الخالق والثاني الحافظ والثالث المغني ...

وهكذا عند البوذية وغيرهم ... (٢).

رابعاً: قولهم بالصلب والفداء ومناقضته للربوبية.

والصلب: هو التعليق على خشبة حتى الموت.

وتعتقد اليهود والنصارى أن المسيح مات مصلوباً، وهو عند اليهود مستحق للعنة، وأما

---

(١) (ص ٧٨ محمد مجدي، الله واحد أم ثالوث).

(٢) وانظر للمزيد: «الفصل» لابن حزم (١/ ١١٧)، «الجواب الصحيح» (٢/ ٩٠-١٢٠، ١٥٥، ٢٤١، ٢٤٤)، (٣/ ١٣٧)، (٢/ ٣٠٧)، «مختصر تحفة الأريب» (ص ٤١-٤٥)، «مختصر إظهار الحق» (١٢٣-١٣٩)، «انلصرانية من التوحيد إلى التثليث» (٩٥-١٢٠)، «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» (٥٣-٦٨)، «دراسات في الأديان» (٢٦٩-٢٩٦)، «مقارنة الأديان: المسيحية» (ص ١١٣-١٣٠) وغيرها. «موقف ابن تيمية من النصرانية» (ص ٥٥٠-٦٢٩).

عند النصارى فيقولون: صُلب فداءً للبشر لتخليصهم من الخطيئة التي عملها آدم، فغضب الله تعالى عليه وعلى أبنائه، فكان لابد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يكون موته مصلوباً، وهذا الوسيط هو المسيح ابن الله – زعموا – ...

وهو مذكور في أناجيلهم مع اختلاف كثير بينها مما يدل على عدم ضبط القصة.

- وهم مع هذا يعتقدون أن المسيح ابن الله تعالى، وهذا مناقض للربوبية.

- ويعتقدون أن الصلب لا يكون إلا بوجود الثالوث المقدس.

ونفي التثليث يقتضي نفي الصلب والعكس.

ولا شك أن التثليث مناقض للربوبية.

* والرد عليهم:

١ – أن هذا بناءً على روايات مختلفة غير صحيحة مناقضة للشرع والعقل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة النساء:١٥٧–١٥٨]،

وسيأتي مزيد كلام على هذا في باب النبوات.

خامساً: قولهم في طبيعة المسيح ومناقضته للربوبية.

الكاثوليكية: يؤمنون بأن للمسيح طبيعتين.

ومعناه: أن المسيح إله تام وإنسان تام، فالطبيعة الأولى (اللاهوت) والثانية (الناسوت) وأن مريم ولدته بطبيعته (الإله والإنسان) وقالوا: اتحدت الكلمة بجسد المسيح وتدرعت بناسوته، وأنه عند صلبه وقع العذاب والموت على ناسوته دون لاهوته.

وأن روح القدس انبثق منهما (الأب والابن) معاً.

فالمسيح يساوي الله تعالى حسب لاهوته وهو دونه حسب ناسوته ... فالآلهة ثلاثة كل واحد متميز عن الآخر.

والأرثوذكس: يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، كذا تقول عربهم ونحوهم، وأما كنائس الروم ونحوها فتقول بالطبيعتين وأن روح القدس منبثق من الأب.

ويعنون بالطبيعة الواحدة: أن اللاهوت والناسوت شيء واحد تجسد لاهوته في ناسوته، فالمسيح هو الله تعالى، وهو ابن الله، وهو روح القدس.

وأنه هو مَن حملته مريم وولدته وصُلب ... فهذه وقعت على اللاهوت والناسوت.

وقد كفر الله تعالى الطائفة الأولى بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [سورة المائدة:٧٣] الآية.

وكفر الثانية بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة:٧٢] الآية(١).

* ولشيخ الإسلام رد جميل قال فيه:

أما قولهم: في السيد المسيح طبيعتان:

طبيعة لاهوتية: التي هي طبيعة كلمة الله وروحه.

وطبيعة ناسوتية: التي أُخذت من مريم العذراء واتحدت به.

فيقال: كلام النصارى في هذا الباب مضطرب مختلف متناقض، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معقول، ولا قول دل عليه كتاب، بل هم فيه فرق وطوائف، كل فرقة

---

(١) راجع: «الفصل» (١/ ٧٨)، «النصرانية من التوحيد إلى التثليث» (ص ١٩٩-٢٠٦)، «دراسات في الأديان» (ص ٣٧٢-٣٧٦)..

تكفر الأخرى كاليعقوبية والملكانية والنسطورية، وأقوالهم في ذلك مضطربة كثيرة الاختلاف.

ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً ...

وصار كل منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره، فمنهم من يراعي لفظ أمانتهم وإن صرح بالكفر الذي يظهر فساده لكل أحد كاليعقوبية، ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية، وكثير منهم وهم الملكانية بين هؤلاء وهؤلاء ... إلخ.»[1].

* سادساً: عقائد أخرى تناقض الربوبية:

يعتقد النصارى أن المسيح بعد صلبه قام وارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الرب على كرسيه استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليحاسب الخلائق (كما في إنجيل يوحنا ٥/ ٢٦) وغيره.

وهذا شرك في الربوبية فإن الله تعالى هو وحده يحاسب الخلائق لا غيره، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]...[2].

وهذا مناقض لمسألة الصلب والفداء فعلام الحساب وقد فداهم المسيح بنفسه.

وكذلك الأناجيل الموجودة لا تثبت فكيف يستدل بها.

التعميد: (وهو غمس الشخص في ماء معين لتطهيره من الذنوب) وهو عندهم فرض عند التطهير أو التأهيل لمنصب ما أو الدخول في دينهم، وينادون عنده: باسم الآب والابن وروح القدس.

ويتكرر مرات منها بعد الولادة ومنها بعد ذلك لمن لم يكن سبق تعميده وتكون تارة للتوبة وتارة للميت شهادة...

---

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ٣٠٧-٣٣٠)، كلام طويل بين فيه فساد قولهم من وجوه.

(٢)) «تحريف رسالة المسيح» (ص ٣٧٤- ٣٧٦) ط دار القلم، «دراسات في الأديان» (ص ٣٣٣)، «مختصر تحفة الأريب» (ص ٣٧).

* وهذا لاشك أنه شرك في الربوبية من وجوه:

أنه لا يغفر الذنوب إلا الله تعالى، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]، ونسبة ذلك إلى غيره شرك إذ أن المغفرة عندهم يقوم بها المسيح.

أنه تقرير للتثليث وقد سبق أنه كفر وشرك.

أنه متابعة للوثنيين من الهنود وغيرهم والتعميد مشهور عندهم.

زعموا أنه لابد أن يقوم بهذه المعمودية كاهن يعتقد التثليث وهذا عند جميع النصارى.

اعتقادهم كما في إنجيل يوحنا (إذا كان لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله) معناه: أنه قبل التعميد خارج ملكوت الله تعالى.

زعموا أن دخول إلى الجنة لا يمكن إلا بالتعميد وهذا غريب لا دليل عليه.

اختلفوا في كيفية التعميد ووقته اختلافاً كثيراً يدل على بطلانه.(١)

صكوك الغفران: كتاب يكتبه القسيس بأن فلاناً مغفور له...

وأصل هذا أنهم يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بجميع الذنوب للقسيس وأن كل من يخفي عنه ذنبه فلا ينفعه إقراره، ففي كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنائس ويقرون بذلك، وهكذا إذا مرض وخاف الموت فإنه يُقر بذنوبه فيغفرها له ويعتقدون أن كل ذنب يغفره القسيس فهو مغفور عند الله تعالى، وأن القسيس الأكبر هو خليفة عيسى في الأرض ويعطى لمن شاء براءة بغفران الذنوب والخلاص من النار ودخول الجنة ويأخذ على

---

(١) كتاب «التعميد عند النصارى للمسيحي»، «الجواب الصحيح» (٢/ ١٣١)، «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» (ص ١٧٩-١٨٣)، «تأثر المسيحية بالأديان الوضعية» (ص ٥٩٥-٦٠٧).

ذلك أموالاً طائلة، وكذلك يفعل نوابه في سائر البلاد...[(١)]

ولهم حق منعه كما يريدون.

وهذا من البدع المحدثة فلم يؤثر هذا عن عيسى عليه السلام ولاعن نبي قط وهو شرك فالمغفرة من خصائص الرب سبحانه وكذا إدخال الجنة والنجاة من النار فنسبتها إلى غيره حقيقة أو واسطة شرك، وكذلك القول في منعه ثم هذا القسيس الكافر من سيغفر له ذنوبه وكفره وضلاله؟

وقد أنكرت البروتستانت مسألة صكوك الغفران وكان ذلك سبب في انفصالهم، ورفضوا الكهنوت لكنهم وافقوا على سائر الكفريات...[(٢)].

وهذه الصكوك فتح باب إلى الفساد والإباحية والظلم... إلى جانب أن هذه البدعة كانت تمنح لمن يقاتل المسلمين وكان مصدرها روما ثم اتسع الأمر في القرن الثالث عشر وفي القرن السادس عشر صار الصك سلعة يباع ويشتري كسائر البضائع وكان بعضهم يقول: صكوك الغفران بها تضمون غفران الخطايا حتى تلك التي تنوون ارتكابها... إن الرب إلهنا قد سلَّم كل السلطان إلى البابا.

فيا للعجب من مكر هؤلاء ومن بلادة عقول مَن يُصدقهم.

ومن الشرك أيضاً ما اشتمله نص الصكوك وهو: (ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسة التي استجوبتها، وأيضاً من جميع الخطايا

(١) «مختصر تحفة الأريب» (ص ٥٤-٥٧)، «التحفة» (ص ١٦٩-١٧٣)، «الموسوعة» (٢/ ٦١٢/ ٦٠٧)، «مصادر النصرانية» (ص ٨٢٩).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٦٢١/ ٦٠٧)، «مصادر النصرانية» (ص ٨٢٩).

والذنوب التي ارتكبها مهما كانت عظيمة وفظيعة...)[(١)].

* المسألة الثالثة: عقائد النصارى في الألوهية:

أولاً: معنى الألوهية:

من خلال النظر في ما نُقل عن كتب النصارى يظهر أن الإله معناه عندهم: الرب المعبود (مع قولهم بالتثليث)، وعلى هذا فالعبودية لله وللمسيح والروح القدس معاً ولاشك أن هذا شرك أكبر وقد جاء رده بالكتاب والسنة والإجماع والعقل ولم يقف النصارى عند هذا الحد بل جعلوا الآلهة أكثر من ذلك حيث عبدوا الصالحين والأنبياء وغيرهم.

* الرد عليهم في أن الألوهية حق لله تعالى وحده لا شريك له:

١- من القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة:٣١] فجعل تعدد الأرباب والآلهة شركاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة:١١٦] الآيات.

فتأمل كيف تبرأ عيسى عليه السلام من هؤلاء الذين ألَّهوه وعبدوه مع الله تعالى، أو من دون الله تعالى واعترف بأن الألوهية ليست حقاً له بل هي حق الله تعالى ثم قال: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به من عبادتك وحدك، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) مصادر النصرانية (٢/ ٩٤٥-٩٥٢) مختصر تحفة الأديب (ص ٥٤-٥٧) (التحفة ص ١٦٩-١٧٣).

﴿... هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢] الآيات الثلاث. وقد سبقت.

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] فالمسيح عليه السلام لم يستكبر عن عبودية الله تعالى ولا ادعى الألوهية بل وصفه بالألوهية من صنع أعدائه الذين ابتدعوا في دينه ما لم يقله ولا يرضاه.

والأدلة في الرد عليهم كثيرة.

٢- من السنة: قوله ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»، رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب رضي الله عنه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وفي رواية مسلم: «لعن الله اليهود والنصارى...» ونحوها من الأدلة التي تنهى عن عبادة الصالحين، فالعبادة حق لله تعالى لا تصلح لنبي مرسل ولا ملك مقرب.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النصارى: ركبوا ديناً بين المسيح ودين الفلاسفة عُباد الأصنام وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوا في النصرانية فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسَّدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها ونقوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.. واستحلوا الخنزير وأحلوا السبت وعوضوا منه

يوم الأحد وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة وعظموا الصليب وعبدوه...[(١)].

وزعموا أن عيسى هو خالق السماوات والأرض والناس وهو أحق بالعبادة من الله تعالى الذي لم يخلقهم[(٢)]- زعموا - وهذا كله كذب وضلال.

٣- الإجماع:

أجمع المسلمون وسائر أهل التوحيد وهو دين جميع الأنبياء والرسل على أن العبادة حق لله تعالى وحده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما التوحيد الذي ذكره الله تعالى في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ا.هـ[(٣)]

وقال: إن أهل الملل متفقون على أن الرسل جميعهم نهوا عن عبادة الأصنام وكل معبود سوى الله تعالى...[(٤)]

٤- دليل العقل على أن الله إله واحد لا شريك له:

وهذا كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] وقد سبق.

أن كون عيسى إلهاً وعبداً في آنٍ واحد محال.

أنه يأكل ويشرب ويلبس ويمرض كسائر البشر لا مزية له في ذلك وهذه كلها لا تصلح على أن تكون أوصافاً للرب والإله إنما هي أوصاف المخلوق المربوب...

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٩- ١٠٢٣) بتصرف.

(٢) كذا ذكره ابن القيم عن بعض كبارهم.

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٥٦٤).

(٤) «الفتاوى» ٢/ ١٢٨). وانظر كتب الإجماعات للمزيد.

قولهم (إنه صلب سال دمه) وهذا وصف العبد المخلوق لا وصف الرب دل ذلك على أنه ليس بإله.

أن عيسى لم يدع الألوهية فمن أين لكم هذه الدعوى؟

خلق آدم من غير أبوين فلم يكن إلهاً فكيف يكون عيسى عليه السلام إلهاً وله أم؟! ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [ال عمران:٥٩] الآيات.

٥- الأدلة من كتبهم:

ففي إنجيل متى (٢٣/ ٩) قال: (ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد وهو الذي في السماء)، وذلك على صحته يدل على أن النبوة والأبوة الواردة في أناجيلهم يراد بها الربوبية والعبودية (أباكم) ربكم (أبنائي) أي: عبادي.

وفي أنجيل متى أيضاً: أن عيسى قال: (إنه مكتوب على كل بشر أنه لا يعبد إلا الله). «الإصحاح الرابع» (ص ٤). وأمثال هذا كثير.

وقد ذكر عبد الله الترجمان في «تحفة الأريب» (ص ٦٨) أن القسيس الذي كان يُعلم النصرانية قال له: إن دين الإسلام هو الحق. قلت: يا سيدي وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فقال: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول (١) لكانوا على دين الله تعالى، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله ولكن بدلوا وكفروا. فقلت له: يا سيدي

---

(١) راجع «مختصر تحفة الأريب» (٦٢-٦٨)، وهو التوحيد والإيمان بجميع الرسل، ولو كانوا كذلك لما كفروا بمحمد ﷺ بل لآمنوا به واتبعوه، أما من لم يتبعه فليس بمؤمن ولو ادعى أنه موحِّد.

وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ فقال: بالدخول في دين الإسلام... أ. هـ المراد[(١)].

والشاهد أن الحق هو التوحيد وأن الشرك والثالوث كفر بالله تعالى.

وحالهم كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ففي الجملة ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله تعالى إلا وقول النصارى أقبح منه[(٢)].

* المسألة الرابعة: في معنى الشرك والكفر.

من خلال النظر في معنى الإيمان عندهم الذي لا يقبل أحد إلا به والمشتمل على التثليث والصلب والفداء والتعميد... وأنه لا يدخل الجنة أحد لم يقر بها.

يظهر أن الكفر عندهم هو الكفر بما سبق أو بعضه ولذلك يكفرون المسلمين وسائر الأمم بل يكفرون بعضهم بعضاً كما حصل في مجاميعهم أكثر من مرة...[(٣)].

ومن لعنه القسيس فهو كافر لا يدخل الجنة...- وكأن الجنة ملك لهم.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد ذكر مجاميعهم: فهذه عشرة مجاميع كبار مشهورة اشتملت على أكثر من أربعة عشر ألفاً من البطاركة والأساقفة والرهبان كلهم ما بين لاعن

(١) راجع: «الجواب الصحيح» (٣/ ١٩٣)، «موقف ابن تيمية من النصرانية» (ص ٩١٧)، «تحفة الأديب» ١٨٥)، «النصرانية من التوحيد إلى التثليث» (ص ٢٨١، ٢٦١)، «البحث الصريح» (ص ١٠٣)، «تحريف رسالة المسيح» (ص ٣٨١)، «الصراع العقائدي في الأندلس» (ص ١٥٩- ٢٠٧) وغيرها.

(٢) «الجواب الصحيح» (٣/ ١٧٣).

(٣) انظر «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٢٠-١٠٢٨)، «الجواب الصحيح» (٢/ ٣٠٧)، «مصادر النصرانية» (٢/ ٧٣١-٨٢٨).

ومعلون...[١].

فانظر كيف صار الكفر عندهم إيماناً والإيمان الصحيح كفرًا، والشرك توحيداً والتوحيد شركاً... نعوذ بالله العظيم من الضلال.

* المسألة الخامسة: في ذكر بعض العبادات ونحوها:

العبادة: اسم جامع لما يحبه الله تعالى ويرضاه.

أما عند هؤلاء النصرانية فالعبادة: اسم لما شرعه القساوسة والرهبان. هذا هو الواقع كما سترى وقد قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] أي: يشرعون لهم الشرائع والحلال والحرام. وقوله تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحديد:٢٧] بينما يدعي النصرانية أن العهد القديم خالٍ من الشرائع والعبادات إلا ما ندر... كما في تفسير إنجيل متى (ج ١ ص ١٢٥).

وهذا افتراء في الجملة، فالتوراة المحرفة ليست كما يقولون، وأما توراة موسى عليه السلام فهي مشتملة على كل ما يحتاجه الناس من أمة موسى عليه السلام في زمانها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾ [الأنعام:١٥٤]، ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٤٥] الآية.

وعند النصرانية الناموس الطقسي وهو مجموعة من الشعائر دعا موسى قومه إلى اتباعها في التقرب إلى الله تعالى من العبادات والذبائح والأعياد، والصلوات والصيام... وعند ما يأتي

(١) «إغاثة اللهفان» (ص ١٠٣١).

المسيح تسقط هذه الشعائر ولا يبقى لها معنى فلا يعمل بها بل توجه العلم إلى العهد الجديد ومن هذا المنطلق أحدثوا بدعاً كثيرة كترك الختان وإحلال الخنزير وإحداث الأعياد والصلوات والصيام وأكل الميتة وترك الغسل من الجنابة وشرب الخمر وأكل الربا...[(١)].

وكانت المجاميع هي قائدة الفساد ابتداءً من مجمع أورشليم الأول وما بعده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في خطاب النصارى: لكن غيرتموها وبدلتموها قبل مبعث محمد ﷺ فصرتم كفاراً بتبديل شريعة المسيح وتكذيب شريعة محمد ﷺ وعلى سائر رسل الله أجمعين، فإن المسيح لم يسن لكم التثليث والقول بالأقانيم ولا القول بأنه رب العالمين، ولاسَنَّ لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ولا ترك الختان ولا الصلاة إلى المشرق ولا اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ولا الشرك واتخاذ التماثيل والصليب ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم وسؤالهم الحاجة ولا الرهبانية وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها[(٢)].

أولاً: الصلاة.

الصلاة عندهم: كلمات التعظيم والتسبيح له والتذلل والاستغفار والدعاء، وهي ركن من أركان الدين.

نَقل أبو زهرة عن كتاب (الأصول والفروع للنصارى): أن الصلاة تقربهم إلى الله تعالى عن طريق المسيح[(٣)]

---

(١) انظر «أعمال الرسل ١٥/ ٢٣-٢٩»، «رسالة بولس إلى أهل كولوسي» (٢/ ١٤). وانظر «موقف ابن تيمية من النصرانية» (٧٤٧-٧٦٨).

(٢) «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٢٩) وانظر «الفصل» لابن حزم ١/ ٣٢٤).

(٣) وذكر التعريف السابق مطولاً: محاضرات في النصرانية (ص ١١١).

* للصلاة شرطان لا توجد بدونهما:

أن تقدم الصلاة باسم المسيح (وجعلوه واسطة لهم) يقول صاحب (الأصول والفروع): للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك وهو أن الاسم يمثل دائماً المسمى، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا بحيث تكون طلباتنا طلباته وصلاحنا صلاحه....).

أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بالتثليث وغيره من عقائدهم.

وليس للصلاة عندهم ذكر خاص، بل لهم أن يختاروا مما في كتبهم ما شاءوا.

وعدد الصلوات سبع مرات في اليوم والليلة، وليس لها كيفية محدودة، وقد يزيد العدد وقد ينقص كل واحد بحسبه ونشاطه.

والصلاة عندهم إلى المشرق فهو قبلتهم.

والصلاة أنواع (أ) فردية سرية. (ب) عائلية في البيت. (ج) الصلاة العامة في الكنيسة...

* ويجاب على صلاتهم بما يأتي:

أنه بهذه الصورة بدعة، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما النصارى فليست الصلوات التي يصلونها منقولة عن المسيح عليه السلام...[١]

ولا صلى إلى المشرق[٢] كما يفعلون كما سبق آنفاً، وترك السجود والصلاة بدون طهارة...

أن ما ذكروه مشتمل على الشرك الأكبر في الربوبية والألوهية كما سبق من الإيمان

---

(١) «الجواب الصحيح» (١/ ١٢٥) «موقف ابن تيمية من النصرانية» (٢/ ٧٧١-٧٨١)، «منهج أهل السنة» (ص ٢٥٠-٢٥٤)، «دراسات في النصرانية واليهودية» (ص ٣٤٠)، «الموسوعة» (٢/ ٦٠٨) و ص (٥٩٥) و(٦٢٢)، «محاضرات في النصرانية» لأبي زهرة (ص ١١٠-١١٤).

(٢) زعموا أن المسيح سيظهر منها.

بالتثليث والوسائط الشركية وغيرها كقولهم عند افتتاح الصلاة: (باسم الأب والابن والروح القدس).

أوقات الصلوات مشتمل على عقائد باطلة وخرافات ...

أن صلاتهم من تشريع أربابهم لا من شريعة المسيح.

تختلف الكنائس الثلاث في كثير من أمور الصلاة وذلك راجع الاختلاف أهوائهم.

* ثانياً: الصوم:

وهو مشروع في دينهم كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة:١٨٣]، وكان صيامهم الإمساك عن المفطرات من العشاء إلى المغرب في اليوم التالي ولذلك قال ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور»، رواه مسلم.

قال بعض العلماء: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: أن يصوموا.

وقال بعضهم: أن يصوموا شهر رمضان، وقيل غير ذلك.

وأما عند النصرانية بعد التحريف: فالصوم الإمساك عن الطعام جزاءً من النهار في أيام معدودة وهي خمسين يوماً (وغيرها) ثم تناول طعاماً خالٍ من الدسم [(١)]. ونقلوا زمانه إلى الربيع بدلاً من غيره.

حتى إن بعضهم يصوم عن البيض أو اللحم أو اللبن، وكل ما له صله بالحيوان... [(٢)]

وصومهم كما ذكره واحد: الصوم المقدس وصوم الميلاد وصوم الأربعاء والجمعة وصوم

(١) انظر «تاريخ الأقباط» ١/ ٢٧٢) وغيره. جعله بعضهم إلى نصف النهار، وبعضهم من نصف الليل إلى نصف النهار.

(٢) «منهج أهل السنة» (ص ٢٥٤)، «تاريخ الأقباط» (١/ ٢٧٣)، «العبادات المسيحية» (ص ٢٤).

العذراء[(١)] ولهم في ذلك بدع متعددة.

* ويرد عليهم:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وأما النصارى فليست الصلوات التي يصلونها منقولة عن المسيح عليه السلام، ولا الصوم الذي يصومونه منقولاً عن المسيح عليه السلام بل جعل أولهم الصوم أربعين يوماً ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقوله إلى الربيع وليس هذا منقولاً عندهم عن المسيح عليه السلام وكذلك حجهم إلى كنيسة القمامة وبيت لحم وكنيسة صيدنايا ليس شيء منه منقولاً عن المسيح عليه السلام بل كذلك عامة أعيادهم مثل القلندس وعيد الميلاد وعيد الغطاس - وهو القداس - وعيد الخميس وعيد الصليب الذي جعلوه في وقت ظهور الصليب لما أظهرته هيلانة الحرانية.... وعيد الخميس والجمعة والسبت التي في آخر صومهم... فإن ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله تعالى...[(٢)]

وكذلك:

أن هذا الصوم بهذه الكيفية بدعة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، بل هي من بدع كبارهم.

خالفوا المسيح بترك أكل الحيوان وما تفرع منه، ووافقوا فيه الملل والكافرة كـ(مِلَّة ماني).

غيروا وقت الصوم وزمانه، وكل ذلك مخالف للكتاب والسنة ومخالف لما في كتبهم.

أشركوا من غير وجه، حيث جعلوا الصيام للمسيح وللعذراء وللرسل ولغير ذلك...[(٣)]

---

(١) المراجع السابق.

(٢) «الجواب الصحيح» (١/ ١٢٥).

(٣) راجع: «الجواب الصحيح» (١/ ١٢٥)، (٢/ ٢٢٩)، «منهج أهل السنة» (ص ٢٥٤- ٢٥٥) «دراسات في الأديان» (ص ٣٤١)، «موقف ابن تيمية من النصرانية» (٢/ ٧٨٥- ٧٩٥، ٩٢٥_...)، «الموسوعة» (٢/ ٦٢٢-٦٠٨-٢٥٩) وغيرها.

كثرة الاختلاف بينهم في مسائل وكيفيات الصيام.

❋❋❋❋

المبحث الثاني

عقائد التوحيد والإيمان بالله والربوبية والألوهية

والأسماء والصفات (والشرك بالله تعالى) عند اليهود

* المسألة الأولى: الإيمان بوجود الله تعالى.

اليهود في الجملة يؤمنون بوجود الله تعالى؛ لأن أصل دينهم هو شريعة موسى عليه السلام، مع ما خالط هذا الإيمان بعد التحريف من تمثيل وتعطيل وشرك كما سيأتي.

على أن هناك طوائف من اليهود سلكت مسلك الإلحاد كما سبق عند الكلام على الفرق كالماسونية والعلمانية والشيوعية وغيرها.

* المسألة الثانية: عقائد اليهود في الربوبية والأسماء والصفات:

* أولاً: معنى الربوبية.

تصوير كثير من اليهود أن الله تعالى إلههم وحدهم وسموه (ياهو) كما في سفر الخروج (الإصحاح الثالث) ثم وصفوه بإله الحرب والانتقام من أعداء بني إسرائيل، وأنه يحل في معبد بيت المقدس ومثلوه بالمخلوق، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران:١٨١]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

ومن ذلك ما جاء في توراتهم: (أن الله نزل في صورة رجل مع ملكين وذهبوا إلى إبراهيم وجلسوا يستريحون من التعب، ثم غسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا...)، هكذا في سفر التكوين (الإصحاح الثامن عشر).

ومن ذلك وصفهم الله تعالى بقصور العلم وعقيدة البدا في سفر الخروج (١٢/ ٧) و(٣٢).

ومن ذلك قولهم: إن الله صارع يعقوب فصرعه يعقوبُ كما في سفر التكوين (٣٢).

ومن ذلك اعتقادهم أن للكواكب تأثيراً في الكائنات. «الملوك الثاني» (٢٣/ ٥) وغيره.

ثانياً: بيان وصفهم الله تعالى بالنقائص ونحو ذلك (عليهم لعنة الله تعالى):

١ – إثبات ذلك من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤] الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران:١٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨] رداً على اليهود الذين وصفوا الله تعالى باللغوب وهو التعب.

وقال تعالى أنهم قالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، وهذا طعن في قدرة الله تعالى.

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة:٣٠] الآيات. فنسبوا إلى الله الولد.

والآيات في هذا كثيرة وقد ردَّ الله عليهم وأكذبهم ولعنهم وتوعدهم بالنار.

٢- إثبات ذلك من السنة النبوية:

جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أن حبراً من اليهود قال: ما بنا إلى الله من فقر وإنه لفقير إلينا... فأنزل الله تعالى آية آل عمران: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ (لقد سمع الله) الآية.

رواه ابن جرير في تفسيره عند الآية وغيره وحسنه بعضهم.

٣- إثباته من كتبهم:

في كتبهم ما هو أشد مما مضى في القرآن والسنة وقد سبق بعضه ومن ذلك ما جاء في التلمود: (كان الله يلعب مع ملك الأسماك حتى خرب هيكل بني إسرائيل وشردوا، فبكى وحزن ولم يعد يلعب مع الحوت ولا يرقص مع حواء، وإنما أصبح يزأر كالأسد قائلاً: تبًا لي...). «التلمود» (ص ٢٥)، «الكنز المرصود» (/ ٣٧).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فإن اليهود شبَّهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق وهو صفات النقص الذي يجب تنزيه الرب عنها، - والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق وهو صفات الكمال التي لا يستحقها إلا الله تبارك وتعالى - فقال من قال اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] وهو بخيل، وقالوا: إنه خلق العالم فتعب فاستراح.

وحكي عن بعضهم أنه قال: بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، وأنه ناح على بعض من أهلكه من عباده كما ينوح المصاب على ميته، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه ويتقدس سبحانه وتعالى، وأيضاً فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رسله، ويعصون أمره ويتعدون حدوده، ولا يجوزون له أن ينسخ ما شرعه بل يحجرون عليه... (١)

(١) «الجواب الصحيح» (١/ ٢٣٣). وانظر «الفتاوى» (٣/ ٣٧١- ٣٧٢).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى تلاعب الشيطان باليهود في فصول طويلة ومنها، قال: ومن تلاعب الشيطان بهذه الأمة الغضبية: أنهم في العشر الأولى من الشهر الأول من كل سنة يقولون: لِـمَ تقول الأمم: أين إلههم؟ انتبه، كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك.

وهؤلاء إنما أقدموا على هذه الكفريات من شدة ضجرهم من الذُّل والعبودية فتجرأوا على الله سبحانه وتعالى بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم ينتخونه بذلك لينتخي لهم ويَحْمَى لنفسه، فكأنهم يخبرونه سبحانه وتعالى بأنه قد اختار الخمول لنفسه ولأحبابه ولأبناء أنبيائه فينتخونه للنباهة واشتهار الصِّيت...

ومن ذلك أنهم ينتسبون إلى الله تعالى الندم على ما يفعل:

فمن ذلك: قولهم في التوراة التي بأيديهم: (وندم الله على خلق البشر الذين في الأرض وشق عليه وعاد في رأيه)...[(١)]

وبعد هذا فلا تعجب لماذا غضب الله عليهم لعنهم وكفرهم، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:٧٨] الآيات. ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖ﴾ [البقرة:٩٠]، ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة:٦٠] الآيات.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٩٨- ١١٠٠) وراجع: «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٩٢)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٥٣- ١١١٠)، «العقيدة اليهودية» ص ١٦٨- ١٦٩، ٢٦١-٢٦٥) ط مكتبة الصحابة. «جهود ابن تيمية وابن القيم» (ص ٨٨-٩٥، ١٣٠، ١٦٦- ١٨٠)، «التوراة بين الوثنية والتوحيد» (ص ٤٣) ط النفائس. «بذل المجهود في إفحام اليهود» (ص ١١١- ١٢٠) ط دار القلم. «التلمود وموقفه من الإلهيات» (٢/ ١١٠١) وما بعده وغيرها.

* المسـألة الثالثة: عقائدهم في توحيد الألوهية:

الأصل في شريعة التوراة التوحيد، إلا أن اليهود ناقضوا ذلك مؤخراً، بل كان ذلك النقض والشرك عند بعض أتباع موسى عليه والسلام وبعد ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨] الآيات، وكان هذا بعد نجاتهم من فرعون وهلاك المشركين وهم ينظرون... فأي جهل فوق هذا؟

ثم لما غاب موسى عليه السلام عنهم اغتنموا الفرصة فعبدوا العجل. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه:٨٨] فعبدوه ونسبوه إلى موسى أنه إله موسى، ولكن موسى نسي فذهب يبحث عنه في الطور.

فانظر كيف نسبوا موسى عليه السلام إلى الشرك والتأله للعجل، وهذا من أكفر الكفر: حيث عبدوا غير الله تعالى، ووصفوا المعبود بالعجل ونسبوا الشرك إلى الرسل ... نعوذ بالله من الخذلان.

وأنكر عليه رسول الله هارون عليه السلام فعصوا واستمروا في شركهم...(١)

ثم بعد ذلك حصل منهم الشرك (بعد موت موسى عليه السلام) في الربوبية كما سبق إلى جانب الشرك في الألوهية وعبدوا القبور مرات، كما في حديث: «لعنة على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وقد سبق في الكلام على النصارى.

وأعجب من ذلك أن اليهود يعتقدون أن إلههم مختص بهم واسمه (يهوه) وأن لكل شعب إلهاً يخصه، فأجازوا تعدد الإلهة وتعدد العبادات، وأن كل أمة تعبد إلهها.

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٥٣-١٠٥٩) وغيرها.

بل قال زكي شنودة: وكان اليهود أحياناً يجمعون بين عبادة الله سبحانه وعبادة الآلهة الوثنية، معتبرين أن الله تعالى ليس إلا واحداً من هذه الآلهة العديدة.

وأن يكون مختصاً باليهود كما يختص كل إله من الآلهة بشعب بعينه(١).

ومن هذا المنطلق مع عقيدة التجسيم سَهُل على اليهود عبادة الأوثان وآلهة الشعوب الأخرى المخالطة لهم كما يظهر لمن قارن بين دياناتهم وبين الديانات الوثنية...

وقد جاء ذلك صريحاً في سفر القضاة (٣/ ٥-٨) (أرميا ٢/ ٤) (١٩/ ٣- ٥) وغيرها وعبدوا الحيوان كما في صرح به سفر الخروج (٣٢/ ١-٥)، وعبدوا الأشجار كما صرح به في سفر أشيعاء (٤٤/ ٦-٢٠).

* ويرد عليهم من القرآن والسنة ومن كتبهم:

١- من القرآن الكريم: قوله تعالى لما سألوا موسى إلهاً - كما سبق - فرد عليهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف:١٣٨-١٤٠]، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:٦٤] الآية.

(١) «نشأة اليهود» (ص ٤٨٨).

والآيات التي تدعوا اليهود - والنصارى - إلى التوحيد وترك ما هم عليه من الشرك كثيرة ولكنهم قوم يجهلون.

٢- ومن السنة: ما سبق في شأن اتخاذ القبور مساجد والتحذير منه

٣- من كتبهم[١]:

وكتبهم لا يزال فيها ما ينهى عن الشرك في مواضع مما فاتهم تحريفه، (وفيها ما يأمر به فالتناقض فيها كثير بسبب التحريف اليهودي)، وسننقل ما ينهى عن الشرك وهو كثير فمما غفلوا عن حذفه أو تحريفه أو حرفوه لكن لم يحسنوا ذلك فبقي حجة عليهم فمن ذلك: قال موسى: (اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد). «تثنية» (٦/ ٤).

وقال أشعيا: (أنت الإله وحدك لكل ممالك الأرض). «أشعيا» (٣٧/ ١٦).

وقال عن الله تعالى: (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري). «أشعيا» (٤٤/ ٦).

ونهى عن الشرك: (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم، لأن الرب إلهكم غيور في وسطكم، لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبديكم عن وجه الأرض). «تثنية» (٦/ ١٤) (١٧/ ٢-٥).

* المسألة الرابعة: معنى الشرك عند اليهود:

من خلال من سبق يتضح أن الشرك هو جعل أو اعتقاد ند لله تعالى.

وما يدل على ذلك ما جاء في سفر القضاة (٣/ ٥-٨) قال: فكان بنوا إسرائيل في وسط

---

(١) النقل من كتبهم اعتضاداً لا اعتماداً.

راجع «الجواب الصحيح» (٢/ ٤٤)، «الفتاوى» (٢٨/ ٦٠٦)، «جهود ابن تيمية وابن القيم» (ص ١٣٩- ١٦٥) وغيرها.

الكنعانيين والحثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسين، واتخذوا بيتاً لهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم، فعمل بنوا إسرائيل الشر في عيني الرب ونسو الرب إلههم، وعبدوا البعليم والسواري، فحمي غضب الرب على بني إسرائيل) والبعليم : معناه (إله الكنعانيين). وانظر نحو في «أرميا» (٢/ ٤) وغيره.

ثم صار الشرك والكفر عندهم بمعنى: مخالفه اليهود، فكل من خالفهم فهو مشرك كافر، وكل من وافقهم فهو الموحد الناجي ولوكان ملحداً. كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١] الآية.

وبسبب هذا الانحراف في مفهوم الشرك كثر في أوساطهم الوثنية والإلحاد والكفر.

* المسألة الخامسة: في ذكر بعض العبادات:

* أولاً: الصلاة:

وهي مشروعة في التوراة كما دل عليه حديث النبي ﷺ وفيه: «فمررت بموسى يصلي في قبره»، وكذلك مراجعة موسى عليه السلام في شأن عدد الصلوات. وقوله ﷺ في شأن صلاة العصر: «إنها عرضت على من كان قبلكم فضيعوها» رواه مسلم. وأدلة أخرى.

فظهر أن الصلاة فرضت عليهم فضيعوها وحرفوا معانيها.

* ثانياً: الصوم.

الصوم المشروع هو ما ذكرناه عند الكلام على النصارى، ولكن اليهود غيروا وبدَّلوا كثيراً.

وهم يصومون عشرة أيام في الشهر العاشر من السنة اليهودية، ينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم، وتسمى أيام التوبة، وفي اليوم العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل فيه

اليهودي ولا يشرب، ويُمضي وقته في العبادة، إذ يعتقد أنه تغفر فيه جميع سيئاته ويستعد فيه لاستقبال عام جديد....

ويصومون عن الأكلات الدسمة في عيد الفصيح (١٤- ٢١إبريل) وهو يوم خروجهم من مصر.

ويصومون يوم عاشوراء كما في حديث ابن عباس، وهو يوم نجَّى الله تعالى موسى عليه السلام من فرعون.



المبحث الثالث

عقائد التوحيد والإيمان بالله تعالى والربوبية والألوهية والأسماء والصفات (وفي الشرك بالله تعالى) عند الوثنيين

* المسألة الأولى: الإيمان بوجود الله تعالى.

* أولاً: الهندوس.

الاعتقاد بوجود الخالق وعدمه سواء، ولا يلزم عندهم أي شخص من الهندوس أن يؤمن بالخالق فهو هندوسي، سواء آمن به أو لم يؤمن[(١)].

وحتى مَن يؤمن منهم بوجود الخالق فإيمانه مخالف للحق، حيث يعتقدون أن الخالق هو براهما – كما سيأتي في الربوبية.

وعلى هذا فالهندوس لا يؤمنون بوجود الله تعالى الإله الحق كما يجب، بل كثير منهم لا يعرف عن الله تعالى شيئاً[(٢)].

* ثانياً: البوذية:

وهي طائفة ملحدة لا تؤمن بوجود الخالق في الأصل وإن وجِد عند بعض متأخريهم الإيمان بوجود خالق على صفة مؤداها الجحود كالهندوس.

---

(١) «الفصول في أديان الهند» (ص ١٦)، ط دار البخاري.

(٢)راجع: «الموجز (ص ٨٥)، «رسائل في الأديان» (ص ٣٤- ٣٥)، «الموسوعة» (ص ٧٣٤).

وكان بوذا ملحداً كما يظهر من كلامه المنقول في كتبهم كقوله: (كل موجود مصيره إلى الفنا...) وعلى هذا جمهور البوذية. وبعضهم يجعل الخالق بوذا، وبعضهم يقول: بوذا ابن الله[(١)].

* ثالثاً: السِّيخ:

وهم يُقرون بوجود الله تعالى في الجملة، لكن يغلب عليهم الحلول والاتحاد على طريقة ابن العربي وابن الفارض والهندوس، كما قال مؤسس السيخ يخاطب الله تعالى: (أنت القلم وأنت الخط وأنت الحبر وأنت الطاولة).

وقال: (أنت السمك وأنت الشبك وأنت الصيَّاد، وأنت فقط لا غيرك). وهذه العقيدة حقيقته الإلحاد والجحود كما سبق في الرد على الصوفية[(٢)].

* رابعاً: المهاريش:

وهي طائفة ملحدة لا تؤمن بوجود الله تعالى بل يؤلهون مؤسسهم... [(٣)].

* خامساً: الجينية:

وهي طائفة ملحدة لا تؤمن بوجود الله تعالى بل يؤلهون مؤسسهم مهافيرا وغيره... ويقولون: الدنيا أزلية أبدية[(٤)].

---

(١) «راجع الفصول» (ص ١٣٣، ١٤٠)، «رسائل في الأديان» (ص ٤٥)، «الموسوعة» (ص ٧٥٨).
«البوذية» (/ ص ١٥٢-١٥٦) ط أضواء السلف.

(٢) راجع «الفصول» (ص ١٧٣ – ١٧٥)، «الموسوعة» (ص ٦٦٥) وغيرها.

(٣) «الموسوعة» (٢/ ٧٧١).

(٤) «الموسوعة» (٢/ ٧٤٤)، «فصول في أديان الهند» (ص ١٥٨)، «البوذية تاريخها وعقائدها» (ص ٧٩).

* سادساً: الكونفوشيوسية:

يعتقدون بوجود إله أعظم أو إله السماء ويتوجهون إليه بالعبادة، كما يعبدون إله الأرض وآلهات أخرى....فهذا يدل أنهم مع إيمانهم بالخالق إلا أنهم لا يعرفون عنه شيئاً مع تخليط كثير – كما سيأتي[(١)].

* سابعاً: الشنتوية:

ظاهرها ديانة إلحادية وثنية لا تؤمن بوجود خالق، ويؤلهون الإمبراطور الميكادو. [(٢)]

* ثامناً: الطاوية:

يؤمنون بوجود الله تعالى، وزعم بعض كبارهم أنه نزل عليه وحي من الله سبحانه... (لكن يصفونه بما يخالف الحق كما سيأتي في الربوبية)... [(٣)]

* تاسعاً: الصائبة القديمة:

تؤمن بوجود الله تعالى مع مخالفات كثيرة (سيأتي ذكرها) [(٤)].

---

(١) «الموسوعة» (٢/ ٧٥٢).

(٢)«الموسوعة» (٢/ ٧٣٢).

(٣) «الموسوعة» (٢/ ٧٣٦).

(٤)«الموسوعة» (٢/ ٧١٤).

* المسألة الثانية: في الإيمان بالربوبية:

* أولاً: الهندوس [(١)]:

الغالب عليهم اعتقاد أن براهما هو الخالق لكل شيء حيث قرر (منو) وغيره أن الدنيا كانت غامضة ثم ظهر برميشود (الإله الأكبر) - زعموا - بمادة التكوين فخلق الماء من ذاته وألقى فيه النطفة وأصبحت النطفة بيضة فخرج منها براهما وكسر البيضة نصفين فخلق من أحدهما الجنة ومن الآخر الأرض والسماء وما فيها ثم أخرج من فمه طائفة (البراهمة) ومن عضده طائفة (الكشتري)، ومن فخذه طائفة (الوبشيا) ومن رجله طائفة (الشوادر) فما دام برهما مستيقظاً فالدنيا باقية فإذا أخذه النوم تقع القيامة...(شريعة منو الهندوسي: الباب الأول) المسمى (متنوا سمرتي ص ٥١-٥٢).

-ويعتقد كثير من الهنادكية أن براهما روح الله الأزلية وإليه ترجع الأرواح السفلية... فعندهم أن المخلوقات تنقلب خالقاً وهذا تناقض عجيب ويقال لهم: ومن خلق بقية البشر والجن والملائكة والحيوان...؟

هذه الأسطورة لا دليل عليها شرعي ولا عقلي بل هي خُرافة.

ومع هذا ففيها تناقضات أخرى واختلافات سيأتي ذكرها في السطور الآتية.

ويعتقد الهندوس أيضاً أن (فثنوا) هو الإله الثاني وهو خالق السماوات والأرض وما بينهما وحافظ كل شيء وله أعين ووجوه وأيدي وأرجل كثيرة بالآلاف وهو وحده لا شريك له في ذلك... (انظر ريج فيدا ١٠/ ٨١/ ٢-٤).

---

(١)«فصول في أديان الهند» (ص ١٠٠- ١٠٧)، «رسائل في الأديان» (ص ٣٦- ٣٧)، «الموسوعة» (٢/ ٧٢٦-٧٢٨) وغيرها.

وقال ويكانند الهندوسي: المادة والروح والخالق كل منها أزلي وقديم.... والخالق موجود في كل زمان ومكان عالم بكل شيء ليس له صورة حسية، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى عليائه، وإذا ادعى أحد لنفسه أنه الله فقد كفر به.

وهذا فيه تكفير للهندوس الذين زعموا أن براهما أو فشنوا هو الخالق، كما أنه كفر لقائله، حيث زعم أن المادة والروح أزلية؛ لأن ذلك يؤدي إلى القول بتعدد الخالقين.

وأكفر من هؤلاء من يقول: خالق هذا العالم امرأة من شري بور اسمها **(shrl)** وهي التي خلقت الآلهة الثلاثة المعروفة (براهما) خالق الحياة، (فشنوا) خالق الرزق (ماهيش) قابض الأرواح... وهؤلاء هم الذين يدبرون العالم...

كما أن هناك اعتقاد آخر وهو: أن براهما موجد العالم، وفشنو حافظ العالم وسيفا مهلك العالم.... ولكل شيء إله، فالآلهات بالآلاف عندهم، كما يعتقد بعضهم أن (كرشنا) هو الإله الخالق.

ويعتقدون بالتثليث، وهو أن الإله مكون من ثلاثة أقانيم مخلوقة من فشنوا في فاسودينا وهي (شنكرا) ويمثل العلم ولأفاقية و(بروين)، ويمثل القدرة والقوة، و(نرودها) ويمثل الحياة والجلال، وهذه الأقانيم الثلاثة تدبر العالم.

وهذه تشبه تثليث النصارى، فعُلم أنها بدعة هندية خُرافية، وإلى جانب هذا التناقض يصفون الخالق بالنقائص، كالنوم والزواج والتعب، وغير ذلك، ومن كان ناقصاً لا يصلح أن يكون خالقاً، فما يعبده الهنادكية ليس بإلهاً ولا برب ولا خالق، بل أساطير.

لا قدرة لهم على إثبات شيء منها بالعقل ولا بالشرع ولا بالكتب الصحيحة الثابتة بأسانيدها.

وصدق الله تعالى إذا يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور:٣٥-٣٦] الآيات، ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟

بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩].

- ومما يعتقد كثير من الهندوس الاتحاد، وهو اتحاد الخالق بالمخلوقات، وهو ضرب من الإلحاد، كما بيناه في غير هذا الموضع، وقد استقى الصوفية منهم معتقد الاتحاد فما أفلحوا.

وراجع للرد على الملحدين والمشركين الباب السابق في ذكر عقيدة الإسلام في وجود الله تعالى وربوبيته...

* ثانياً البوذية:

لا يؤمنون برب، ويعتقدون أن هذه الدنيا وجدت بدون موجد كما يقول الفلاسفة الطبيعيون، وهنالك طوائف تعتقد كاعتقاد الهندوس. (راجع ما سبق في مسألة وجود الله تعالى).

* ثالثاً: السِّيخ:

يؤمنون بالرب على طريقة الاتحادية كما سبق، والاتحاد ضرب من الإلحاد، ويعتقدون أنه الخالق الموجد للكون الحي الذي لا يموت، وأنه يتعدى أفهام البشر، ويمنعون تمثيل الإله في صور الخلق ...

ثم مؤخراً اعتنقوا كثيراً من أفكار الهندوس فيما يتعلق بالكون، بل يقول مؤسسهم (نانك) في كتابه (كروكرنتها): إن برهما خرج من سِرَّة وشنوا وبدأ يرتل أشلوك (الفيدا) ولكنه لم يدرك نهاية الرب في ظلمات الجولان... أ. هـــ وهذا أساطير الهندوس.

ويقرر وحدة الوجود في كتابه السابق (باب: جب جي) على الطريقة الهندوسية(١).

* رابعاً: المهاريش:

وهي طائفة ملحدة لا تؤمن بالرب سبحانه وتعالى.

(١) «الفصول» (ص ١٧٦- ١٧٤)، «الموسوعة» (٢/ ٧٦٩).

* خامساً: الجينية:

وهي طائفة ملحدة، وتعترف بوجود أرواح خالدة عن طريق التناسخ كالهندوس، ويقولون بأزلية الدنيا وأبديتها، وأن طائفتهم كذلك أزلية أبدية(١).

* سادساً: الكونفوشيوسية:

ظاهر عقائدهم أنهم يؤمنون أن الرب الخالق هو موجد الكون، وأنه يوجِد ويُفني ويعاقب...

لكنهم يؤمنون بتعدد الآلهة، فلا أدري أيعتقدون تعدد الخالقين: أي بقولهم: إله السماء وإله الأرض وإله الجبال...، فهل يقولون: إن كل إله خلق ما هو إله عليه؟ وعلى كلٍ فهم أشبه بالهندوس، حيث يؤمنون بوجود خالق لا يعرفون عنه إلا ما هو شرك في الحقيقة(٢).

* سابعاً: الطاوية:

الرب - لديهم - هو أصل الموجودات، وروحه تجري أبدي لا يفنى وجوده سابق كل وجود، وليس له صوت ولا صورة... وأن هناك مبدأ قبل الله تعالى وأن الله وجد منه ويقولون: إن طاو هو المطلق الكائن، وهو مراد الكون وليس منفصلاً عن الكون، بل هو داخل فيه دخولاً جوهرياً انبثق منه جميع الموجودات.

كما يؤمنون بوحدة الوجود، فالخالق - عندهم - والمخلوق شيء واحد لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء. وأن الخالق لا يستطيع التصرف في شيء إلا بالحلول فيه...

فهذا وأمثاله من العقائد الشركية المخالفة لتوحيد الربوبية وأزلية الخالق سبحانه لا يقرها شرع ولاعقل ولا فطرة حيث جعلوا (طاو) هو الموجِد للكائنات.

---

(١) «الفصول» (ص ١٥٤).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٧٥١).

وهذا شرك أكبر، فلا خالق إلا الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وجعلوا قبل الله تعالى خالقاً موجد لله تعالى، وهذا باطل، إذ لو وجد حقيقة لكان هو المتصرف في الكون، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:٤٣]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤][1].

* ثامناً: الشنتوية:

سبق أنهم لا يؤمنون بالرب سبحانه.

* تاسعاً: الصابئة القديمة:

يؤمنون بالرب الخالق سبحانه الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق.

وأن الله خلق ثلاثمائة وستين شخصاً ليفعلوا أعمال الإله من رعد ومطر وإحياء وإماتة... وليسوا بآلهة ولا ملائكة... كما يوجد فيهم اعتقاد النفع والضر في الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى كالكواكب والنجوم...

فهذا الاعتقاد فيه من الشرك الأكبر ما فيه، حيث اعتقدوا أن غير الله تعالى يوجِد من عدم وأنها تدبر الكون من دون الله تعالى...

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، فكل شيء خلقه على صفه مقدرة محكمة، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣]، فهو يدبر أمر الكون بما شاء وكيف ما شاء.

ثم كلام الصابئة لا دليل عليه شرعي ولا عقلي بل أساطير أخذوها من الفلاسفة وغيرهم.

---

(١) راجع «الموسوعة» (٢/ ٧٢٧)، وانظر الكلام على الربوبية في بابها.

* المسألة الثالثة: في الألوهية:

* أولاً: الهندوس:

الألوهية والعبادة عند الهندوس تكون أولاً للآلهة المثلثة (براهما – فثنو – سيفا)، فمن عبدها جميعاً أو بعضها فقد قام بالعبادة.

كما تلتقي طوائف الهندوس على تقديس البقرة وعبادتها أكثر من غيرها، لأنها كانت من أغلى الثروات سابقاً، وأكثرها نفعاً.

وضابط العبادة عند الهندوس – غالباً –: (عبادة كل ما يحبونه أو يرجون نفعه أو يخافونه ونحو ذلك).

وسموها – البقرة – بأم الأبطال، وابنت الآلهة، مركز الحياة،...

وصرح بعض زعمائهم أن البقر خير من الأم، وبالغ غاندي فقال: بقاء الديانة الهندوسية على الأرض مادام الهندوس يحافظون على البقرة.

وعند الهندوس: عبادة الأصنام وهي مشهورة من القدِم، وللأصنام أشكال كثيرة حسب ما يقدسونه حتى وجدت أصنام (لنج) وهو رمز (ذَكَر الرجل) و (يوني) رمز (فرج المرأة) وكانوا يعبدونها، ولايزال بعضهم كذلك وهو رمز طائفة (سيفا) (أي: سيفا وزوجته).

وهكذا يعبدون القرد والأفعى والفيلة والنمور والتمساح ونحوها من رموز الرعب، فيعبدونها خوفاً، وتقام لها احتفالات وتقدم لها القرابين.

وهكذا يعبدون الفأر وكل ما شاءوا كالطاووس والببغاوات...

ومن عباداتها (الصلاة): وهم يؤدونها على صور مختلفة منها: إشعال النار في مكان معين وقراءة أناشيد خاصة لاستجلاب حب الآلهة وطلب كفارة الذنوب.

تقديم القرابين: من العبادات المنتشرة فيهم، تقدم فيها للآلهة الذبائح والزهور والفواكه

وماء الزعفران...

الصوم: وهو ترك الطعام والشراب ليلاً ونهاراً أياماً متتابعة.

ومنه: اجتناب كل مأكول ماعدا الماء واللبن بقدر الحاجة أياماً.

ومنه: الأكل في الظهيرة فقط.

الممارسات الرياضية: النفسية والبدنية الرهيبة بدعوى الزهد والتقشف وقهر النفس... كما حال الصوفية منهم.

والحج: وهو زيارة المواقع المقدسة والأشخاص المعظَّمين كأماكن الأصنام أو الأنهار...

والعبادات في الهندوس تكاد أن لا تحصر لكثرة طوائفهم وبدعهم، ولعدم رجوعهم إلى دين رباني، بل يعبدون ما تُملى لهم أهواؤهم، فالعبادة للآلهة المثلثة مبنية على أساطير، فلا دليل على إثبات وجودها، وهي غير منضبطة، بل متناقضة مضطربة كما هو شأن الباطل.

وأما عبادة الأبقار والحيوانات فلا يقرها عاقل، ولا تستند إلى شرع صحيح، كيف يعبد الإنسان هذه الحيوانات الضعيفة التي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشورًا؟! ولا تسمع ولا تعقل؟!

وذلك من ضَعف العقل وبلادة الذهن.

وصدق الله تعالى إذا قال عن المشركين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١].

وقال سبحانه في محاجة إبراهيم لقومه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء:٦٩-٧٥] إلى قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء:٩٧-٩٩].

فاعترفوا أن سبب هذه العبادة هو التقليد الأعمى وأنه ضلال مبين(١).

وهكذا سائر العبادات من صلاة وصيام ونحوها لا دليل عليها إلا الهوى والظن الفاسد، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨].

والكفر والإلحاد عند الهندوس هو الخروج عن عبادة براهما كما سموا البوذية والجينية ملاحدة لعدم اعترافهم بالإله الهندوسي.

* ثانياً: البوذية:

مع كونهم ملاحدة إلا أن الألوهية والعبادة عند أكثرهم جعلها لـ (بوذا) وهي كما يلي: الإكثار من الثناء على بوذا لكماله وجماله – زعموا.

التلذذ بذكره وتصوره في الخلوة، وهذا من مراتب أعمال العبادة.

يصلون لبوذا ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة، والصلاة عندهم تؤدى في اجتماعات يحضرها عدد كبير من الأتباع ويرددون فيها أناشيد مثل: سجد أسجد للبوذا الإله الكامل، أعوذ بالبوذا الإله... إلخ.

اتجه بعضهم مؤخراً إلى تقديس آلهة الهندوس وعبد بعضهم البقرة.

وعندهم أيضاً الممارسات الرياضية القاسية في الغابات والجبال.

يعبدون الثالوث المقدس عندهم (بوذا – وهارما – سانفها) وهي شيء واحد متساوية في القوة...

تقديم الصدقات للرهبان والكهان، وأن ذلك سبب الحياة السعيدة...

وعندهم الصوم الدائم وهو الاقتصار على أكلة واحدة، وهكذا الصمت الدائم وترك

---

(١) انظر: «الفصول» (٩٠- ٩٩)، «رسائل في الأديان» (٣٧)، «الموجز» (٨٨-٨٩)، «الموسوعة» (٢/ ٧٢٦).

الزواج - عند الرهبان.

وعند تأمل هذه العبادات يظهر لكل عاقل فقر الناس إلى الإسلام الذي يهدي إلى الحق، فتأمل كيف أنكروا وجود الخالق سبحانه وعبادته ثم لجأوا إلى عبادة المخلوق، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف:١٩٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف:١٩٧].

أين عقول هؤلاء؟ كيف صُدقت هذه الخرافات البوذية؟(١)

*** ثالثاً: السِّيخ:**

يغلب عليهم تأليه (نانك) وغيره واعتقاد الوحدة، كما يوجد فيهم من يعبد آلهة الهندوس والبقرة، ولهم معبد في (أمرتسيار) فيه أصنام لهم يعبدونها، وصلاتهم عبارة عن أناشيد نظمها معلموهم، ولهم احتفالات وأعياد جلُّها مأخوذ من الهندوس.

والعجيب أنهم يدعون أنهم على التوحيد(٢)!!

أين هم من التوحيد وهم اتحادية لا فرق عندهم بين الخالق والمخلوق مع عبادتهم لغير الله تعالى والشرك الكثير الموجود فيهم وكفرهم بالإسلام، إلى غير ذلك، فيقال فيهم ما قيل في الهندوس والبوذية.

*** رابعاً: الجينية:**

هم ملاحدة لكن ألَّهوا (مهافيرا) وعبدوه كما عبدوا الجينيات الثلاثة والعشرين قبله،

---

(١) «البوذية» (ص ١٦٦) و (ص ٢٥٦، ٣٠٠- ٣٢٠)، «الفصول» (ص ١٤٧- ١٥٠)، «الموسوعة» ٢/ ٧٥٩).

(٢) «الفصول» (ص ١٧٦، ١٧٧، ١٩٠)، «الموسوعة» (٢/ ٧٦٥).

واعترفوا بأكثر آلهة الهندوس مسالمة لهم، ولا توجد لديهم صلوات ولا قرابين...[(١)].

وهؤلاء الملاحدة حالهم كالبوذية.

* خامساً: الطاوية:

مع إيمانهم بالوحدة، إلا أن لديهم عبادات شركية أخرى كالطقوس الدينية، وهي عبارة عن احتفالات وأناشيد وتأملات وحرق البخور عند كل عبادة، ودعوى الزهد والمكاشفة ويهاجمون الشرائع.

وديانتهم وعباداتهم أشبه بالخيالات والخرفات، وقد ظهر فشلها الذريع وانهيارها.

* سادساً: الكونفوشيوسية:

يتوجهون بالعبادة لإله السماء بالقرابين، وهذه العبادة مخصوصة بالملوك والأمراء يعبدون إله الشمس والقمر والجبال...

ويعبد عامة الطائفة إله الأرض، ويعبدون أرواح الأجداد والأقدمين...

والقرابين عبارة عن موائد يدخلون بها السرور على تلك الأرواح مصحوبة بالموسيقى[(٢)].

وهذه الشركيات الكثيرة يرد عليها بما سبق في الهندوس وغيرها.

* سابعاً: الشنتوية:

وهي تعبد الأرواح والقوى الطبيعية والإمبراطور ونحو ذلك كما يعبدون الشمس والكواكب...

فعبدوا المخلوق الذي لا يملك لهم ولا لنفسه نفعاً ولا ضراً، وعبدوا الأمبراطور وهو

(١) «الموسوعة» (ص ٧٤٤) و«الفصول» (ص ١٦٠).

(٢) «الموسوعة» (٢/ ٧٥٣).

ميت لا يقدر على دفع العذاب عن نفسه، ولا يملك إنقاذ نفسه من عذاب القبر، فكيف يصلح أن يكون معبوداً.

* ثامناً: الصابئة:

وهم مشركون يعبدون الله تعالى ويعبدون غيره، فهم يعبدون الكواكب والنجوم وبعضهم يعبدون الأصنام، وفيهم من يستخدم السحر.

والصلاة عندهم وقوف وركوع وجلوس باتجاه القطب الشمالي ثلاث مرات في اليوم، والصوم كان مشروعاً عندهم بمعنى ترك الذنوب وترك اللحوم لمدة ٣٢ يوماً متفرقة في السنة، ثم مؤخراً صاروا يرون أن الصوم غير مشروع، لأنه من باب تحريم ما أحل الله تعالى.

وعندهم التعميد وهو الانغماس في الماء الجاري، ويكون على يد رجال الدين وله صور وأوقات متنوعة.

ولهم أعياد كثيرة يقيمون فيها الطقوس والاحتفالات.

ولهم من الغرائب الشيء الكثير، وقد عُلم بأن الصابئة من جملة المشركين لاسيما، وقد بلغتهم دعوة الإسلام فلم يؤمنوا، ورجح شيخ الإسلام أنهم عبدة أوثان لا أهل كتاب.

****

المبحث الرابع

عقائد التوحيد عند الملاحدة

* أولاً: الفلاسفة المنكرون لوجود الله تعالى.

وسائر الملاحدة منهم، فهؤلاء لا يؤمنون بالله تعالى ولا بعبادة ولابدين، بل يعبدون أهواءهم وشهواتهم ويسخرون من الدين والعبادة... وقد سبق الرد عليهم عند الكلام على أدلة وجود الله تعالى[(١)].

* ثانياً: الفلاسفة والملاحدة الدين يقرون بوجود الله تعالى.

* المسألة الأولى: في الربوبية:

أولاً الفلاسفة: وكلام الفلاسفة القدماء في الربوبية نزر قليل، كثير الخطأ، وقد قرره المتأخرون وزادوا فيه كابن سيناء والفارابي وغيرهما وكان القدماء يسمونه (علم ما بعد الطبيعة) والمتأخرون يسمونه (العلم الإلهي).

وقسموه خمسة أقسام:

أحدها: إثبات الحق الأول وتفرده بالخلق، وأنه واجب الوجود بذاته...[(٢)].

---

(١) انظر كلاماً وافياً عليهم في كتاب: «الانحرافات العقدية في أدب الحداثة وفكرها».

(٢) «أقسام العلوم العقلية» لابن سيناء (٨٣- ٩٠)، «الفتاوى» (٢/ ١٩١، ٨٦).

وهم مع هذا يجعلون توحيد الربوبية – حسب ما فهموه – هو غاية التوحيد والخلق، وحاولوا إثباته بالعقل فأفضى بهم ذلك إلى الحيرة والشك، وقد كان قدماؤهم يثبتون وجود الصانع كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون ويقولون بحدوث العالم، أما أرسطو وأتباعه فكانوا ملاحدة(١).

وكلامنا هنا على الفلاسفة العرب كابن سيناء وغيره

وطرق إثبات وجود الله عندهم، فمن طرقهم:

– الاستدلال بالممكن على الواجب.

– الاستدلال بمطلق الوجود على واجب الوجود.

فالأولى: بمعنى: أن كل مخلوق لابد له من خالق غير مخلوق.

والثانية: عكس الأولى بمعنى: أن وجود الله تعالى إثبات لكون كل موجود مخلوق له.

وهذه مناقضة للأولى، إذ كيف يستدل بالمستدل له على دليله(٢)؟

وغالب علوم الفلاسفة متناقضة(٣).

وطريقتهم هذه من أفسد الطرق لا تدل على إثبات وجود الله تعالى على ما سلكوه، فإنهم لم يقيموا البرهان على حصر الوجود في القسمين، ثم إلى بيان أن الممكن الذي جعلوه قسيم الواجب يستلزم ثبوت الواجب الذي ادعوا، وهذا ممتنع على طريقهم، لأنهم يقولون القديم إما أن يكون واجباً أو محدثاً، ولو اكتفوا بالجملة الأولى لأصابوا وهي: (أن المخلوق لابد له

---

(١) «الفتاوى» (١٢/ ١٤٤)، (١٧/ ٣٥١)، «الرد على المنطقيين» (٣٧٠)، «موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة» (ص ٣٤٨)، «نقض المنطق» (ص ١١٢)، «الرد على المنطقيين» (ص ٣٣٧).

(٢) «موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة» (ص٣٤٦).

(٣) «درء التعارض» (٩/ ٢٧٥، ١١٧ – ١٢٠)، «الفتاوى» (١/ ٤٩).

من خالق) لكن إثباتهم لقديم محدث أزلي تناقض.

وكذلك تعبيرهم بالممكن والواجب فيه نظر، والتعبير بالمخلوق والخالق أوضح وأصح، كما أن طريق الرسل والقرآن أسهل دلالة وأقوى حجة كما سبق في بابه.

ومن تناقضهم: قولهم بقِدم العالم، متابعة لأرسطو وكان ملحداً، وقيل: كان وثنياً، وتبعه فلاسفة العرب المتأخرين إلا أنهم سموه (قِدم زماني) أي: لا أول لزمانه مع كون ذاته محدثة - أي مسبوقة بالعدم - وأنه صادر عن واجب الوجود.

وقد بيَّن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فساد قولهم من وجوه:

- أن هذا القول مخالف لجماهير العقلاء من المتقدمين والمتأخرين القائلين بأن هذا العالم محدث بعد أن لم يكن.

- أن قول الفلاسفة لا حجة عليه عقلية ولاشرعية، لا قطعية ولا ظنية.

- أنهم لم يفرقوا بين قِدم نوع الفعل، وجنس المخلوقات وبين قِدم أعيانها، فالأول حق والثاني باطل.

- أنه يلزم من قولهم أن العالم غير مخلوق، وهذا متفق على فساده.

- أنه يلزم من قولهم أن العالم غير مخلوق لله تعالى كما قاله بعض متقدميهم، وهذا معلوم الفساد بالضرورة.

- تناقض قولهم (العالم محدث أزلي)، وهذا من غرائب ابن سيناء وسلفه وقد أنكره ابن رشد وغيره...[(١)].

ومن تناقضاتهم: القول بأن صدور الخلق عن الخالق بالفيض ويسمونه المبدأ الفياض، ولجأوا

---

(١) «الفتاوى» (٦/ ٣٣٤)، «الرد على المنطقيين» (ص ١٤٨)، وانظر «موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة» (٣٤٥- ٣٦٧).

إلى هذا لقولهم: (إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد)، ثم ذكر تسلسل الفيض واحد ومن واحد ثم واحد من الثاني... إلى آخر ترهاتهم، فالخالق خلق المخلوق الأول، وهذا المخلوق خلق ما بعده وهكذا... وهذا كفر صراح وهوس غريب...(١).

ومن تناقضاتهم: وصف الله تعالى بما لم يرد شرعاً كقولهم: (واجب الوجود، العلة الغائية، أو العالة الفاعلة)، نفي صفاته وأفعاله، نفي علوه، ونفي الأسماء الحسنى... إلخ(٢).

وقد سبق رد هذه في الكلام على أهل الأهواء.

وكان سقراط وأفلاطون أقل انحرافًا من غيرهما.

ونُقل عنهم كلام قال فيه ابن القيم رحمه الله تعالى: وبالجملة فهو أقرب إلى تصديق الرسل(٣).

وقال في أصحاب أرسطو والفيثاغورية والأفلاطونية المتأخرة: هم أهل التعطيل المحض، فإنهم عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله، وعطلوا العالم عن الحق الذي خُلق له وبه، فعطلوه عن مبدإه ومعاده وعن فاعله وغايته...(٤).

* ثانياً: الأفلاطونية الحديثة:

يقرون بوجود الله تعالى وأنه مبدأ الفيض، وأصل فكرة الفيض مأخوذة عن أفلوطين.

ويقرون بأن الله تعالى هو الخالق بطريقة الفيض، ويقولون: هو واحد غير محدد ولا مركب،

---

(١) «موقف شيخ الإسلام» (ص ٣٦٦- ٣٧٦).

(٢) انظر «موقف شيخ الإسلام» (ص ٣٧٧- ٣٩٢)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٦).

(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٢- ١٠١٣) ط ابن الجوزية.

(٤) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٦) (و ص ١٠٠٦).

وهو الخير المطلق عندهم، وليس خالقاً للشر، وهذا ككلام الفلاسفة وقد سبق.

* ثالثاً: الباطنية:

وهي تقر بوجود الله تعالى في الظاهر، فإذا تمكنوا أظهروا الإلحاد على اختلاف طوائفهم.

فالتوحيد عندهم: هو وصف أئمتهم بأوصاف الله تعالى وتوحيدهم بذلك، كما أن الشرك هو الدعوة إلى غير إمامهم كما صرح به صاحب كتاب «كشف جعفر بن منصور اليمن» (ص ١١٦).

وقال العبيدي عبيد الله القيرواني - لعنه الله تعالى - في رسالته إلى الجَنابي القرمطي: على الفلاسفة معولنا، فإنا وإياهم مقرون برد نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لا نعرفه.

وقال: إن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه، ولا يحصلون منه إلا اسم بلا جسم.

وقال: أكرِم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم. أ.هـ المراد[(١)].

وقال الباطني قيس بن منصور في الاسمين (الله، إله): دليلان على العقل والنفس، وهما أصل العالم العلوي والسفلي ومن فيها...[(٢)].

وهذا قول الفلاسفة الملاحدة أتباع أرسطو.

وأقوال هؤلاء الملاحدة كثيرة في إنكار الربوبية لله تعالى وهذا ناتج عن جهل مركب وإكراه للفطرة التي خلقت مقرة بالله تعالى كما سبق بيانه في الفصل الأول من هذا الباب.

وكان منهم طوائف تقول بأن للكون إلهين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما

---

(١) «رسالة الأسابيع» (ص ١٦١)، «هتك أستار الباطنية» (ص ٢٤).

(٢) «الفرق بين الفرق» (٣١٧- ٣١٨) ط التراث. وانظر رسالة: «المبدأ والمعاد» للقرمطي ابن الوليد (ص ١١٣)، «هتك أستار الباطنية» (ص ٢٢)، «الفتاوى» (٩/ ١٧٦)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١٤).

علة الثاني، وأن الأول خلق العالم بواسطة الثاني، وهذا تصريح منهم بمذهب المجوس(١).

* المسألة الثانية: في الألوهية:

* أولاً: الفلاسفة ومن شابههم.

الغالب على الفلاسفة أنهم وثنيون أشبه بالدهرية كما هو حال الكونفوشيوسية والهندوس الذين يقرون بوجود خالق بصفات غير صفات الله تعالى، وربما صرحوا أنه غير الله تعالى، وهؤلاء الفلاسفة كذلك، فإن اليونان والرومان كانوا يعبدون الأصنام والكواكب والأوثان ويبنون لها معابد وهياكل، ويصرفون لها النذور والقربان، وعلى هذا كان أرسطو وأصحابه وتبعه فلاسفة العرب كابن سيناء والفارابي وغيرهما فهم وثنيون، فقد كانوا غارقين في الشرك ويأمرون به، ولا يرون بأساً بأن يرتد المسلم إلى عبادة الأوثان أو النصرانية أو غيرها.

وأما الطائفة الأخرى من الفلاسفة وهم: سقراط وأفلاطون... فذكر المؤرخون لهم أنهم كانوا على توحيد الربوبية، وكان سقراط ينكر عبادة الأصنام علناً، فقتله قومه، فسكت أفلاطون(٢).

وسبب ذلك أنهم سافروا إلى الشام وتلقوا عن أنبياء بني إسرائيل ذلك، وأما أرسطو فلم

(١) هتك أستار الباطنية ص ٣٢.

(٢) والمراد بالتوحيد: الإقرار بالله تعالى وأنه الخالق كما سبق في توحيد الربوبية آنفاً، وذلك توحيد ناقص، بل مخالف للحق كثيراً كما سبق لكنه أقرب الفلاسفة إلى الصواب.

يسافر وبقي على الوثنية (١).

وقد بيَّن شيخ الإسلام ما هم عليه من الشرك والوثنية، وقال: كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، إذ بنوه على ما في الأرواح والأجسام من القوى والطبائع، وأن صناعة الطلاسم والأصنام والتعبد لها يورث منافع ويدفع مضاراً، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر بالشرك فلم ينه عنه، بل يقر هؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين - فتدبر هذا فإنه نافع جداً -.

ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، فالأولون يسمون الكواكب الآلهة الصغرى ويعبدونها بأصناف العبادات... وقد رأينا من مصنفاتهم في عبادة الكواكب والملائكة وعبادة الأنفس المفارقة - أنفس الأنبياء وغيرهم - ما هو أصل الشرك.

وهم إذا دعوا إلى التوحيد فإنما توحيدهم ... الذي يدعون إليه: هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الشرك...(٢)

وقد رد عليهم بردود كثيرة.

ويرد عليهم بما يرد به على عبدة الأوثان قبلهم، فإن الخالق سبحانه هو أحق بالعبادة من غيره، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة:٢١] وخلق الكواكب ودبر أمرها.

ونسبة الخلق إلى الكواكب والعقول الفياضة باطل، إذ أن كل فلك أو كوكب في مكان ما يسكن مقابله في الأرض أناس كثير تختلف خواطرهم وطبائعهم وأحوالهم، بل الشخص

---

(١) «الفتاوى» (١٧/ ٣٣١- ٣٣٢)، (٩/ ١٧٥ - ١٧٧)، «الانحرافات الوثنية في العقيدة اليونانية» ص ٤٩)، «موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة» (ص ٣٣٦- ٣٣٧)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠١١- ١٠١٦).

(٢) «نقض المنطق» (ص ١٧٧) بتصرف.

الواحد يصل فيه الاختلاف والتغير، فتارة ينشط وتارة يكسل، وتارة يحب الخير وتارة يحب الشر... وهذا كله بدون حدوث سبب فلكي يرجح أحد هذه الأحوال على غيره، مع أن مطلع البلد واحد...

ولهذا كان تعليق ما يجري في الأرض بالكواكب من الباطل المتناقض وعبادتها من أبطل الباطل، فهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلاً أن تملك لغيرها كما سبق في محاجة إبراهيم لقومه.

وكذلك القول في غير الكواكب من الأموات والقبور ونحوها.

- فإن الفلاسفة يقولون: إن المستشفع بهذه الوساطات الشركية كالعقول والكواكب والنفوس، فإن هذه الوساطات تتصل بالرب فيفض الرب عليها، وهي تفيض به على من استشفع بها.

وهذا القول أشبه بالخرافة، وضلالهم فيه أوسع من سائر المشركين، وكفرهم أعظم من كفر مشركي العرب بما قالوه في الأصنام، فإنهم أقروا بعلم الله تعالى بهم وقدرته عليهم، أما هؤلاء الفلاسفة فأنكروا علم الله تعالى وقدرته ومشيئته، وإنما يحصل الفيض بدون إرادة، بل التأثير حاصل بقوى النفس[(١)].

❊ ثانياً: الباطنية:

ذكر الحمادي في رسالته في شأن تعاليم المكارمة الباطنية أنهم يقولون لمن دخل معهم: اعرف معاني الصلاة والطهارة وقف على باطنها ومعانيها، ومن صلى في السنة مرة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، ثم يقولون: الصلاة والزكاة دليل على ولاية محمد وعلي، فمن تولاهما فقد

---

(١) «الرد على المنطقيين» (ص ١٠٤)، «موقف شيخ الإسلام» (ص ٣٤١- ٣٤٤)، «الفتاوى»١/ ١٦٧- ١٦٨) و (ص ٥٣٦).

أقام الصلاة وآتى الزكاة.

فإذ أقر بذلك قال كبيرهم: اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة.

والزكاة بذلك المال إلى كبيرهم، فإذا فعل وضع عنه الصوم، والحج زيارة أئمتهم... إلخ[١].

وقال البغدادي: ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلاً يورث تضليلاً، فزعموا أن الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارة كبيرهم وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد ولا ميثاق، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها[٢].

والشاهد من هذا: أنهم لا يقرون بألوهية الله تعالى ولا بعبادته، بل يعبدون زعماءهم وقبورهم والكواكب وغيرها كما هو حال الفلاسفة والملاحدة.

* ومن الباطنية أيضاً:

١ - اليزيدية:

وهي فرقة تعبد إبليس ويزيد بن معاوية وعدي بن مسافر وتقدسهم، وتقول بوحدة الوجود وثالوثيتهم (الله - يزيد - عدي).

وصيامهم ثلاثة أيام من كل سنة، والزكاة تجبى إلى كبيرهم، والحج إلى جبل (لاش) في المرجة ويسمونه (جبل عرفات)، وصلاتهم ليلة منتصف شعبان تغني عن العام كله، ودعاؤهم نحو الشمس عند شروقها.

---

(١) انظر «كشف أسرار الباطنية».

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص ٣١٨).

وعندهم تعميد كالنصارى...[١].

ولهم خرافات كثيرة كشأن أي ملحد ووثني يعيش متخبطاً لا تراه على حال محمودة لا عقلاً ولا شرعاً.

٢- النصيرية:

يعتقدون في الظاهر أن علياً إلهاً وخالقاً، وأن ظهوره في الأرض لحلول اللاهوت في الناسوت كما تقول النصارى، وصلاتهم خمس مرات في اليوم ليس فيها سجود، ولا يصلون الجمعة ولا يتطهرون للصلاة، ولهم قداسات وخرافات وغرائب وعجائب كسائر فرق الباطنية...[٢].

٣- الدروز:

يعتقدون بألوهية الحاكم العبيدي كما هو شأن ابن سيناء وأصحابه، ويحجون إلى الهند، ويعبدون آلهة الهندوس وغيرها.[٣]

٤- البهائية:

يعتقدون أن (الباب) هو خالقهم وخالق كل شيء، ويقولون بالحلول والاتحاد، والصلاة عندهم تسع ركعات ثلاث مرات، والصيام عندهم تسعة عشر يوماً آخرها عيد النيروز (٢١ آذار) ويبطلون الحج إلى مكة، وحجهم إلى مكان دفن البهاء بعكا...[٤].

---

(١) «الموسوعة» (١/ ٣٧٤).

(٢) «الموسوعة» (١/ ٣٩٢- ٣٩٣).

(٣) «الموسوعة» (١/ ٣٩٨- ٤٠٠).

(٤) «الموسوعة» (١/ ٤١٢).

٥- القاديانية:

الإله عندهم إنجليزي، ولهم عقائد منحرفة، ويعبدون القبور والزعماء، وأن كل من لم يدخل معهم كافر...[(١)].

كأنهم صناعة بريطانية بل هم كذلك.

وعلى كلٍّ؛ فهذه الفوارق بين طوائف الباطنية نسبية، وإلا فالأصل الأصيل في دينهم هو ما سبق ذكره أولاً من كونهم ملاحدة - لعنهم الله تعالى-، وما يذكرونه في عقائدهم ظاهراً مقصدهم منه خدع الجهال والتستر عند ضعف الحال.



(١) «الموسوعة» (١/ ٤١٨).

الباب الرابع

الإيمان بالآخرة والغيبيات

ويشمل فصلين:

الفصل الأول: عقائد المسلمين في الآخرة والغيبيات

الفصل الثاني: عقائد الكفار في الآخرة والغيبيات

وتحتهما مباحث ومسائل.

الفصل الأول

عقائد المسلمين في الآخرة والغيبيات

* المسألة الأولى: في معنى الآخرة ومفهومها.

اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء.

والآخرة: أعم من ذلك، فهي تشمل ما بعد الدنيا من الموت والقبر والبعث والحشر والجنة والنار... ونحو ذلك.

الموت: هو مفارقة الروح للبدن.

والقبر: هو مكان دفن الميت.

والنفخ في الصور: هو النفخ في القرن العظيم.

والذي ينفخ فيه هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه الأولى ليموت من كان حياً. والثانية لبعث جميع الخلائق، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر:٦٨]

والبعث: إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والفصل بينهم.

وأرض الحشر: هي هذه الأرض بعد أن يجري عليها التغيير المذكور في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه:١٠٥-١٠٧] ونحوها من الادلة.

والحساب: اطلاع الله تعالى عباده على أعمالهم ومجازاتهم عليها. ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

والجنة: الدار التي أعدها الله تعالى في الآخرة للموحدين من عباده.

والنار: الدار التي أعدها الله تعالى في الآخرة للمشركين من كفار الجن والإنس(١).

* المسألة الثانية: أهمية الإيمان بالآخرة ودلائله:

الإيمان بالآخرة من أصول الإيمان وأركانه التي لا يصح إلا بها، وقد اتفقت عليها جميع الشرائع وأجمع عليه الرسل والمؤمنون من كل ملة، فلا يمكن أن يخلو دين صحيح من هذه العقيدة.

قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، وقرن ذلك الإيمان بالله وكتبه ورسله، ولذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فُعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان، فالثلاثة متلازمة، ولهذا يجمع الله بينها في مثل قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٠] ...فوصفهم بالشرك. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر:٤٥].

فهذه الأصول الثلاثة : توحيد الله تعالى والإيمان برسله وباليوم الآخر هي أمور متلازمة... فعُلِم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان...

---

(١) راجع لهذه التعريفات: «شرح الطحاوية»، «شروح الواسطية»، «شرح اللمعة»، «التذكرة للقرطبي» وغيرها.

فقد تبين أن أصل السعادة وأصل النجاة من العذاب هو توحيد الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح...[١]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦]، فَقَرن الكفر بالله سبحانه بالكفر بالآخرة.

وفي حديث جبريل حين سأل عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»، رواه مسلم.

وكذلك أيضاً: العقيدة بالآخرة كما هو مقرر شرعاً كذلك مقرر عقلاً، فإن الدينا دار عمل واختبار، فلابد بعد العمل والاختبار من جزاء وحساب، وذلك مقتضى عدل الله سبحانه ورحمته، فيأخذ كل عاملٍ جزاؤه وما قدم، فالآخرة مقتضى الحكمة.

* وقد دل على الآخرة الكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع:

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَٰئِكَةِ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَٰرَىٰ وَالصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢].

فقرن الإيمان به سبحانه باليوم الآخر.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤] الحديث.

الإجماع نقله عدد من أهل العلم منهم ابن جرير والقرطبي والنووي وشيخ الإسلام وابن عثيمين ولا خلاف في ذلك بين المسلمين بل لا خلاف بينهم أن منكر البعث كافر.

(١) «نقض المنطق» (ص ١٧٣-١٧٦) بتصرف.

وكذلك الإيمان بالآخرة والبعث أمر فطري موجود في الغرائز، فإن القلوب تحس بأنها راجعة إلى الله تعالى وتجد ذلك فيها أمراً اضطرارياً.

ومن العقل: أن لكل شيء غاية وإلا كان فعله عبثاً، وغاية الدنيا هو العمل للآخرة والاستعداد لها كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، ولذلك قال سبحانه رداً على منكري البعث: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٥]،وتوعدَّ الله تعالى من زعم ذلك بقوله: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد:٥]، وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن:٧].

وكذلك حاججهم الله تعالى بما يرونه ويعقلونه كتشبيه إحياء الموتى بإحياء الأرض ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت:٣٩].

وكذلك بضرب الأمثال لما هو أكبر من البعث كخلق السماء أو إيجادهم من العدم كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٨-٧٩]، فمن أوجدها من العدم قادر على إعادتها ثانياً وذلك أهون عليه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧]. وهذا أمر معلوم أن الإعادة أسهل من الابتداء في عامة الأشياء.

وكذلك أراهم الإحياء عياناً، وذلك مثال لسائر المخلوقات، كما حصل في آيات عيسى عليه السلام أنه كان يدعو اللهَ تعالى فيحيي الموتى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة:١١٠]، وكالرجل المذكور في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة:٢٥٩] الآية.

وقصة إبراهيم المذكورة بعدها مباشرة، وقصة بني إسرائيل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

أيضاً لما قتل رجل من بني إسرائيل ولم يُعرف القاتل قال الله تعالى لهم وأوحى إلى موسى عليه السلام: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة:٧٣]، فضربوه فأحياه الله تعالى وتكلم باسم القاتل. والأمثال في ذلك كثيرة جداً.

وكذلك في النوم عبرة وعظه بالموت والبعث، ولذلك شُرع أن يقول العبد عند استيقاظه: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

فهذه الدلائل العقلية مع الدلائل الشرعية والفطرة تدل على الآخرة.

ومنكرو الآخرة هم قلة كما قال الراغب الأصفهاني: لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة إلا جماعة من الطبيعيين، أهملوا أفكارهم وجهلوا أقدارهم وشغلهم عن التفكير في مبدئهم ومنشئهم ما زُين لهم من حب الشهوات... أ. هـ

وهؤلاء الذين أنكروا البعث بعد الموت طوائف كما سيأتي تفصيله، وهم في الجملة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالى وفي الإقرار بالمعاد بعد الموت... (ثم فصل ذلك على ما سيأتي).

فأعرفهم المسلمون - وأعرف المسلمين أهل السنة - ثم أهل الكتاب، وأقل معرفة

الملاحدة وعبدة الأوثان(١) .

* المسألة الثالثة: البعث يكون للروح والجسد:

وهذا مما أجمع عليه المسلمون وشذ أهل الأهواء والنفاق من مدعي الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] أي: الوجوه متنعمة جميلة تنظر بالأعين إلى الله تعالى، فالوجه والعين من الجسد، وكقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وأدلة إثبات بعث الأجساد تزيد على ألفي دليل شرعي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالى وفي الإقرار بالمعاد بعد الموت، إما للأرواح فقط، وإما للأبدان فقط وإما لمجموعهما كما هو قول سلف المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة... ويقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب وإن كان على وجه قاصر كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

أحدها: وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث والفقهاء والصوفية والنظار: وهو إثبات معاد الروح والبدن جميعاً، وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة، ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى، ولهذا يذكر الله تعالى في كثير من السور أمر القيامتين: القيامة

(١) راجع «الإيمان باليوم الآخر» للحمد (ص ١٣٠ - ١٣٧)، «الحياة الآخرة» للعواجي (١/ ٧٥-١٠٣)، «شرح الطحاوية» لآل الشيخ (٢/ ٢٢٠-٢٢٥) ط دار الحجاز وغير ذلك.

الصغرى بالموت، والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم كما ذكر الله تعالى القيامتين في سورة الواقعة حيث قال في أولها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: ١-٢]... ثم ذكر حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرى، وقال في آخر السورة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ [الواقعة:٨٣-٨٤] الآيات، وكذلك آخر سورة القيامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١]... فذكر القيامة الكبرى ثم قال في آخر السورة: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ [القيامة:٢٦-٢٨]...

وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة فكثير جداً، لأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وقد بعث بين يدي الساعة لذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره كما ذكر المسيح في صفته(١) فقال: (إنه يخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للرب).

والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط كما يقول ذلك كثير من المتكلمين(٢) الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة... وليس قولاً لجمهور نظارهم، بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة الذين ذمهم السلف الأئمة (٣). اهـ المراد.

ثم ذكر القولين الآخرين وسيأتي نقلهما عند الكلام على اليهود.

والعقل يوافق قول المسلمين، فإن الروح والبدن في الدنيا حصل منهما العمل معاً خيراً كان أو شراً، فناسب أن يكون الجزاء للأمرين معاً، والجزاء من جنس العمل، ومن ذلك ذكر عذاب

---

(١) انقل من الإنجيل في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) وجمهورهم يوافق أهل السنة على بعث البدن والروح.

(٣) «الجواب الصحيح» (٤/ ٩٧-٩٩).

المذنب في العضو الذي باشر الذنب كقوله تعالى عن امرأة أبي لهب: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ٤-٥]، والحبل من مسد جزاءً لحملها الشوك إلى طريق الرسول ﷺ وربطها لحقوها بالحبل أثناء الحمل، فكان الجزاء أن تعذب من جنس ذنبها، وأمثلة ذلك كثيرة.

* المسألة الرابعة: في الحساب يوم القيامة:

والمسلمون يؤمنون بالحساب الأخروي وأنه حق كما ذكر الله تعالى، وأن الله تعالى هو الذي يحاسب الخلائق، وهذا كله مجمع عليه عندنا، والحساب من مقتضى عدل الله تعالى وحكمته.

قال تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٥١]، ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأدلة الحساب من الكتاب والسنة كثيرة جداً.

وقال تعالى في بيان أنه يتولى الحساب بنفسه(١) سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٦]، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠]، ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وفي حديث عدي رضي الله عنه قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»، متفق عليه.

والحساب منه اليسير، وهذا لأهل التوحيد الصالحين ومن شاء الله تعالى. وحساب عسير، وهذا لأهل الشرك والكفر، ومن شاء الله تعالى من عصاة الموحدين.

قال تعالى في القسم الأول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق:٨].

وفي الثاني: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:١٨]، ونحوها من الأدلة.

والحساب اليسير هو المشتمل على العفو والمغفرة والصفح.

والعسير هو ما اشتمل على التوبيخ والعذاب والإهانة والتدقيق على كل عمل ونقاشه عليه.

ويستثنى من الحساب الأنبياء والرسل على الراجح (فهم معصومون)، وكذلك سبعون ألفاً لا حساب عليهم من هذه الأمة، كما في حديث ابن عباس المشهور، والمراد هنا بعدم الحساب: هو ترك السؤال على الذنوب، أما غيرها من الأسئلة فهذا حاصل، ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف:٦]...(٢).

---

(١) شذ القرطبي الأشعري وغيره ممن زعم أن بعض الخلق يحاسبهم الملائكة إهانة لهم أكثر، وهذا القول مردود مخالف للأدلة.

(٢) راجع (شروح الطحاوية / والواسطية / واللمعة)، «الحياة الآخرة» (٢/ ٩٣٠ – ١٠٦٠).

* المسألة الخامسة: في الجنة ونعيمها والنار وعذابها:

الجنة والنار حق، وهما مخلوقتان من قبل خلق الجن والإنس ولا تفنيان أبداً، فالجنة مأوى الموحدين من جميع الأمم، والنار مأوى المشركين من جميع الأمم، وفي الجنة الأكل والشرب والنكاح وسائر النعيم الذي أعلاه النظر إلى الرب تباك وتعالى، وفي النار العذاب الأليم للروح والبدن...

قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، وقال في خلود الجنة وأهلها: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [البينة:٨]، وفي خلود النار وأهلها المشركين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩]...(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب كما وُصف ذلك في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ.

وكذلك أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين: إما كافر أو منافق...(٢).

(١) راجع شروح (اللمعة – الواسطية – الطحاوية)وغيرها.

(٢) الفتاوى (٤/ ٣١٣) وسياتي بقيته عند الرد على اليهود.

* المسألة السادسة: في سائر الغيبيات كالملائكة وغيرها:

الأصل أن الغيب لا يُعلم إلا بوحي من الله تعالى، فلا يسعنا فيه إلا التسليم لخبر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ونؤمن بأشراط الساعة وأحوالها وبالشفاعة في الآخرة، وبأحوال القبر والصراط والميزان، وغير ذلك، وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا «منهج أهل السنة» فراجعه.

****

الفصل الثاني

عقائد الملل والنحل في الآخرة والغيبيات

وتحته مباحث

المبحث الأول

عقائد النصارى في الآخرة والغيبيات

* المسألة الأولى: مفهوم اليوم الآخرة عند النصارى:

ورد ذكر اليوم الآخرة والجنة والنار والحساب في العهد الجديد لكنه قليل، وكون النصارى أهل كتاب فهم يؤمنون بالآخرة.

ومما ورد في ذلك: (القيامة بحسب تعاليم الكتاب المقدس قيامة الأجساد وتغيير هذه الأجساد وبقاؤها إلى الأبد)، «الكتاب المقدس» (٧٤٨).

ويقررون خلود الجنة وأهلها وخلود النار وأهلها... «علم اللاهوت» (ص/ ١١٢).

وذهب كثير منهم إلى أن نعيم الجنة هو رؤية الله تعالى فقط، وليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح... «علم اللاهوت» (ص ١٢١٠).

ويرون أن البعث يكون للأرواح، وأما الأجساد فستكون يوم القيامة روحانية لا تحتاج إلى شيء مما يحتاجه الجسد الحسي، ويستدلون بنص من الإنجيل أن المسيح قال: (لأنهم في القيامة لا يزوَّجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء). «إنجيل متى» (٢٢/ ٢٩).

وجاء عن بولس نحوه (١٥/ ٤٤/ كورنثوس الأولى).

ويعتقدون أن آدم وذريته إلى زمن المسيح كانوا في جهنم حتى فداهم المسيح وأخرجهم.

وهذا العقيدة المذكورة في كتبهم فيها حق وباطل.

ومن الباطل: زعمهم أن البعث يكون للروح فقط أو لأجساد روحانية، وهذا باطل، فإن

البعث يكون للروح والبدن، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العاديات:٩-١٠]، وقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس:٦٥]، وهذا صريح وأمثاله كثيرة.

وأدلة السنة أكثر من أن تحصر في شأن بعث الأجساد ودخولها الجنة أو النار كقوله ﷺ: «ضرس الكافر في النار مثل أحد»، رواه مسلم.

والإجماع: أن هذا مخالف لجميع بني آدم ممن يؤمن بالآخرة، فهم مجمعون على أن البعث يكون للروح والجسد كما سبق في الفصل السابق.

ومن العقل: أن البعث والإثارة من القبور تكون للأجساد، أما الروح فهي لم تفنى أصلاً، بل هي حية في برزخها أو حيث شاء الله تعالى.

وكذلك قوله: (تقام جسماً روحانياً) كما قال بولس: هذا غريب حيث سماه جسماً وروحانياً في وقت واحد.

وأما النص المنسوب إلى المسيح فهو مما عملته أيديهم، فالرسل مجمعة على الإيمان بالآخرة كما سبق.

وقد جاء عنه ما يخالف هذا كقوله: (ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت الله). «إنجيل متى» (٢٦/ ٢٩).

وذكرت الأكل والشرب في «إنجيل لوقا» (٢٢/ ٢٩)، وذكر في التوراة أن آدم أكل من

الجنة حيث شاء قبل هبوطه[١].

وذكر الخزرجي[٢] أن أحد النصارى قال في رسالته إلى مسلم: إذا حشرنا يوم القيامة حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ولكن لا نأكل ولا نشرب هنالك. وهذا تصريح بحشر الجسد وتناقض في الأكل والشرب.

والنصوص نحو هذا أكثر مما ذكرنا، وكلها تدل على بعث الأجساد، وعلى أن نعيم الجنة مشتمل على المتاع من أكلٍ وشرب ونكاح وغير ذلك.

٢- زعمهم أن المسيح خلص آدم وذريته من النار باطل، وسيأتي رده قريباً.

٣- أما قول بعضهم بأن القيامة تكون مرتين: مرة للصالحين ومرة للكافرين، ففساده أظهر من أن يحتاج إلى رده[٣].

* المسألة الثانية: في الحساب والجزاء:

يقرر عامة النصارى أن المسيح هو مَن يحاسب الناس يوم القيامة يوردون لذلك نصوصاً من الإنجيل كما في «إنجيل يوحنا» (٥/ ٢٦)، (رسالة بولس الثانية ٥/ ١٠).

وقال بعض كبارهم في رسالة للقرطبي: (وفي الإنجيل يعقد ابن الإنسان في مجلس عظمته

(١) كما في «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام» للقرطبي ٤/ ٤٣٢-...).

(٢) في «مقامع الصلبان» (ص ١٠٥)

(٣) راجع: «دراسات في الأديان» (ص ٣٣٤-٣٣٦)، «الصراع العقائدي في الأندلس» (٣٨٧-٣٩٥).

= وسيأتي الرد من كلام شيخ الإسلام عند الكلام على اليهود، فإن هذا مما دخل على النصارى من قبل اليهود. وانظر «اليوم الآخر» (١/ ١٢٠) ط الكتبة العصرية جدة. ونسب البغدادي إنكار بعث الأجساد إلى أكثر النصارى. «أصول الدين» (٢٣٥).

وتقدم جميع الأمم بين يديه ويميزهم كما يميز الراعي الغنم)[١].

وذكر بعضهم ان الحساب يكون من الله تعالى كما في «المجمع الفاتيكان» (الثاني ص ٦٢٩).

* ويرد عليهم:

- أن الأناجيل التي أخذتم منها هذه العقيدة غير ثابتة، فالاعتماد عليه غير صواب.

- أن هذا مخالف لما جاءت به جميع الرسل أن الحساب يكون من الله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، ﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [المائدة:١٠٩] الآية. وأدلة ذلك كثيرة.

- أن حقيقة هذا المعتقد لم يؤخذ من المسيح عليه السلام، إنما أُخذ من الوثنيين الهنود والمصريين واليونان والرومان.

مثال ذلك: يعتقد الهنود بقيام (كرشنا) من الموت وبصعوده إلى السماء وبرجوعه مرة أخرى...

وذكروا نحوه عن غيرهم[٢].

* المسألة الثالثة: في الجنة والنار.

سبق أن زعموا في نعيم الجنة ما قرأتَ قبل، وأما جهنم فذكروا أن النار هي العذاب الحقيقي، وقال بعضهم: النار ليست حقيقة بل رمزية والعذاب حقيقة. «علم اللاهوت» (ص ١٢١١).

---

(١) «الإعلام» (٢/ ١٢٢-١٢٣).

(٢) انظر «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» (ص ١٥٨-١٦٧)، «تحريف رسالة المسيح» (ص ٣٧٥-٣٧٧)، «الصراع العقائدي» (٣٨٣-٣٩٥)، «رسالة في الأديان» (ص ٣٣٣) وغيرها.

وكذلك زعموا أن آدم وذريته كانوا في النار حتى خلصهم المسيح، ولازم ذلك بل ظاهره أن جميع بني آدم حتى الرسل كذلك.

ومن ضلالهم ما قاله الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١]، وقد رد الله تعالى عليهم ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ الآية.

الجواب: هو ما ذكره الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، وهذه نزلت في النصارى.

ولاشك أن من بنى دينه على كتب محرفة أنه يأتي بالعجائب، وقد خاطب الله تعالى النصارى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٧٤].

فهلا تابوا قبل البعث وظهور الأمور على حقائقها...[(١)].

* المسألة الرابعة: البرزخ وعذاب ونعيم القبر.

ذكر في مجمع الفاتيكاني الثاني التصريح بالبرزخ وعذابه، وأنه أول منازل الآخرة. «المجمع» (ص ١٠٣)...[(٢)].

* المسألة الخامسة: إيمانهم بالملائكة.

يصرحون بذلك، لكن من أغلاطهم زعمهم أن الملائكة تأكل وتشرب في الدنيا، بل

---

(١) انظر المراجع السابقة، و«الفتاوى» (٤/ ٣١٣-٣١٦).

(٢) «الصراع العقائدي» (ص ٣٩٢- ٣٩٣).

وينسبون ذلك إلى الله تعالى سبحانه [(١)].

وتعرف كتبهم الملائكة: بأنها طبقة من الخلائق العاقلين أعلى من الإنسان في الطبيعة والقوى ولهم أعمال مختلفة... «علم اللاهوت» (ص ٥١٠)، «إنجيل متى» (٢٥/ ٣١).

ثم يقسمون الملائكة إلى قسمين: (أ) ملائكة أخيار. (ب) ملائكة أشرار، ويعنون بهم الشياطين (فهم يرون أنهم جنس واحد)[(٢)].

ويرون أن الملائكة أفضل من أتباع الرسل، بل ومن الرسل حاشا عيسى ومريم، لأن عيسى عندهم إله، ومريم عندهم هي عرش الله...[(٣)].

وهذا كله تخليط ولبس للباطل بغيره...[(٤)].

****

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٢/ ١٠٩-١١٠).

(٢) «علم اللاهوت» (ص ٥١٠).

(٣) «الملكوت» (ص ١٥٩)، وانظر «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى... في الملائكة المقربين» (ص ٢٩٣- ٣٠٣) ط أضواء السلف.

(٤) سبق الرد على هذه في «منهج أهل السنة ومنهج وأهل الأهواء»، وانظر الفصل السابق أيضاً، وانظر «الصراع العقائدي» (٢٥٢- ٢٦٠).

المبحث الثاني

عقائد اليهود في الآخرة والغيبيات

* المسألة الأولى: مفهوم الآخرة عند اليهود:

والكلام عليه في كتبهم قليل جداً كما ذكره غير واحد...[(١)].

حتى العهد القديم الذي يظهرونه تكاد تخلو من ذلك، ونقل غير واحد إجماع اليهود على أنه ليس هناك بعث بعد الموت، وأن الحساب والعقاب هو في الدنيا بالنعيم والثراء أو الفقر والعناء...[(٢)].

ولكن هناك بعض فرق اليهود أقرت بالبعث والآخرة بصورة لا تغني كالفريسيين وقالوا: إن الصالحين من بين الأموات ينتشرون في هذه الأرض في آخر الزمان ليشتركوا في ملك المسيح... «الأسفار المقدسة» (ص ٣٤).

وهذا إنكار للبعث والآخرة في الحقيقة، وهو موافق لما عليه فرق اليهود المتأخرة من أن نعيم الجنة وعذاب النار يكون في الدنيا إلا ما ندر، لكن ورد في التلمود (ص ٦٨مع الكنز) التصريح بالجنة والنار: (الجنة مأوى الأرواح الزكية لا يدخلها إلا اليهود، والجحيم مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين وأن الجحيم أوسع من النعيم ستين مرة).

(١) «الصراع العقائدي» (ص ٣٨٧) و (ص ٣٨١) وانظر المراجع الآتية.

(٢) «العقيدة اليهودية وخطرها» (ص ٢٩١) في «تنقيح الملل الثلاث» (ص ٢٦) لابن كمونه اليهودي.

وورد في الأصول الثلاثة عشر لموسى ميمون اليهودي: أؤمن إيماناً كاملاً بقيامة الموتى في الوقت الذي تنبعث فيه إرادة الخالق...(١)

وهذا وسابقه غير صريح بالقيامة الأخروية، وإنما هي إشارة محتملة(٢).

والحقيقة أن كثيراً من اليهود يقرون بالآخرة لكن بصورة فيها حق وباطل كالنصارى، وقد ورد ذلك في أسفار لهم ومنها:

١- من سفر دانيال: (كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار الأبدي)، (١٢/ ٢).

وفي سفر أشعياء إشارة إلى ذلك (٢٦/ ١٩)، وكذا في المزامير (١٧/ ١٥).

٢- جاء وصف القيامة وما يكون فيها من خراب السماوات والأرض ... في سفر يوئيل (٤/ ١٠٣) وفي آخره قال: (لأن يوم الرب عظيم عظيم ومخوف جداً فمن يطيقه)

والمراد به: يوم القيامة. وانظر «المزامير» (٦/ ١٠٣) وغيره.

٣- قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [سورة البقرة:٨٠]، وهذا إقرار بالآخرة والنار وإن كان إقراراً منحرفاً وأماني كاذبة، بل هم مخلدون فيها لكفرهم بعيسى ومحمد عليهما السلام.

٤- ما جاء من حديث سلمة بن سلامة رضي الله عنه: أن رجلاً من اليهود بالمدينة وعظهم - قبل البعثة - فذكر الجنة والنار والحساب فقالوا: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً: إن

(١) «الفكر الديني اليهود» (ص ١٣٥).

(٢) «الفصل» لابن حزم (١/ ٢٠٧)، «العقيدة اليهودية» (٢٩١- ٢٩٣)، «دراسات في الأديان» (ص ١١٩- ١٢١)، «جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم في دحض مفتريات اليهود» (ص ٥١٣- ٥١٩)، «الحياة الآخرة» (١/ ١١٦-١١٩).

الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار – يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به... «الصحيح المسند» (/ ٤٤٣).

ذكر الجنة والجحيم في قاموس الكتاب المقدس (ص ٢٥٠) وغيره، لكن فيه من الغلط أن جعل الجحيم هي مأوى الصالحين والأشرار عند الحساب، ثم قال: (أصبح لهم مقران: الأبرار يكونون مع الرب، والأشرار يبعدون عن وجهه).

اعتقد بعضهم أن القيامة تكون مرتين: الأولى عند رجوع المسيح والثانية عند البعث، وهذا باطل لا دليل عليه(١).

ومما جعل بعض الباحثين ينسب إلى اليهود عدم الإقرار بالآخرة ما في كتبهم من التناقض بين الإنكار والاعتراف، كما سبق نقله.

ووجد منهم من يقول البعث للأرواح دون الأجساد كما تقول النصارى، ولعلهم أخذوه من هؤلاء اليهود... (المرجع السابق)، «سفر أيوب» (١٩/ ٢٥-٢٦)، «الجامعة» (١٢/ ٧).

من ضلالهم (وفيه الإقرار بالآخرة) اعتقاد بعضهم أن الحياة الأبدية خاصة باليهود، أما غيرهم فمصيرهم الفناء... «الكنز المرصود» (ص ٦٤).

وأن الجنة خاصة بهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١].

وانظر «الكنز» (ص ٦٢).

يقولون أن الجنة لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج... «الكنز» (ص ٧٨).

وهذا ضلال سبق إبطاله...(٢).

---

(١) «تنقيح الملل الثلاث» (ص ٢٧).

(٢) انظر «جهود الإمامين» (ص ٥١٥-٥٢٥).

قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:١٥]، ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩]، الشاهد (مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ) أي: في الآخرة.

وهذا رد على من أنكر الآخرة منهم، وأنهم على دين غير دين موسى عليه السلام

٥- قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد...

وإن كان ذكر المعاد موجوداً في غير التوراة من النبوات، ولهذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى(١).

وإقرارهم هذا غير تام، ولهذا قال رحمه الله تعالى(٢)وقد وصف الله تعالى النصارى بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة:٢٩]... أ.هـ(٣).

وهذه الآية في اليهود والنصارى.

ومن ذلك إنكارهم لمتاع الجنة أو معاد الأبدان – فوافقوا الفلاسفة – وغير ذلك.

وقال رحمه الله تعالى: «الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع المسلمين... وأما اليهود والنصارى فإنهم ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، ويزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الجنة، وهم يقرون مع

---

(١) «الجواب الصحيح» (١/ ٣٠٠) ط جدة.

(٢) (ص ٣٠١/ ط القاهر).

(٣) «انظر الرد على المنطقيين» ص (٤٥٨).

ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذابها.

وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بياناً في غاية التمام والكمال، وأما المنافقون من هذه الأمة لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة المنتسبين إلى الإسلام، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان.

فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر، وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها، وقد ناظره بعض اليهود في جنس هذه المسألة وقال:

(يا محمد أنت تقول: إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ومن يأكل ويشرب لابد له من الخلاء؟ فقال النبي ﷺ: «رشح كرشح المسك»...)(١)

فتلخص مما سبق أنهم - غالباً - يؤمنون بالآخرة لكن إيماناً محرفاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا، كما قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ

---

(١) «الفتاوى» (٤ / ٣١٣- ٣١٥) بتصرف يسير، وانظر (١٦/ ١٦٣).

﴿ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة:٢٩]. (١).

وسبق الرد على من أنكر الآخرة في الفصل السابق من جهة العقل والشرع أيضاً.

* المسألة الثانية: في بقية الغيبيات:

المشهور عن اليهود الإيمان بالمحسوسات، حتى قال أخيارهم قبل التحريف: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣]، وترك آخرون عبادة الله تعالى وعبدوا العجل لأنهم رأوه، وهذا مشهور عنهم.

ومن الغيب: الملائكة، وإيمانهم بهم محرف، ولهم في ذلك ضلالات، منها ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة:٩٧-٩٨]، فاليهود يعادون جبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وقالوا: إنه عدونا. وجرت لهم في ذلك قصته مع النبي ﷺ (خ ٣٠١٠) وغيره.

وزعموا أن جبريل دافع عن بختنصر حين أراد اليهود قتله وهو صغير، فلما كبر غزا اليهود وشردهم.

ومن ذلك زعمهم أن الملائكة تقوم بأعمالها عند وجود شعب الله تعالى. «قاموس الكتاب المقدس» (ص ٩٢٠).

أرادوا بالشعب اليهود. وهذا ضلال.

زعمهم أن الملائكة تأكل وتشرب «التكوين» (١٨) وغيره.

وفي «سفر القضاة» (١٣/ ٦) لا يأكلون. وهذا تناقض كما هو شأن كتبهم بعد تحريفها.

---

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ٦٣) وانظر: «جهود الإمامين» (٥٣١-٥٥٥).

زعمهم أن الملائكة تتعلم التلمود وترتله، وهذا كذب عجيب، ولهم في هذا الباب ضلالات أخرى...[١].



(١) «معتقد فرق المسلمين واليهود في الملائكة» (١٧٩ - ٢٨٩).

المبحث الثالث

عقائد الوثنيين والملاحدة في الآخرة والغيبيات

جمهورهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً (وإنما يقولون بالتناسخ، وسيأتي تعريفه وبيان ما فيه من الضلال).

وهذا قول البوذية والشنتوية والطاوية والجينية والكونفوشيوسية والسيخ والمهاريشية وسائر الملاحدة...

وعلى هذا يتوجه الرد على من قال بالتناسخ، وهم الأكثر، وبعضهم قال بالبعث كالفلاسفة العرب والصابئة وغيرهم، وسيأتي الكلام عليه.

أما الملائكة فبعضهم يقر بوجودهم لكن بصفة منحرفة سبق بعض ذلك، ونتوجه هنا إلى بيان معنى التناسخ والرد عليه، ثم نذكر كلام الفلاسفة ونرد عليه...

* المسألة الأولى: القول بالتناسخ وبيان بطلانه:

* أولاً: معناه:

هو رجوع الروح بعد خروجها من جسمٍ بالموت إلى جسمٍ آخر وتحيا فيه حسب الأعمال، فروح الإنسان الخيِّر تتنقل إلى أفضل، وروح الأشرار تتنقل إلى الحيوانات والحشرات.

وهذه نهاية الروح عندهم، وهذا هو الحامل لهم على الزهد حتى لا تتنقل أرواحهم إلى جسم شرير تعذب فيه، وهو سبب حرق الجسم عند بعضهم.

* ثانياً: سبب القول بالتناسخ:

أن الروح إذا خرجت من الجسم ولم تزل لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعلم المادي لم تتحقق بعد فتعود لذلك.

إذا خرجت من الجسم وعليها حقوق للآخرين فلابد من أدائها فتعود لذلك...

إذا كانت مذنبة فلاتزال من جسد إلى آخر حتى يتم تطهيرها وتصل إلى درجة (النيرفانا) كما يقوله البوذية، أو تتحد بالإله كما يقول الهندوس، أو النجوم كما تقول النصيرية، أو ترجع بعد التطهير إلى جسد يهودي كما تقوله بعض فرق اليهود، أو جسد درزي عند الدرزية... (١).

* ثالثاً: القائلون بالتناسخ:

وهم فرق منهم الصابئة الحرانية، ونسب إليهم أنهم أول من قال به، وصِنف من السُّمْنية وصِنف من الفلاسفة، فقد نسب هذا القول إلى سقراط وأفلاطن (أو أفلاطون) وغيرهما.

وقالت بالتناسخ بعض فرق اليهود.

وهكذا قالت به البيانية والجناحية والراوندية وبعض غلاة الرافضة الحلولية، قالوا بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم كما ذكره البغدادي وشرحه عنهم ولا يقولون بتناسخ أرواح الناس، وقولهم أعظم كفراً وضلالاً وتابعهم بعض القدرية كأحمد بن خابط وغيره....

وقالت به الهندوسية وسائر فرق الهند وغالب طوائف الصين كما سبق. انظر المراجع السابقة.

* رابعاً: ماهي نهاية التناسخ؟

أما عند الهندوس فلا نهاية لها، إذ أنها بعد التناسخ المكرر آلاف المرات ترجع إلى جسم

---

(١) «الفصول» (ص ١١٣)، «ثقافة الهند» (ص ٤٣)، «الملل والنحل» (٢/ ٥٥)، «الحياة الآخرة» (١/ ١٢٦-١٣٠)، «الكنز المرصود» (ص ٦١)، «الفرق بين الفرق» (ص ٢٨٩-٩٥).

إنسان، ثم تتكرر العملية ملايين السنين، ثم تتصل بالروح العليا... وتستريح من التنقل فترة ثم تعود العملية من جديد...

أما عند البوذية فإنها بعد التطهير تفنى.

وقال بعض الطوائف بغير ذلك كقوله المانوية: إن الروح بعد التناسخ والتطهير تصعد إلى الفلك وتبقى فيه منعمة.

* خامساً: بيان بطلان هذه العقيدة شرعاً وعقلاً(١).

١- قال الله تعالى ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الدخان:٥٦]، وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨]، فبعد الموت الحياة الأخروية والبعث.

وجميع الأدلة على الآخرة تدل على ذلك.

٢- أنه قول لا دليل عليه شرعي ولا عقلي، بل هو يصادم ذلك، وقد اختلف القائلون به إلى أقوال كثيرة وتناقضت أقوالهم فيه، لاستحالة قبوله عقلاً.

٣- أن بعض علماء الهندوس أنكر وجود هذه العقيدة في كتابهم (الفيدا) مثل (ستيا بركاش) وغيره.

٤- استدل بعضهم بتكرار طلوع الشمس والقمر ... ونحو ذلك، وهذا مردود، فإن الشمس هي الشمس لم تتحول يوماً قمراً ولا بحراً ... وهذا يبطل زعمكم بتنقل الروح بين الإنس والحيوان ... أو من إنسان إلى آخر ...

---

(١) «الفصول» (١١٣-١٢٣)، (المراجع السابقة).

٥- اختلاف حال الإنسان من صحة إلى مرض ومن شباب إلى شيخ ... دليل على أنها روح واحدة، وأن تغير صفات المخلوقات عن بعضها راجع إلى الوراثة التي قدرها الله تعالى.

٦- قولهم: (إن الروح أزلية) وهذا باطل، فالروح مخلوقة من عدم، والقول بأزليتها لا دليل عليه، فإن الموت من علامات مَن خُلق من عدم، وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [سورة الحجر:٢٩] في حق آدم فإنه خلقه من عدم ثم خلق روحه ونفخ الروح في البدن، ولم تكن روح لآدم قبل هذا، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥] أي: خلقت بأمره تعالى وتقديره.

٧- أن القول بالتناسخ سببه البعد عن الله تعالى وعن ما جاءت به رسله عليهم السلام، وذلك جهل وضلال، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩]، وقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾.

وكذلك هو مبني على إنكار الشرائع والآخرة، وقد سبق رد ذلك وبيان بطلانه.

٨- ومن أسباب القول بالتناسخ تقليد السابقين والزعماء، وهذا من أصول الضلال حيث يعطل الإنسان عقله ويتبع أقوالاً لا دليل عليها، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠] الآية.

* المسألة الثانية: في الرد على الفلاسفة:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في ذكر أقوال الناس في البعث والمعاد:... «والقول الثالث: المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط وأن الأبدان لا تعاد، وهذا لم يقله أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى، بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان وعلى القيامة الكبرى.

ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على أن المعاد للروح وحده، فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان وإن لم يكن له حقيقة، وخاطبوهم بإثبات الصفات لله تعالى وليس لها حقيقة وأن الأنبياء لم يُظهروا الحقائق للخلق، وأنه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله تعالى ولا معرفة شيء من أمر المعاد.

وحقيقة قولهم: أن الأنبياء كذبوا للمصلحة، وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء من المسلمين واليهود والنصارى.

وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل لظهور أديانهم وهو في الباطن على هذا الرأي.

وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط منهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ إما في أبدان الآدميين أو أبدان الحيوان مطلقاً أو في جميع الأجسام النامية، ومنهم من يقول بالتناسخ في الأنفس الشَّقِية فقط، وكثير من محققيهم ينكر التناسخ.

والقول الرابع: إنكار المعادين جميعاً كما هو قول أهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك وغيرهم والمتفلسفة أتباع أرسطو كالفارابي وأتباعه ولهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال... (١)

والرد هنا يتوجه على من خص المعاد بالأبدان فقط من الفلاسفة ومن وافقهم.

١- أن الوارد في الكتاب والسنة هو تغيير العالم وتحويله وتبديله لا جعله عدماً محضاً وإعدامه بالكلية، فدل على تبديل الأرض غير الأرض والسماوات وعلى تشقق السماء وانفطارها وتكوير الشمس وانتشار الكواكب وسجر البحار، وإنزال المطر على أجزاء بني آدم

(١) «الجواب الصحيح» (٤/ ٩٩-١٠٠).

المختلطة بالتراب فينبتون كما ينبت النبات وترد تلك الأرواح بعينها (١) إلى تلك الأجساد التي أحيلت ثم أنشئت نشأة أخرى...(٢).

قال الله تعالى عندما قال منكرو البعث: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون:٨٢] فقال سبحانه: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [ق:٤]، فهو سبحانه عالم بتلك الأجسام وأجزائها المتفرقة وهو كذلك قادر على جمعها وتأليفها خلقاً جديداً، فهو سبحانه موصوف بكمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته كقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٩]...(٣).

٢- أن المعاد للأرواح والأبدان معلوم بالعقل مع الشرع ... ولذلك دعا الله تعالى الخلق إلى التفكر في هذا العالم وارتفاعه وفي الأرض وأحوالها وإلى النبات كيف يخلقه الله تعالى، فإن فيه شبهاً بمعاد الأبدان. - وقد سبق تقريره في الفصل السابق- .

٣- أن هذا البدن خُلق من نطفة، فاستحالت قطعة دم ثم لحماً وعظماً، ثم تكون خلقاً سوياً، فكذلك إعادة الأبدان في الآخرة تتحول أتربتها أجساماً سوية، ولذلك قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤].

٤- أن العبد في الدنيا أدى العمل بروحه وبدنه، فاقتضت حكمته تعالى إعادة الروح مع البدن ليكون الجزاء من جنس العمل.

---

(١) وهذا هو الحق، وأن من قال يعيدها من العدم مخطئ كما تقول الفرق الكلامية وغيرها.

(٢) «الفتاوى» (٤/٣١٦)، «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣٤-٣٥)، «الحياة الأخرى» (١/١٥٣-١٥٧).

(٣) «الفوائد» لابن القيم (ص ٧-١٠) ط عالم الفوائد.

٥- قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة:٣-٤].

وهذا صريح في إعادة البدن بلحمه وعظامه، بل حتى بصمات أنامله.

٦- قول الفلاسفة: النعيم والعذاب يكون للأرواح فقط.

وهذا فيه الإقرار بالبعث والنعيم والعذاب، لكنه غلط من حيث إنكار بعث الأجساد، والقول في الجسد كالقول في الروح، فأمرهما واحد، والنظير له حكم نظيره، وليس هناك مانع من الجمع بين سعادة الروح والبدن أو العكس.

٧- قولهم: (البدن هو الآلة تدرك به الروح اللذات) هذا القول فيه حق وباطل، لكن يقال لهم على هذا التقرير: يلزم بعث البدن لأجل أن تتوصل به الروح إلى لذاتها.

٨- وينكر كثير منهم كون النعيم في الجنة والعذاب في النار، فلا يقرون بجنة ولا نار، وهذا باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد سبق بيانه.

٩- إذا بعثكم الله تعالى وأيقنتم بما كنتم عليه من الضلال ندمتم حيث لا ينفع الندم(١).

* المسألة الثالثة: في الكلام على الملائكة.

* أولاً: الهندوس.

يذكرون الملائكة في كتبهم وربما سموها آلهة كقولهم: إله السماء وإله الأرض وإله الرعد...

وذكر بعضهم أنهم يقولون في الملائكة: (أرواح سماوية لها قدرة على التصرف في الكون) ولهم في ذلك غرائب منها: عبادة الملائكة وإنهم يأكلون ويشربون وينكحون ويموتون، وأن

(١) «الحياة الأخرى» (١/ ١٦٥-١٨٠)، «تهافت الفلاسفة» (ص ٣٠٢).

أصولهم من البشر ترقوا بأعمالهم وتناسخهم... (١)

* ثانياً: البوذية.

يذكرون الملائكة في كتبهم بما يشبه كلام النصارى وكأنهم تلقوه من البوذية، وكلامهم نحو كلام الهندوس بل مأخوذ عنهم(٢).

* ثالثاً: بقية الوثنيين والصابئة لهم كلام نحو ذلك.

* رابعاً: الفلاسفة:

زعموا أن الملائكة هم العقول المجردة والنفوس السماوية، ومن ذلك العقل الفعال، كما يقولون: الوحي فيض من العقل الفعَّال، وأن الملائكة قوة عقلية لا جسم لها ولا جود لها في الأعيان وأنها أزلية. وهذا في الحقيقة انكار لوجود الملائكة(٣)...

وكذلك زعمهم أن ما تذكره الفلاسفة اليونان من العقول هي الملائكة. وهذا باطل وتكلف بعيد لا تقر به الفلاسفة القدماء كأرسطو.

كما قال شيخ الإسلام: «أما معرفة ملائكته وكتبه ورسله فلا يعرفون ذلك ألبتة، ولم يتكلموا فيه بنفي ولا إثبات، وإنما يتكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل... (٤)

وقال رحمه الله تعالى: «ما يثبته المتفلسفة من العقل باطل عند المسلمين، بل هو من أعظم الكفر، فإن العقل الأول - عندهم - مبدع كل ما سوى الله تعالى، والعقل العاشر مبدع ما تحت فلك القمر، وهذا من أعظم الكفر عند المسلمين واليهود والنصارى...

---

(١) «معتقد فرق المسلمين والوثنيين في الملائكة» (ص ٣١٠- ٣١٤).

(٢) (ص ٣١٥- ٣١٨/) المرجع السابق.

(٣) «معتقد المسلمين والفلاسفة في الملائكة»... (ص ٣٢٠-٣٢٢).

(٤) «دقائق التفسير» (٦/ ٤٢٥-٤١٦).

والملائكة التي أخبرت بها الرسل وإن كان بعض من يريد الجمع بين النبوة والفلسفة يقول إنها العقول، فهذا من أبطل الباطل، فبين ما وصف الله تعالى به الملائكة في كتابه وبين العقول التي يثبتها هؤلاء من الفروق ما لا يخفى إلا على من أعمى الله تعالى بصيرته ...» [(١)].

كذلك جعْلُهم إياها أزلية مع كونها لا وجود لها في الأعيان تناقض ظاهر وباطل، فهي مخلوقة موجودة وليست أزلية...[(٢)].

وأما الجن فسائر الأمم تقر بوجودها إلا الفلاسفة أتباع أرسطو...[(٣)].

****

(١) «الرد على المنطقين» (١٩٦-١٩٨).

(٢) «موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة» (ص ٣٩٤-٤٠٠).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٠٠-٤٠٢).

الباب الخامس

العقيدة في النبوة

ويشمل فصلين:

١ -عقائد الإسلام في النبوة

٢ -عقائد الملل والنحل الكافرة في النبوة

وتحتها مباحث.

الفصل الأول

عقائد النُبوة في الإسلام

وتحته مسائل

الفصل الأول

عقيدة الإسلام في النبوات (١)

* المسألة الأولى: الإيمان بالنبوات من الإيمان الذي لا نجاة إلا به.

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، وقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ١٣﴾ [الفتح:١٣]، والأدلة من الكتاب والسنة كثيرة.

ومن كفر بنبي واحد فقد كفر بجميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «إن من تولى الله تعالى حقيقة تولى جميع رسله؛ لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادي أحداً من رسله فقد عادى الله سبحانه وعادى جميع رسله... وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل...». أ.هـ

(١) هذا الفصل منقول من كتاب «أصول أهل السنة» مع بعض التصرف.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والايمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال والإيمان والكفر ولم يميز الخطأ من الصواب»(١).

وقال: «ولابد في الإيمان أن يؤمن العبد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بكل رسولٍ أرسله وكل كتابٍ أُنزل»(٢).

وقال: « وَأَمَّا قَوْلُهُ: " وَرُسُلِهِ " فَأَنْ تُؤْمِنَ بِمَا سَمَّى اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ رُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ سَوَّاهُمْ رُسُلًا وَأَنْبِيَاءَ لَا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ إلَّا الَّذِي أَرْسَلَهُمْ وَتُؤْمِنَ بِمُحَمَّدِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيمَانُك بِهِ غَيْرُ إيمَانِك بِسَائِرِ الرُّسُلِ. إيمَانُك بِسَائِرِ الرُّسُلِ إقْرَارُك بِهِمْ وَإِيمَانُك بِمُحَمَّدِ إقْرَارُك بِهِ وَتَصْدِيقُك إيَّاهُ دَائِبًا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَإِذَا اتَّبَعْت مَا جَاءَ بِهِ أَدَّيْت الْفَرَائِضَ وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ وَحَرَّمْت الْحَرَامَ وَوَقَفْت عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَسَارَعْت فِي الْخَيْرَاتِ...» (٣).

وقال: «من أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحدٍ منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى وحداً منهم فقد عصى الجميع؛ لأن كل رسول يصدق الآخر، ويقول: إنه رسول صادق ويأمر بطاعته، فمن كذَّب رسولاً فقد كذَّب الذي صدقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته» (٤).

---

(١) «النبوات» (ص ٤٤٧).

(٢) «الفرقان» (ص٧٧).

(٣) «الفتاوى» (٧/ ٣١٣).

(٤) «الفتاوى» ١٩/ ١٨٠)، و (ص ١٨٥) وراجع: «شرح الطحاوية» (ص ١٦٨-١٧٨)، «شروح الواسطية» عند قوله: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. «الطحاوية» لآل الشيخ (ص ٤٠)، «حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته» (١/ ٦٢-٧٢) وغيرها.

* المسألة الثانية: الإسلام والتوحيد دين جميع الرسل عليهم السلام.

* الأدلة:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقوله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، متفق عليه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

وعبادته في كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام، فلا يكون عابداً له مَن عبده بخلاف ما جاءت به رسله، كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، فلا يكون مؤمناً به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له إلا مَن آمن بجميع رسله وأطاع مَن أرسله إليه، فيطاع كل رسول إلى أن يأتي الذي بعده فتكون الطاعة للرسول الثاني[(١)].

(١) «الجواب الصحيح» (٨٣-٨٤) «النبوات» (١/ ٣٩) ط أضواء السلف. «موقف الإسلام من عيسى»، و«منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» للمدخلي. «المورد العذب الزلال» للنجمي وغيرها.

* المسألة الثالثة: معنى النبوة.

اصطفاء من الله تعالى واختيار منه لعبدٍ من بين سائر الناس يختصه برحمته ويصطفيه بفضله ومنته.

* ويكون ذلك بأمرين:

الأول: أن يمن الله تعالى عليه بصفات عظيمه يفضله بها على غيره في عقله ودينه وخُلقه، كالصدق والشجاعة والكرم وحسن الخلق والصبر وسداد الرأي... (وتسمى صفة ثبوتية).

الثاني: أن يصطفيه بنزول الوحي عليه بالنبوة والشرائع... (وتسمى صفة إضافية).

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [الأنعام:٨٧]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه:٤١]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وفي قصة هرقل الذي قال لأبي سفيان: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب قال هرقل: وكذلك الأنبياء تبعث في نسب قومها... وقال: وكذلك الأنبياء لا تغدر... الحديث: متفق عليه عن أبي سفيان.

وكان نبينا يسمى قبل البعثة بالصادق الأمين.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس والله أعلم حيث يجعل رسالته، فالنبي يختص بصفات ميزه الله تعالى بها على غيره في عقله ودينه واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف:٣١-٣٢] ...[1]

وقال: والله سبحانه اتخذ رسولاً فضله بصفات أخرى لم تكن موجودة فيه من قبل إرساله، وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم، فلا يقال إن النبوة مجرد صفة إضافية كما تقوله الجهمية. اهـ بتصرف[2] .

* ويتفرع عن المسألة السابقة:

- أن النبوة فضل من الله تعالى مَنَّ بها على من يشاء من عباده بحكمة منه، وليست مقابل عمل مسبق من النبي كما زعمته المعتزلة، كما أن للنبي صفات ثبوتية استعد بها للنبوة وتميز بها عن غيره، وهذه سبب، والقول فيها كالقول في الهداية.

فالاصطفاء بالنبوة تابع لمشيئة الله تعالى وحكمته وفضله ومنته، كما أن الصفات الثبوتية سبب في حصول هذا الاصطفاء.

وإن كان النبي قبل نبوته لا يعلم أنه سيبعث ويوحى إليه ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [سورة القصص:٨٦] [3] .

* المسالة الرابعة: النبوة ثابتة بالعقل:

فالعقل يثبت النبوة ويحسنها ويرجع إثباتها للحكمة والتعلل.

أما كون العقل يثبتها فلأن الإنسان لا يستطيع حقيقة العبادة إلا عن طريق الرسل، فهي

---

(١) «منهاج السنة» (٢/ ٤١٦).

(٢) «منهاج السنة» (٥/ ٤٣٧-٤٣٩).

(٣) راجع: «النبوات» (ص ٣٠)، «الطحاوية» لآل الشيخ (٤٠)، «نقض عقائد الأشاعرة» (٤٥٧-٤٦١) وغيرها.

ضرورة فوق كل ضرورة.

وأما كونها راجعة إلى الحكمة: قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

فبعثة الأنبياء والرسل مما جعله الله تعالى على نفسه لا عن طريق الايجاب على الله تعالى كما تقوله المبتدعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في والآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم...» .(٢).

* **المسألة الخامسة: عصمة الرسل:**

أ- أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى وفي تبليغ رسالته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله تعالى وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة... وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة، والعصمة فيما يبلغونه عن الله تعالى ثابتة، فلا يستقر في

---

(١) «الفتاوى» (١٩/ ٩٣-٩٤).

(٢) «الزاد» (١/ ٦٩) وراجع: «الفتاوى» (١٦/ ٤٩٨)، «النبوات» (١/ ٢٢-٢٧)، «لوامع الأنوار» (ص ٢٥٦)، «الطحاوية» لآل الشيخ (ص ٤١)، «نقض عقائد الأشاعرة» (ص ٣٦٣) وغيرها.

ذلك خطأ باتفاق المسلمين(١).

❋ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥﴾ [الحاقة:٤٤-٤٥] الآية.

ومن ذلك قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق»، رواه أحمد وغيره وصححه الشيخان.

ونقل الإجماع على ذلك ابن تيمية والقاضي عياض وغيرهما... «الشفاء (٢/ ٧٤٦).

ب- عصمة الرسل والأنبياء من الكفر والشرك.

أما بعد البعثة والنبوة فهذا ظاهر، من شك فيه كفر، إذ أن سب الأنبياء بما دون ذلك كفر، فكيف إذا وصل الأمر إلى هذا الحد، وعليه أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم:٢]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه...»(٢).

ج- عصمة الأنبياء والرسل من الذنوب:

هم معصومون من الكبائر بعد النبوة، وأما الصغائر فعلى قسمين:

---

(١) «الفتاوى» (١٠/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٣٠) وانظر «الرسل الرسالات» للأشقر (/ ٩٧)، «حقوق النبي» (١/ ١٤٥-١٤٦).

قسم منها: مؤثر في الصدق والأمانة وتبليغ الرسالة، فهذه لا تجوز على الأنبياء

وقسم منها: مما يكون من طبائع البشر في العمل أو النظر ونحو ذلك، فهذه قد تقع، ولم يذكر لنبيٍّ ذنب إلا قُرن بالتوبة.

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤]، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:٢]، وقوله ﷺ: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»، متفق عليه.

* المسألة السادسة: الأنبياء عليهم السلام بشر.

يجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر، كالأمراض ونحو ذلك مما هو طبيعة البشر وذلك لا ينافي العصمة.

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله ﷺ: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه (خ ٥٦٤٧) (م ٢٥٧١).

وقد ذكر الله تعالى ذلك في قصة أيوب ويونس، وأدلة المسألة كثيرة.

قال الشيخ صالح آل الشيخ رفع الله تعالى درجته: «الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر يجوز في حقهم ما يجوز في حق البشر مما هو من الجبلة والطبيعة... من حيث الأمراض والعاهات، فالأنبياء يبتلون ويمرضون...» (١).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى في ابتلاء الأنبياء: «أحب الله تعالى أن يبتليهم تكميلاً

(١) «شرح الطحاوية» (ص ٤٤).

لفضائلهم لديه ورفعة لدرجاتهم عنده، وليس ذلك في حقهم نقصاً...»(١).

* المسألة السابعة: صفة النبوة في النبي. والرسالة في الرسول لا تزول بموته، وهم أحياء في قبورهم حياة برزخية لا حياة دنيوية.

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ [الرعد:٣٨] الآية. فسماهم رسلاً بعد موتهم، وفي التشهد أمرنا أن نقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، متفق عليه عن جمع من الصحابة.

وعلى هذا إجماع الأمة إلا من شذ من الضُلال.

وأما الأدلة على حياة الأنبياء - وغيرهم - البرزخية:

فقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر:٣٠]، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون:١٠٠].

وقد مر النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بالأنبياء فرآهم وكلمهم كما ورد ذلك في أدلة كثيرة، وحياتهم في قبورهم أكمل من حياتهم في الدنيا.

وقد صح عنه عليه والصلاة والسلام قوله: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون». «صحيح الجامع» (٢/ ٤١٤) عن أنس.

وقد ذكر ابن القيم في النونية الأقوال، ونصر مذهب أهل السنة ورد على المبتدعة ونقل

---

(١) «التذكرة» (ص ٢٥ -٢٦).

الشارح كلاماً لابن حزم. (١).

* المسألة الثامنة: في دلائل النبوة وآيات الرسل.

* تعريفها:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله تعالى تتضمن إعلام الله تعالى لعباده وإخباره.

فالدليل: وهو الآية والعلامة لا تدل إلا إذا كان مختصاً بالمدلول عليه ومستلزماً له مساوٍ له وإما أخص منه لا يكون أعم منه غير مستلزمٍ له، فلا يتصور أن يوجد الدليل بدون المدلول عليه.

فالآيات التي أعلم الله تعالى بها رسالة رسله وصِدقهم لابد أن تكون مختصة بهم مستلزمه لصدقهم...» (٢).

وقال (ص ٧٩٤): «فإن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها.. والقرآن إنما تحداهم لما قالوه إنه افتراه ولم يتحداهم به ابتداءً، لكن قد عُلم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء فهذا لازم لها...

وأيضاً: فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم وقبل إنبائهم، ومنها ما يكون بعد موتهم، فإن الآية هي دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله وهذا الدليل لا يختص بمكان ولا بزمان ولا

---

(١) «شرح النونية» (لابن عيسى ٢/ ١٥٠-١٦٥)وانظر: «نقض عقائد الأشاعرة» (٤٧١-٤٨٠)، «الرسال والرسالات» للأشقر (ص ٩٢-٩٣).

(٢) «النبوات» (٢/ ٧٧٨).

يكون هذا الدليل إلا من جنسٍ لا يقدر عليه الإنس والجن كلهم، فلابد أن يكون جنسه معجزاً أعجز الإنس والجن...

وقال (ص ٧٩٥): «ودليل النبوة يمتنع ثبوته بدون النبوة...».

وقال (ص ٨٠٣): «وآياتهم صغار وكبار، كما قال تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٢٠]، وقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٨]».

وقال (ص ٨٠٧): «والآيات التي يبعث الله تعالى بها أنبياءه قد يكون مثلها لأنبياء أخر مثل إحياء الموتى، فقد كان لغير واحد من الأنبياء...».

وقال شيخنا رحمه الله تعالى [(١)]: «هذه المعجزات التي أجراها الله تعالى على أيديهم ليس بحول الأنبياء عليهم السلام ولا بقدرتهم، ولكن الله تعالى أجراها على أيديهم تصديقاً لهم...». أ. هـ

* تنبيه:

دلائل النبوة ليست منحصرة في الآيات الحسية، فالنبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع.

* فمن أدلتها:

- حال المخبِر وهو النبي، وذلك بظهور صدقه وأمانته، ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يدعى بالصادق الأمين، وفي قصة هرقل أسئلة متنوعة عرف بها صدق نبوة رسول الله ﷺ وذلك في زمن الوحي.

- دلالة المخبَر به مما دعا إليه من الحق والتوحيد والأخلاق، وما حذر منه من الشرك والشرور، وكان ذلك من أعم أسباب دخول الناس في الإسلام.

- الآيات المعنوية، كإخباره بالغيب والبشارات السابقة كالرؤى وغيرها.

---

(١) «دلائل النبوة» (ص ١٢).

- تأييد الله تعالى له ولأتباعه، وهكذا إهلاك أعداء الرسل وفضح مدعي النبوة وخذله...

- ما صح من إخبار الرسل والأنبياء بعضهم ببعض كإخبار موسى وعيسى بنبينا ﷺ، وغير ما ذكرناه.

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء:١٩٧]، فمن الآيات الدالة على صدق رسولنا ﷺ ما جاءت به الكتب السابقة، وقال تعالى عن عيسى عليه والسلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وقال تعالى في بيان حال نبيه قبل مبعثه: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس:١٦] أي: لبثت عمراً فكيف كانت سيرتي فيكم.

فاستدل بحاله على صدقه ونبوته، وفي قصة هرقل عظة في هذا.

وقال تعالى في بيان ما دعا إليه الرسل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]، فهذا دلالة على صدق الرسول.

وقال تعالى عن تأييده لرسله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٥١] الآية.

وقال في فضح مدعي النبوة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس:٦٩].

وقال شيخنا رحمه الله تعالى(١): «يدخل في دلائل النبوة ما كان عليه ﷺ من الأخلاق الحميدة وما أوتيه من جوامع الكلم وشمول التشريع لدقائق الأمور». وقد ذكر أدله كثيرة في

---

(١) في «دلائل النبوة» (ص ١٢).

كتابه فراجعها[(١)].

* المسألة التاسعة: الفرق بين الآيات وكرامات الأولياء.

* أولاً: تعريف الكرامة:

هي من جنس آيات الأنبياء تظهر على يد بعض أتباع الأنبياء الصالحين تأييداً له وتثبيتاً.

وعرفها غير واحد من العلماء: هي آية أجراها الله على يد عبد من عباده. وإن كانت في الصالحين أكثر.[(٢)].

وهي تعتبر من آيات الأنبياء الصغرى وأيضاً هي مما لا يقدر على مثلها الإنس والجن، وسببها الصلاح والاتباع وسلامة المعتقد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فقد تبين أن من آيات الأنبياء ما يظهر مثله على أتباعهم ويكون ما يظهر على أتباعهم من آياتهم - يعني الرسل - فإن ذلك مختص بمن يشهد بنبوتهم...[(٣)]

* ومن الفروق بين الآية والكرامة:

١- الآيات للأنبياء والكرامة لأتباع الأنبياء - غالباً.

٢- النبي معصوم.... وصاحب الكرامة غير معصوم.

٣- الآيات لابد من إظهارها لتكون دعوة إلى الإيمان بالنبي وبرهان له والكرامة لا

---

(١) راجع: «النبوة» لشيخ الإسلام (٢/ ٩٤٦-٩٤٩، ٩٥٨)، (١/ ١٩٨-٢١١)، «شرح الطحاوية» لآل الشيخ (ص ٤٢)، «نقض عقائد الأشاعرة» (٤٨٢-٤٨٨)، «الرسل والرسالات» للأشقر (١١٩-٢٠٥).

(٢) هذا هو الصواب، وقيل: أمر خارق للعادة جرى على يد ولي. وهذا فيه نظر.

(٣) «النبوات» (٢/ ٨٢٥)، و(ص ٨٢٣-٨٢٤).

يشترط ذلك.

٤ – الكرامة داخلة في آيات الرسل ولا عكس.

٥ – الآيات سببها النبوة... والكرامة سببها الصلاح والاتباع.

* تنبيه: الثالث والخامس ذكرتها للاستئناس وليسا عمدة في الفروق.

لا تبلغ كرامة ولي إلى مثل آيات نبي قط وإن حصل للأولياء بعض من ذلك.

* الأدلة:

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة:٢٥٩] الآية. فهذه كرامة ومثلها قصة أصحاب الكهف، وقوله تعالى لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم:٢٥] الآيات. وهؤلاء ليسوا بأنبياء ولا معصومين.

والأدلة في هذا الباب كثيرة،

وقد ذكرها شيخنا عبد الرقيب الإبي في كتابه: «كرامات الأولياء» فراجعه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات...». «الواسطية».

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: «ونؤمن بما جاء من كرامتهم وصح عن الثقات من رواياتهم...» (١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «فالكرامة ثابتة بالقرآن والسنة والواقع سابقاً ولاحقاً... فمذهب أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء».

---

(١) «الطحاوية» (ص ١٢٧٥) ط ابن الجوزي.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقوع كرامات الأولياء إنما تكون لحاجة في الدين أو لمنفعة للإسلام والمسلمين، فهذه هي الأحوال الرحمانية سببها متابعة الرسول، ونتيجتها إظهار الحق وكسر الباطل، والأحوال الشيطانية ضدها سبباً ونتيجة». (١).

* المسألة العاشرة: في الفرق بين آيات الرسل وخوارق السحرة ونحوهم.

* هناك فروق كثيرة ذكرها شيخ الإسلام وغيره منها:

- أن النبي صادق فيما يخبر به لا يكذب قط، وأما السحرة والكهان لابد أن يكذبون، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢].

وفي الحديث: «أنهم يكذبون مائة كذبة»، مع كل كلمة تخطف من السماء.

- الأنبياء لا تأمر إلا بالحق والعدل والتوحيد وطلب الآخرة، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم من السحرة وغيرهم يأمرون بالباطل والظلم والشرك ويعظمون الدنيا وأعمالهم الإثم والعدوان.

- أن السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها ليست خارقة لعاداتها، وأما آيات الأنبياء لا تكون إلا لهم، قال تعالى في السحرة: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] الآية.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٢٧) وراجع: «النبوات» (١/ ١٣٦-١٤٥/ ٦٢٨)، «جامع شروح الطحاوية» (٢/ ١٢٧٧-١٢٨٥)، «شرح الواسطية» للعثيمين (٢/ ٢٩٧-٣٠٦)، «شرح الواسطية» لآل الشيخ (٢/ ٤٩٤-٥٠٥)، «نقض عقائد الأشاعرة» (٥٠٨-٥٢٢)، «شرح الهراس» للواسطية (٢٥١-٢٥٤) ط ابن تيمية.

- أن ما يأتي به الكهان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدوراً للجن والإنس، وآيات الرسل لا يقدر عليها الإنس والجن: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨].

- أن آيات الرسل والأنبياء لا يمكن أن تعارض بمثلها، أما خوارق السحرة ممكن معارضتها بمثلها.

وقد ذكر شيخ الإسلام اثني عشر فرقاً (١).

* المسألة الحادية عشر: في الفرق بين الكرامة وخوارق السحرة ونحوهم.

* هناك فروق، منها:

- كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو خوارق أعداء الله تعالى لا من كرامات أولياء الله تعالى... (٢)

- كرامات الأولياء من جنس آيات الرسل - كما سبق - فبينها وبين السحر نحو الفروق السابقة بين الآيات والسحر.

- وأما السحر فليس من جنس الآيات، فغاية أمره تخيلات وسحر الأعين، وأما قلب الأعين وتغيير الحقائق فلا يستطيع الساحر عليها كما ذكر الله تعالى عَصى موسى وعِصي السحرة، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشعراء:٤٥]،

---

(١) راجع «النبوات» (١/ ٥٥٨-٥٦٠)، «المنبل في اعتقاد أحمد بن حنبل» (ص ٩٩-١٠٠)، «نقض عقائد الأشاعرة» (٥١٤-٥١٦)، «دلائل النبوة» لشيخنا (٣٨-٤٠)، «شرح الطحاوية» لآل الشيخ (٥٨-٦٠) وغيرها.

(٢) «الفتاوى» (١١/ ٣٠٢).

﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١].

- حال الساحر وحال صاحب الكرامة فالأول كافر فاجر آثم ظالم، والثاني مؤمن موحد ...

- الكرامة معينة على الطاعة أو مثبتة، والسحر شرٌ وضلال ووبال على صاحبه. قال تعالى في السحرة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]، وقال: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس:٨١] (١).

* المسألة الثانية عشرة: تفاضل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض.

ولا يجوز احتقار أحدٍ منهم، فكلهم ذوو فضل.

* الأدلة:

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٦].

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الناس.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «يخبر تعالى أنه فضَّل بعض الرسل على بعض كما قال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥]... ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل.

فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوني على الأنبياء» الحديث.

---

(١) راجع «نقض عقائد الأشاعرة» (ص ٥٢٤)، «شرح الواسطية» لآل الشيخ (٢/ ٤٩٦- ٤٩٨).

* فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل - وفي هذا نظر.

الثاني: أن هذا قاله من باب التواضع.

الثالث: أن هذا قاله للنهي عن التفضيل في مثل هذه الحالة التي تحاكموا فيها عند التخاصم.

* الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

* الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم إنما هو إلى الله تعالى. ا. هـ بتصرف من تفسير سورة البقرة.

وقد اتفق أهل السنة أن أفضل الأنبياء الخليلان وخيرهما نبينا محمد ﷺ وهو القائل: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»، متفق عليه عن أبي هريرة[١].

****

(١) راجع: «الفتاوى» (١١/ ٢٢٤)، «المنبل في اعتقاد ابن حنبل» (ص ١٠١)، «الرسل والرسالات» (ص ٢٠٩-٢٢٤) وغيرها.

الفصل الثاني

عقائد الملل والنحل في النبوة

وتحته مباحث

المبحث الأول

عقائد النصارى في النبوة

* المسألة الأولى: في معنى النبوة.

سبق أن معنى الوحي عندهم: إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر، وهو عمل روح الله تعالى. أو بعبارة أدق: عمل الروح القدس.

والنبوة عندهم: اصطفاء الله تعالى بالوحي بشراً يبلغ عنه، والله أعلم.

* المسألة الثانية: تعظيم الرسل والأنبياء:

النصارى كذلك يرون تعظيم الرسل والأنبياء ويغلون في ذلك، كما يوجد منهم جفاء عظيم من جانب آخر كما ذكر ابن حزم رحمه الله تعالى: «ذهبت طائفة أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله عز وجل في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشا الكذب في التبليغ فقط... وهو قول اليهود والنصارى...[(١)]».

ووجد في كتبهم المقدسة مقالات تنصدع منها الجبال (كما في العهد القديم وسيأتي عند الكلام على اليهود) والتي من أعظمها نسبة الألوهية لعيسى وغيره كما في العهد الجديد وغيره وكقولهم في نبي الله آدم عليه السلام أنه وسائر الأنبياء والبشر في نار جهنم حتى خلصهم المسيح بالصلب، وقد سبق. وزعمهم أن عيسى عليه السلام اتهم بعض الأنبياء بالسرقة

(١) «الفِصل» (٤/ ٥)، «الصراع العقائدي» (ص ٣١٢، ٣٣٠).

ونحوها. «يوحنا» (١/ ٨- ١٨).

ورموا لوط بالزنى بابنتيه... «التكوين» (١٩/ ٣٠-٣٨).

وإنكارهم نبوة إسماعيل عليه السلام ونبوة محمد ﷺ وغيرهما... ولهم من هذا الشيء الكثير.

* المسألة الثالثة: الإيمان بجميع الأنبياء وبمحمد صلى الله عليهم وسلم.

النصارى ينكرون نبوة إسماعيل عليه السلام ومحمد عليه السلام و غيرهما كما هو معلوم عنهم واحتجوا لهذا الإنكار بأمور:

- أن إسماعيل من نطفة قذرة في جلد مدبوغ- يعني رحم هاجر - «سفر التكوين» (٢١/ ٩- ١٣).

- أن النبوة في ذرية يعقوب وختمت بيحيي فلا نبي بعده.

- أن رسالة المسيح عالمية فلا حاجة لنبوة محمد ﷺ.

* والجواب:

- الطعن في إسماعيل عليه السلام ظلم وكفر مبين، وهو طعن في إبراهيم عليه السلام وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦]، والكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

- حصر النبوة في ذرية يعقوب لا دليل عليها، فهذا عيسى عليه والسلام ليس من ذريته (من جهة الرجال والنسب) ولكن من طريق أمه فقط، ولهذا يخاطبهم بقوله: (يا بني إسرائيل) ولا يقول كغيره: (يا قومي).

- دعوى عالمية رسالة المسيح عليه السلام لا دليل عليها(١)، بل القرآن صرح أنه رسول إلى بني إسرائيل كقوله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وهو كذلك في كتبهم ومن ذلك أنه أوصى تلامذته: (أن يختصروا في دعوتهم ووعظهم إلى خراف بني إسرائيل الضالة). «إصحاح متى» (١٠/ ٤-٦)(٢).

- أن ما ثبت به نبوة عيسى وغيره عليهم والسلام قد ثبت مثله أو أعلى منه لنبينا ﷺ، فمن أقر بنبوة عيسى وموسى وغيرهما لأجل ما جاءوا به من الآيات التي تُثبت نبوتهم لزمه الإيمان بمحمد ﷺ، لأن الكلام على المتماثلين واحد ومن أنكر أحدهما لزمه إنكار الثاني، فإذا قالوا: علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا. قيل لهم: معجزات محمد ﷺ أعظم وتوترها أبلغ وكتابه أكمل وأمته أفضل وشرائع دينه أتم. ولينظر إلى كتبهم أو معجزاتهم فالقرآن خير من التوراة والإنجيل وأكمل كما أن معجزات نبينا ﷺ أكثر وأعظم فالإيمان به أوجب مع إيماننا بجميع الأنبياء والرسل وتعظيمهم عليهم السلام(٣).

---

(١) وليس معنى هذا أن من بلغته دعوة نبي من الأنبياء ممن ليس بمؤمن أنه لا يجب عليه القبول، بل ذلك واجب، ومن لم يؤمن به فهو كافر، ولكن مقصودنا هنا أنها رسالة صالحة لزمانه وأمته ومن آمن به إلى أن يبعث النبي الأعم منه رسالة فيجب حينئذ تركها والإيمان بالنبي الذي نسخ شريعة من قبله، كيف وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لشريعة عيسى بإعلام من عيسى عليه السلام.

(٢) وانظر نقولات في «الجواب الصحيح» (١/ ١٣٤).

(٣) «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٢/ ط العاصمة)، «قواعد ابن تيمية في الرد على المخالفين» (ص ١٢٨-١٣٠).

- أن الأنبياء قبله بشَّروا به (موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما) وهذا موجود في القرآن الكريم والسنة النبوة كقوله تعالى عن عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] الآية. وقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ [الفتح:٢٩] الآية. وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، وقوله عن اليهود: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة:٨٩] أي يقولون سيبعث نبي: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء:١٩٧] وغيرها من الآيات.

وقصة هرقل المشهورة وغيره وفي كتبهم من هذا التبشير الشيء الكثير كما ذكره صاحب كتاب «تحفة الأريب» وكما هو موجود في العهد القديم والعهد الجديد وانظر لذلك المراجع المذكورة...(١).

مع العلم أن البشارة بنبوة النبي قبل نبوته ليس شرطاً كما حصل لنوح وإبراهيم وغيرهما ومن الرسل والأنبياء من لم تحصل البشارة بهم قبل بعثتهم...

ولكن قد حصلت البشارة لنبينا ولغيره عليه السلام، وهذا أكمل وأوضح، فمن كفر بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل.

---

(١) «البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح»، «تباشير التوراة الإنجيل بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم» وغيرهما. وانظر «منهج أهل السنة في الرد على النصارى» (٢٧٩-٢٨٤)، «الجواب الصحيح» (٣/ ٢٨٢-٢٩٩).

* وقد زعم بعضهم أنه رسول الله ولكن خاص بالعرب:

وهذا قول متهافت متناقض، فإن الإقرار بنبوته يلزم منه الإقرار بصدقه فيما أخبر، وقد أخبر بأن رسالته عامة والرسل لا تكذب، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

- ومما يدل أيضاً على عالمية رسالة محمد ﷺ : أنه دعا اليهود والنصارى إلى الإسلام وكفَّر من أبى قبولها وأمر بقتالهم، ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة:٢٩].

- وكذلك إرساله الكتب إلى ملوك الأرض من نصارى وفرس ومجوس ووثنيين وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام.

- إخباره أن دينه سيظهر وسيصل إلى المشرق والمغرب.

- تباشير من كتب العهد بعالمية رسالته.

* فائدة:

ذكر شيخ الإسلام أن دين النصارى مبني على أصلين:

- تبديل دين المسيح عليه السلام.

- تكذيب نبوة محمد ﷺ (١).

(١) «قواعد ابن تيمية» (١١٥- ١٢٨)، «منهج أهل السنة» (٢٨٧-٢٩٤)، «الجواب الصحيح» (١/ ١٤٩؛٥٠-٨٨) و(١/ ١١١- ١١٥)، «الصراع العقائدي» (ص ٣٤٨- ٣٦٥) وغيرها.

* المسألة الخامسة: عقائدهم في المسيح عليه السلام:

سبق أنهم قالوا أنه نبيٌ وإله، وهذا تناقض؛ فالنبي لا يكون إلهاً أبداً.

اعتقادهم أنه صلب بعد قتله...(١).

* وهذا باطل من وجوه:

الأول: تكذيب القرآن الكريم لهذه العقيدة، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧].

ثانياً: اعتقادهم أنه مات، وهذا باطل، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، فرفعه حيًا ثم ينزل في آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال.

ثالثاً: أن عقيدة الصلب لم توجد إلا بعد موته بزمان.

يعتقدون أن المسيح صُلب فداءً للبشرية، فهم لأجل هذا يعظمون الصليب (وهو الخشبة التي زعموا أنه صلب عليها)، والصليب عندهم شعار دينهم ويسجدون له.

وجاء في تفسير الأناجيل: (ولصليبك يا سيدنا نسجد). (١/ ٤٣٨) (١/ ١٠٣١)

وجعلوا يوم ظهوره عيداً.

* ويجاب عن ذلك بأمور:

أولاً: قضية الصليب وما يتبعها مأخوذة من الأديان الوثنية القديمة، فهي موجودة لدى الرومان والفراعنة والهندوس وغيرهم، وقد أوضح ذلك غير واحد ممن كتب في مقارنة الأديان...(٢).

---

(١) «الصراع العقائدي» (٣٢٩-٣٤٧).

(٢) انظر «الجواب الصحيح» (١/ ٢١٨) (١/ ٢١٥) (١/ ٣٦٥) وغيرها.

ثانياً: ظهور الصليب كان على يد قسطنطين عام (٣٢٥م) الذي زعم أنه رأى في منامه صورة الصليب وجعلها شعاراً لأعلامه فظفر بعدوه، ثم إن أم الملك هيلانه حفرت قبر المسيح واستخرجت -زعموا- الصليب، ومن حينئذ عبد النصارى الصليب واشتهر فيهم، ثم صار في القرن السادس الميلادي رمزاً للجيوش الصليبية...(١).

فالصليب بدعة، وما وجد من مقالات عنه في العهد الجديد فهو مما عملته أيديهم، كما قال القرطبي: «إن أمر الصليبية إنما شرعها لهم قسطنطين بن هيلانه الملك، وهو الذي سنها وكتبها لهم في الإنجيل ليوغر صدور عامة رعيته على اليهود، وأنه احتال عليهم بالرؤية التي اخترعها فتم له مراده منهم»(٢).

ومما يدل على بطلان هذه العقيدة: أنها لما ظهرت رفضها أكثر النصارى وعدوه إهانة للمسيح عليه السلام ونقصاً فيه، ورفضه آخرون بحجة أنه بدعة لم يكن عند سابقيهم ومنهم (الساطر ينو سيوني - والبارد يسيانون... وغيرهم).

وهؤلاء المنكرون انقرضوا أمام جبروت ملك الرومان.

ولازال منهم من ينكرها كما جاء عن المؤرخ المسيو الألماني أنه قال: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح عليه السلام لا من أصول النصرانية الأصلية(٣).

---

(١) «الصليب ومنزلته عند النصارى» (ص ١٨-٢٨)، «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٣٠)، «الخطط للمقريزي» (٢/ ٤٨٧)، «منهج أهل السنة عند شيخ الإسلام» (ص ٢٢٣).

(٢) «الإعلام» (ص ٤١١).

(٣) ذكره القاسمي نقلاً عن كتاب «النصرانية الحقة» (ص ١٤٢).

فعقيدة صلب المسيح ظهرت على يد بولس وقصة ظهور الصليب وعبادته ظهرت على يد قسطنطين.

ثالثاً: تعظيم النصارى للصليب هو من خفه عقولهم ورقة دينهم، إذ كانوا يعظمون ما كان أداة لتعذيب المسيح عليه السلام! على زعمهم أنه صُلب.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن العجب أنهم يقولون في التوراة: (ملعون من تعلق الصليب)، وهم قد جعلوا شعار دينهم ما يلعنون عليه، ولو كان لهم أدنى عقل لكان الأولى بهم أن يحرقوا الصليب حيث وجدوه...»....(١).

وناقشهم وهتك حججهم وكشف عوارهم رحمه الله تعالى.

* المسألة السادسة : عقائد أخرى في الأنبياء.

ومن زعمهم أن إبراهيم عليه السلام كان من اليهود أومن النصارى وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهَّ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٢] .

رمي إبراهيم بالشك في وعد الله تعالى (سفر التكوين ١٥/ ٧-٩)

قولهم إن إسماعيل من نطفة قذرة - كما سبق - وهذا طعن في إبراهيم عليه السلام أيضاً...(٢). وراجع ما سبق في المسألة الثانية.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٣٦-١٠٣٧) كتاب «الصليب ومنزلته عند النصارى»، «الصراع في الأندلس» (ص ٣٢٩-٣٤٧)، «دراسات في الأديان» (ص ٣٠٦-٣١٨).

(٢) (الفصل لابن حزم ١/ ٢١٧).

المبحث الثاني

عقائد اليهود في النبوة

* المسألة الأولى: في معنى النبوة عندهم:

النبوة عندهم واسعة المدلول من جهة وضيقة من جهة، فهي تشمل الأنبياء الذين اختارهم الله تعالى كما تشمل مدعي النبوة ولو كان ساحراً[١].

وضيقة من حيث حصروها بزمن معين ابتداء بموسى وانتهاءً بملاخي....

وإلى هذا يشير ما نسبوه إلى سفر حزقيال بقوله: (قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب هكذا قال الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخراب... القائلون وحي الرب والرب لم يرسلهم). «سفر حزقيال» (١٢/ ٦٠٢).

وقسموا الأنبياء إلى أنبياء من موسى فما بعده وإلى آباء وبطارقه وهم قبل موسى كإبراهيم وإسحاق ويعقوب...

والأنبياء يقسمونهم إلى أنبياء كبار وأنبياء صغار...[٢].

* وهذا كله باطل من وجوه:

---

(١) تعريف اليهود للنبوة أشبه بتفسير المعتزلة، وتفسير النصارى أشبه بتعريف الأشاعرة.

(٢) مقارنة الأديان لعوض الله حجازي (ص ١١٧).

أولاً: مفهوم النبوة عندهم غير سديد ولا رشيد، فالنبوة خاصة بمن اصطفاه الله عز وجل لا تختلط بالسحرة ولا بمدعي النبوة - وقد سبق ذكر الفوارق في الفصل السابق.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]،

ونفى أن يكون النبي كالسحر، ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة:٤٢]، فالنبي تظهر علامات صدقه، ومدعي النبوة تظهر علامات كذبه في مجموع أحواله وأقواله.

ثانياً: تحديد زمن النبوة باطل شرعاً وعقلاً، فإن النبوة أمر ضروري لابد لجميع الجن والإنس من رسول أو نبي في زمنهم، فلا يخلو زمان من ذلك، ومصداقه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦]، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر:٢٤].

ثالثاً: تقسيم الأنبياء إلى صغار وكبار لا دليل عليه، بل هو من استحفاف اليهود بالرسل والأنبياء.

رابعاً: انكار نبوة من قبل موسى ومن بعده كفر - كما سبق في المبحث السابق(١).

* ومما جاء في تعريف النبوة عند اليهود:

- أن النبي: هو المتكلم بالوحي الإلهي.

- وقيل: هو الإنسان الذي يدخل في معاملة مع الله أو في صلة بالألوهية. «علم اللاهوت» (٢٩٧-٢٩٩).

وفي قاموس الكتاب المقدس (ص ٩٤٩): أن النبي (هو من يتكلم عما يجول في نفسه دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة الله).

(١) وانظر «الجواب الصحيح» (١/ ١٣٥)، «جهود الإمامين» (ص ٤١٦).

وقال ابن كمونة: (يقال نبي ورسول لمن يؤدي أخباراً عن الله تعالى من غير أن يكون بينه واسطة آدمي) [(١)].

والنبوة عند اليهود والنصارى تكون في النساء أيضاً كمريم وحنة أم صموئيل ...

وعندهم لا فرق بين النبوة والرسالة.

وعندهم أن النبوة تنتقل بمجرد اللمس، فإذا وضع نبي يده على آخر ليهبه النبوة فإنه يتنبأ دون أن يختصه الله بذلك. «سفر الخروج» (١٥/ ٢٠)، «صموئيل الأول» (١٠/ ٥). «سفر الملوك الثاني» (٣/ ١٣-٢٠)[(٢)].

وهذا فيه من الأغلاط الشيء الكثير، ومن ذلك:

- عدم فهم النبوة على الوجه الصحيح.
- يفهم من كلاهم أن كلام الله تعالى نفساني - كما سبق في باب المصادر-.
- عدم تفريقهم بين النبي والرسول، وهذا مردود فالفوارق حاصلة كما سبق[(٣)].
- زعم أن في النساء نبيات ورسولات، وهذا لا دليل عليه.
- دعوى انتقال النبوة بمجرد اللمس باطل وضلال مبين ظاهر الفساد.

* المسألة الثانية: موقف اليهود من أنبياء الله عز وجل.

امتلأت كتب اليهود بالقدح في الأنبياء والرسل ومؤاذاتهم وقتل بعضهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ [الأحزاب:٦٩]، وذلك أنهم

---

(١) «تنقيح الملل الثلاث» (ص ٣).

(٢) «جهود الإمامين» (٣٧٥-٣٨١).

(٣) وانظر كتاب «الفرق بين النبي والرسول» للشيخ محمد الإمام.

قالوا: إنه رجل آدر، أي: كبير الخصيتين، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي قاموس الكتاب المقدس (ص ٩٣٠): (أن طاعة بني إسرائيل لموسى ما كانت إلا لاعتقادهم أنه قائد ناجح لا لكونه نبياً فقط...).

وقال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨)﴾ [القصص:٤٨]، وهكذا قالوا لموسى بعد خروجه من البحر: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقالوا في العجل: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ [طه:٩١]، ولما أمرهم موسى أن يدخلوا بيت المقدس: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾ [المائدة:٢٤]، وقصة موسى معهم طويلة مليئة بما لقيه منهم من أذى وعناد مع دعواهم الإيمان بنبوته ورسالته.

* ومن ذلك:

- اتهام هارون بأنه صنع العجل وأمرهم بعبادته كما في «سفر الخروج» (٣٢/ ١).

- واتهموا يعقوب أنه احتال على أبيه إسحاق حتى أخذ عنه النبوة بدلاً من أخيه كما في «سفر التكوين» (٢٧/ ١٨-٢٩).

- ورموا لوطاً بالزنى بابنتيه. «سفر التكوين» (١٩/ ٣٠).

- ورموا نوحاً بشرب الخمر. «سفر التكوين» (٩/ ٢٠).

- ورموا داود بأنه احتال على أحد جنوده فقُتل ثم تزوج زوجته وولدت له سليمان. «سفر صموئيل الثاني» (١١/ ١-٢٦).

واتهموا سليمان باستخدام السحر، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾

[البقرة:١٠٢] الآية. نزلت في كذب اليهود على سليمان، وكذبهم على سليمان أكثر من غيره. «سفر الملوك» (٣/ ٢٨) (١١/ ١٠)، ولهم من هذا الشيء الكثير ...

وقد قال تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١] حيث قتلوا يحيى عليه السلام وزعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم – وكذبوا، لكنهم أرواد ذلك وقتلوا شبيهاً له.

ولا عجب أن يحصل هذا من اليهود، فهم الذين قالوا في ربنا سبحانه ما قالوا وقد سبق ذكره(١).

* المسألة الثالثة: موقف اليهود من نبوة نبينا محمد ﷺ .

أنكروا نبوته ورسالته (ومنهم من جعله رسول الأميين) وسعوا في أذيته وقتله وحاربوه...

* وذلك له أسباب عدة، منها:

– خُبث قلوبهم، فهم أخبث الخلق طوية وأرداهم نية، ولذلك لعنهم الله تعالى... وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]، وهذه الآية نزلت فيهم.

– الكبر والغرور، والكبر رد الحق وعدم قبوله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ

---

(١) «الجواب الصحيح» (٢/ ٢٠٢–٢٠٣) و (٤١٥– ٤٤٤)، «دراسات في الأديان» (١١٠–١١٨)، «العقيدة اليهودية» (٢٧٣– ٢٩٠)، «جهود الإمامين» (٣٩٤– ٤١١).

مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧١-٧٢].

- البغي والحسد.

قال تعالى : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩]، ونحوها من الأدلة.

ومن حسدهم أنهم أرادوا أن يكون منهم بزعمهم أن الأنبياء لا يكونون إلا من بني إسرائيل - كما سبق - ولذلك كفروا به بعد ما بشروا بخروجه،﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في ذكر أسباب كفر اليهود: «لأن في كفرهم من الاستكبار والحسد والمعاندة والقسوة وكتمان العلم وتحريف الكتاب وتبديل النص وغير ذلك...» (١).

«واليهود عندهم نوع من المعرفة بالحق ولكن بلا عمل به بل مع بغض له ونفور عنه واستكبار..».

وذكر ابن القيم طرق اليهود في محاربة الحق، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران:٧١].

قال: فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به، بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

---

(١) «الفتاوى» (٣٥/ ٢٢٩).

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

والرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه وتحريف معناه.

والخامس: ليُّ اللسان به، ليُلبِّس على السامع اللفظ المنزَّل بغيره...»[(١)].

❋ ويرد عليهم من وجوه:

- أما حسدهم فهذا من خباثة قلوبهم، وإلا فذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤] الآية.

- وأما كبرهم: فهذا من جهلهم، إذ كيف يتكبر العبد عن الشيء يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته، وكيف يرضى بالكبر الذي عاقبته الذلة والهوان، كما قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦١]، فاجتمع عليهم ذل الدنيا والآخرة.

- من ضلالهم إنكار نبوته بعد ما عرفوا أنها حق وأين الفرار من الله تعالى لمن هذا حاله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، لكن حملهم الجهل والغباوة على كتمان ذلك.

- كتبهم بشرت به باسمه وصفته، وذلك حجة عليهم لاعتقادهم بصحة كتبهم، وقد آمن جمع منهم، وشهدوا أن ذلك موجود في كتبهم كعبد الله ابن سلام وكعب الأحبار وغيرهما على مر الزمان.

❋ ومن ذلك:

- (أقبل الله من سينا وتجلى من سأعير وظهر من جبال فاران)[(١)]، وفاران مكة ومنها

---

(١) «هداية الحيارى» (ص ١١٥).

ظهر نبينا محمد ﷺ.

- (قال موسى لبني إسرائيل: لا تطيعوا العرافين والمنجمين فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوتكم مثلي فأطيعوا ذلك النبي). «التثنية» (١٨/ ٩-١٣).

- (إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها). «المزامير» (٤٨/ ١).

- (إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد . «سفر أشيعا».

وقد استرسل ابن القيم في ذلك[٢]

- الأسئلة التي وجهها اليهود للنبي ﷺ وصدروا كلامهم بـ (لا يعلمها إلا نبي)، ونبينا ﷺ يجيب عنها كسؤالهم عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن أول طعام أهل الجنة...[٣]

- أن جحد نبوته ﷺ جحد لنبوة غيره، بل وإنكار للتوحيد، فلا يجتمع التوحيد الصحيح مع إنكار نبوة محمد ﷺ، فإنه جاء بتعريف العباد بالتوحيد الحق والربوبية والألوهية، فمن أنكر رسالته فقد أنكر الرب سبحانه الذي دعا إليه وحقوقه التي أمر بها...[٤]

- الآيات - والمعجزات - التي ظهرت على يده ﷺ من أعظم البراهين على صدقه وصدق ما جاء به...[٥].

---

(١) «سفر التثنية» (٣٣/ ٢).

(٢) «هداية الحيارى» (ص ١٠٩ - ٢٢٠).

(٣) «الجواب الصحيح ٤/ ٥١- ٥٣).

(٤) «هداية الحيارى» (٤٤٠).

(٥) «جهود الإمامين» (٤٤٨ - ٤٩٦)، وكتاب «النبي صلى الله عليه وسلم واليهود وجهاً لوجه»، وانظر المراجع السابقة.

المبحث الثالث

عقائد الوثنيين في النبوة

جمهور الوثنيين من الهندوس والبوذية والجينية والشنتوية والطاوية والكونفوشيوسية وغيرهم لا يقرون بالنبوة(١).

وأما الصابئة فهم يعترفون بيحيى عليه السلام، ويزعمون أنه نبيهم، وهو عندهم يرتفع ليسكن في عالم الأنوار وينزل أحياناً ليبلغ طائفته تعاليم الدين...، وكان قدماء السيخ يقرون بالرسالات مع اضطراب في فهمها ثم جحدوا ذلك.

أما بقية الفرق الوثنية السابقة فإن لديهم عقدة مكان عقيدة النبوة وهي عقيدة (أفتار)، وهي العقيدة التي استقرت لدى السيخ مؤخراً.

والطاوية لم تكن تقر بالنبوة حتى زعم شانغ طاو لينغ (١٤٢م) أنه نزل عليه الوحي وشاع ذلك عند أتباعه. وهذا ليس إقراراً بالنبوة، لكنه من جملة الضلال وإن كان أخف ممن جحد بالكلية.

* ولنأتي إلى عقيدة (أفتار) وبيان معناها وبطلانها:

أفتار: هي أن الرب ينزل على الأرض بصورة البشر ليصلح ما أفسدوا.

وهذا من أبطل الباطل كما سبق بيان بطلانه في باب الربوبية.

وهؤلاء إنما يظنون أن الرب هو ما اعتقدوه كزعم الهندوس أن كرشنا هو الرب كما في قولهم

(١) كما قرره شيخ الإسلام في «النبوات» (ص ٣٩).

عنه: (حيثما يوجد انحراف في الممارسات الدينية ويزادا الإلحاد أهبط بنفسي)، وهذا عجيب، فأي فساد أفسد من هذا العقيدة الخرافية... [(١)] .

❋❋❋❋

(١) «الفصول» (ص ١٠٧- ١١٢).

المبحث الرابع

عقائد الفلاسفة في النبوة

أما بالنسبة للملاحدة فهم يجحدون النبوة كلياً، كيف لا وهم قد جحدوا الربوبية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإن الفلاسفة لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفاصيلها وتفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات، بل والحقائق والمشاهدة التي لا يمكن إنكارها لم يثبتوها على ما هي عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ما هي عليه ألبتة. وهذا ثمرة إنكارهم النبوات...» (١).

وعلى هذا كانت اليونان وغيرها ولم يكن لهم معرفة بالأنبياء وآثارهم كما هو حال أرسطو، وكان مشركاً ملحداً.

وكان بعض الفلاسفة يسافر إلى أرض الشام فسمع بالأنبياء وتلقى عنهم أشياء كما سبق.

وأما فلاسفة العرب كالفارابي وابن سيناء وغيرهما فلهم مذهب معروف، وهو محاولة الجمع بين مذهب أرسطو وبين الإسلام، وذلك توهيناً للإسلام وجعلوا الفيلسوف في منزلة الرسول سواء، وبعضهم يفضل الفيلسوف، فحقيقة مذهبهم الكفر بالرسل والأنبياء.

فالوحي عندهم: فيض عقلي يفيض من العقل الفعال (العقل العاشر) على نفس النبي أو غيره ممن صفت نفوسهم واستعدت لقبول هذا الفيض.

---

(١) «هداية الحيارى» (ص ٤٤٠).

وهذا إنكار لكلام الله تعالى وإنكار لعلمه.

والرسالة عندهم: الإفاضة العقلية المسماة وحياً على أي عبارة استصوبت لصلاح عالمي علمًا وسياسة.

والرسول: هو المبلغ ما استفادة من الإفاضة ليحصل بآرائه صلاح العالم.

والنبوة أمر مكتسب ليس اصطفاءً من الله تعالى.

وحصروا معجزات الأنبياء في قوى النفس وتأثيرها كما يؤثر العائن في غيره.

* والجواب عن هذه الترهات:

- أن أصل علم الفلاسفة لا معرفة لهم بالنبوات، وإنما أدخلها فيه بعض العرب كالفارابي.

- كلامهم عليه في غاية الاضطراب، وهم وإن عظَّموا الأنبياء ونواميسهم فلأجل أنهم أقاموا قانون العدل الذي لا تقوم مصلحة العالم إلا به، ويوجبون طاعة الأنبياء لأجل ذلك.

- وهذه التعظيم والإيجاب هم في الحقيقة لا يستفيدون منه، لاعتقادهم أن ذلك يكون للمصلحة الدنيوية فقط، أما العلوم الإلهية فهم لا يأخذون بها، فهم على هذا أكفر من اليهود والنصارى.

- ثم هم يجوزون اتباع أي نبي كان، وهذا مردود، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

- ما زعموه أن النبي قد يخبر بغير الحق للمصلحة، باطل مردود عليهم، فإن الأنبياء معصومون عن ذلك، ولو حصل منهم لعرفه أذكياء الناس لكنه لم يحصل، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]، ومن ذلك أمور الآخرة.

- كلام الفلاسفة فيه تكذيب للرسل من وجوه كثيرة - وإن زعموا أنهم يؤمنون بهم -

ومن ذلك ما سبق ذكره عنهم في تعريف الرسالة والوحي وغيرها.

- أن ما ذكروه من خصائص النبوة فغير مستقيم، فإنه يحصل لكثير من الناس ولا يكونون أنبياء.

- كلامهم في النبوة مبني على زعمهم أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات ولا يعلم شيئاً عن الأنبياء بأعيانهم ولا أسمائهم وزمن ظهورهم... وهذا من أعظم الكفر...(١).

****

(١) انظر: «الفتاوى» (١٢/ ٤٢؛ ٣٥٢؛ ١٩-٢٤)، «الصفدية» (١/ ٢٢٨- ٢٣٦)، «موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة» (ص ٤٠٥-٤٣٢) وغيرها.

الباب السادس

مسائل متفرقة من مسائل الأمة

ويشمل: (الُحكْم) (الولاء والبراء ونحوه) (المرأة وقضاياها)

وهو مشتمل على فصلين:

١- عقائد الإسلام في مسائل الأمة

٢- عقائد الملل والنحل في مسائل الأمة

وتحتهما مباحث

الفصل الأول

عقائد الإسلام في مسائل الأمة

وتحته مباحث

المبحث الأول

مسائل الحُكْم

* المسألة الأولى: معنى الحكم الإسلامي ومزاياه:

لغة: مصدر حَكَم يحكم بمعنى: العلم والفقه والقضاء بالعدل، والمنع والرد. «لسان العرب» (مادة حكم).

واصطلاحاً: وضع الشيء في موضعه بفقه وعلم وعدل(١).

وحكم الله تعالى: الحكم الذي شرعه وأمر به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

والحكم بما أنزل الله تعالى: هو الحكم بالقرآن والسُّنة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، وقوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩]، ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء:٥٨].

هذه الأدلة وغيرها تدل على وجوب الحكم بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ وترك الأهواء والآراء والقوانين.

(١) «التعريفات» (ص ٩٢) وغيره.

* ومن مزايا الحكم بما أنزل الله تعالى:

١- أن ذلك تشريع رب العالمين وهو أعلم بمصالح العباد وأحوالهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٠].

٢- أن الحكم بالشريعة الإسلامية خير للناس في دينهم ودنياهم وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة كما في الآية السابقة: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وهذا ظاهر على مر العصور.

٣- أنه سبب الفلاح والعزة والقوة في الدنيا والآخرة وعلامة على صدق الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨].

وفي مسند أحمد أن عمر رضي الله عنه لما سار إلى بيت المقدس – وجرت له قصة مع أبي عبيدة – قال: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

٤- الحكم بما أنزل الله تعالى من التوحيد الذي لا نجاة إلا به.

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة يوسف:٤٠]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [سورة الأنعام:١١٤]، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٢٦]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠].

فإفراد الله تعالى بالحكم والتشريع والتحاكم إليه من التوحيد، وضده من الشرك، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [سورة الشورى:٢١]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المائدة:٤٤].

٥- الحكم بما أنزل الله تعالى هو العدل بل أعلى درجات العدل، ولا يتحقق العدل على الوجه الصحيح إلا به.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [سورة النساء:٥٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [سورة النحل:٩٠]، ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [سورة يوسف:٨٠]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٧]، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة المائدة:٤٢]

فإفراد الله تعالى بالحكم والتشريع والتحاكم إليه من التوحيد، وضده من الشرك، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

٦- أن الشرع الإسلامي شامل لجميع جوانب الحياة ديناً ودنيا كما شمل الحياة الأخرى، وليس له نظير في هذا في الأديان الربانية(١) فضلاً عن غيرها، ففيه ما يتعلق بالروح والبدن، وفيه العلاقات الاجتماعية والفردية والدولية، وفيه نظام السلام والحرب، وفيه ما تعلق

(١) مع إيماننا بأن ما أنزل الله تعالى على الأنبياء والرسل كافٍ شافٍ لمن أنزل عليهم حتى ينسخ، لكن في الإسلام زيادة فضل من الله تعالى.

بالراعي والرعية والزراعة والصناعة...

ففيه كل خير ديني و دنيوي وسياسي على أن السياسة الشرعية جزء من الدين لا يتجزأ، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فهو كامل من جميع النواحي، لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عن ما مفسدته خالصة أو راجحة... وبسط ذلك يحتاج إلى مجلدات.

ولقد شهد بذلك أعداؤه ومحبيه كما قال شارل الفرنسي: إن الإسلام الدين الوحيد الذي ينظر إلى أمور الدنيا والآخرة سواء.

وقال بيرك الانجليزي: إن دين الإسلام هو أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ البشري.

وقال جيبون: القرآن مسلَّم به بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول الدين فقط، بل للأحكام الجنائية وللشرائع التي عليها مدار حياة النوع الإنساني وترتيب شئونه.

وقال: إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً في أحكامها من أعظم ملك إلى أقل صعلوك فهي شريعة لا يوجد مثلها قط في العالمين...[١].

– التشريع الإسلام هو الوحيد الذي لا يدخله التناقض والاضطراب، بل هو متناسق، جمع بين اللين والحزم والرحمة والجِّد والعزم والضبط، وجميع الحدود الشرعية من هذا القبيل، كقطع يد السارق وجلد الزاني أو رجمه وقتل القاتل ونحو ذلك، هي من محاسن الإسلام التي تدل على الرحمة والحزم معاً، فالرحمة في دفع الشر العام على الناس الحاصل من كثرة السرق والزناة... والحزم في قطع شرهم وضبط أمرهم بإقامة الحد عليهم فيتوب من شره وتأمن الأمة وتعيش مطمئنة...

(١) راجع «تهذيب كتاب الإسلام والرسول» (١٨٠ - ٢٣٠).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩]، ففي إقامة الحدود تظهر الحياة الطيبة لجميع الناس.

- ترك الحكم بالشرع الإسلامي الحنيف سبب لاختلال الأمن وضياع الحقوق والتأخر الديني والدنيوي معاً، فانظر كيف كان المسلمون هم رواد الحضارة ورمز التقدم وطراز الأمم، فلما أخلُّوا بالحكم الشرعي تأخروا وضعفوا وهُزموا... وجنوا أنواع الذل والفقر والمهانة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، فتغيرت عقائد كثير من المسلمين ودخلتها البدع والشركيات كما تغيرت علاقاتهم وكثرت الفرقة والاختلاف والضعف فيهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وإذا خرج ولاة الأمور إلى الحكم بغير ما أنزل الله تعالى وقع بأسهم بينهم، قال النبي ﷺ: «ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم»، وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول، كما جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وفي غير زماننا، ومن أراد الله تعالى سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله تعالى ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله تعالى وأهانه، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج:٤٠-٤١]، فقد وعد الله تعالى من ينصره بالنصر، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله تعالى ويتكلم بما لا يعلم...» (١).

(١) «الفتاوى» (٣/ ٣٨٨).

ومحاسن الحكم الإسلامي كثيرة جداً.

ومنها ضوابط معاملة الحكام وحقوق الراعي وحكم الخروج عليه ونحو ذلك، وقد سبقت في (منهج أهل السنة ومناهج أهل الأهواء)...(١).

* المسألة الثانية: موقف الشريعة في الإسلام من الأحكام القانونية ونحوها:

الشريعة الإسلامية كافية شافية، فلا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يستبدلها بغيرها لا بالقوانين ولا بغيرها، وقد نص علماء الإسلام أن ذلك من الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] الآية.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «وتحكيم الشرع وحده دون ما سواه شقيق عبادة الله تعالى وحده دون كل ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن يكون اللهُ هو المعبود وحده لا شريك له أن يكون رسول الله ﷺ هو المتَّبَع المحكَّم ما جاء به فقط، ولا جردت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع...»(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله

---

(١) راجع كتاب «ضوابط معاملة الحكام»، «وجوب تطبيق الشريعة في كل عصر»، «معاملة الحكام في الكتاب والسنة»، «الحكم والتحاكم في خطاب الوحي»، «الحكم بما أنزل الله فرض عين»، «الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية» وغيرها.

(٢) «فتاوى الشيخ» (١٢/ ٢٥١).

تعالى فهو كافر... كسواليف البادية والعادات الجارية... فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله تعالى؛ فهم كفار»(١).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا (قوانين التتار) وقدمها عليه، من فعل ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين»(٢).

وقال أحمد شاكر رحمه الله تعالى: «إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فهو كفر، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرؤ حسيب نفسه»(٣).

هذه الأحكام والقوانين البشرية قاصرة جداً عن إحكام نظام الحياة، بل مضطربة متناقضة، وفيها من الظلم والشر والفساد مالا يحصى، فكم فساد انتشر وكم أموال أُخذت وأعراض هتكت وحرمات زالت، فهي بكل صراحة عاجزة عن تحقيق الأهداف المزعومة منها، وكذلك هذه القوانين اللعينة مكنت لأعداء الإسلام ولكل مفسد في ديار المسلمين، ولهذا نقول: لا صلاح للأمة الإسلامية ولا عز ولا دولة إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية...(٤).

---

(١) «الفتاوى» (٣٥/ ٤٠٨).

(٢) «البداية النهاية» ١٣/ ١١٩) (تفسيره / المائدة آية ٥٠).

(٣) «عمدة التفسير» (٢/ ١٧٢-١٧٤).

(٤) رسالة «الحكم بالقوانين» لآل الشيخ، «الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية» وغيرها.

* المسألة الثالثة: موقف الإسلام من الديمقراطية:

الديمقراطية: هي حكم الشعب بالشعب.

ومعناه: أن الشعب هو مصدر السلطة والتشريع، فلا شرع إلا الديمقراطية ولا حكم إلا بدستورها.

وحكمها: أنها كفر مبين، ففيها هدم الدين وإقصاء الشريعة وإباحة الحرام ونشر كل فساد، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

حكم معتنقها: من آمن بالديمقراطية، أو رضي بها، أو اعتقد أنها مثل الإسلام، أو أفضل منه، أو أنه يجوز الحكم بها؛ فهو كافر كفراً أكبر، وقد ذكر العلماء في باب الردة - ونواقض الإسلام - من اعتقد جواز الحكم بغير الإسلام ونحو ذلك(١).

****

(١) راجع «تنوير الظلمات يكشف مفاسد الانتخابات»، «الإسلاميون وسراب الديمقراطية»، «الديمقراطية في الميزان» وغيرها. مع «شرح نواقض الإسلام».

المبحث الثاني

مسائل الولاء والبراء في الإسلام

* المسألة الأولى: معنى الولاء والبراء وحكمه:

والولاء: القرب والمحبة.

وشرعاً: محبة الله تعالى بالتوحيد والطاعة ونصرة دينه ومحبة رسله وأوليائه وبغض أعدائه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «أصل الموالاة هي المحبة، كما أن أصل المعاداة البغض، فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق والتباغض يوجب التباعد والاختلاف»[١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالى والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله»[٢].

والبراء: خلوص الشيء من غيره، والتباعد.

وشرعاً: البراء ضد الولاء، فهو بمعنى البغض والتباعد لكل ما خالف الولاء لله تعالى

---

(١) «قاعدة المحبة» (ص ١٩٨)، «الفتاوى» (١١/ ١٦٠).

(٢) «الدرر السنة» (٢/ ٢٢).

ولرسوله ودينه.

فالبراء من عبادة غير الله تعالى، والولاء لله تعالى، وأن ذلك هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفةً وعملاً وحالاً وقصداً، فلا يحب إلا لله تعالى، ولا يبغض إلا لله تعالى، ولا يوالي إلا فيه ولا يعادي إلا فيه، ولا يعطي إلا له ولا يمنع إلا له... (١)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]، قال: فأخبر الله تعالى أنك لا تجد مؤمناً يوادّ المحادين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينافي موادَّته كما ينفى أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله تعالى، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله تعالى بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب(٢).

وإذا عُلِم معنى الولاء والبراء فإن دين الإسلام جعل الولاء والبراء من أصول الإسلام وأركان التوحيد فالشهادة متضمنة بذلك:

فـ (لا إله) براء من جميع الآلهة وعابديها، (إلا الله) ولاء لله تعالى ولمن عبده ووحده.

وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤]، وعلى هذا سار جميع الرسل والأنبياء. (٣)

---

(١) «المدارج» (١/ ١٦٧)، «شفاء العليل» (١/ ١٧٠).

(٢) «الاقتضاء» (١/ ١٨٣).

(٣) «الفتاوى» (١٣/ ٢٠٠) وغيره.

والإسلام في عقيدة الولاء والبراء بين الغالي والجافي، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، فهو بين غلو الخوارج وأذيالهم وجفاء وميوعة المرجئة وأذيالهم، كما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم كلها.

والإسلام يعامل الكفار معاملة عادلة خالية من الظلم، فهو لا يقر الكفر بجميع أشكاله، ولكنه يدعوهم بالسِّلم، فإن أبو انتقل معهم إلى ما هو أشد من ذلك، وليس ذلك من باب الظلم، لكنه من باب دفع أظلم الظلم وهو الشرك والكفر، وهذا أمر فرضه الله تعالى وهو مالك الملك وله الأمر كله...(١).

وأعداء الإسلام يسعون للتكاتف فيما بينهم وإلى تفريق المسلمين.

كما سيأتي بيانه في الفصل الآتي.

* المسألة الثانية: موقف الإسلام من التعامل مع الكفار والعلاقات الدولية:

أما التعامل مع الكفار في الأمور الدنيوية المباحة عند الحاجة فهذا جائز، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

ومعلوم تعامل النبي ﷺ مع يهودي المدينة وغيرهم، والشراء والبيع معهم، وقبول هدية المشرك إذا لم يترتب عليها مفسدة ونحو ذلك.

فإذا ترتب على هذه المعاملات مفسدة كانت منهي عنها.

أما المعاملات الدولية فحكمها حكم ما سبق.

---

(١) راجع «الردود المسكتة» (ص ١٧٤- ٢٠٠)، «شروح نواقض الإسلام»، «حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة».

وذلك أن الأصل في معاملة غير المسلمين العدل والإنصاف والوفاء بالعهود والمواثيق ومنع الظلم والفساد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل:٩٠].

وهذا لا ينافي جهادهم وبغضهم، فلكل أمر ميدانه وبابه.

وكذلك الأصل في معاملة غير المسلمين أن يُدعو السلم، فإن أبوا فالحرب، وهذا قول جمهور العلماء المتقدمين ثم السلم والحرب يرجع تقديره إلى مصلحة الإسلام الذي قامت به السماوات والأرض.

ويقال: إن طبيعة الإنسان حربية، فلذلك دعوى السلام أمر غير واقع أصلاً عند أصحاب الأديان وغيرهم، فلأن يكون الحرب جهاداً في سبيل الله تعالى خير من أن يكون ظلماً وعدواناً في سبيل الطاغوت...[1].



(١) «التعامل مع غير المسلمين...»، «العلاقات الدولية» لعارف خليل، «سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين» وغيرها.

المبحث الثالث

أحكام المرأة في الإسلام

* تمهيد:

أدخلنا هذا المبحث في العقيدة؛ لأن أعداء الإسلام جعلوا المرأة سلاحاً لهدم الإسلام وعقيدته الراسخة وللطعن في أحكامه العادلة...

ورأينا أقرب الناس إلى أفكار التغريب وحرية المرأة الديمقراطية هم أصحاب العقائد الفاسدة أو المنحرفة، وأن العبد كلما صحت معتقده كان أبعد عن ذلك.

* المسألة الأولى: تكريم الإسلام للمرأة:

لقد جاء الإسلام بتكريم الإنسان عموماً والنساء خصوصاً، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما به تصان وتحفظ وتكرم وتعلو في الدنيا والآخرة، وحرم عليها كل ما فيه هتك لعرضها وانتهاك لكرامتها، فأكرمها بأن جعلها مصونة الحق والعرض والمال، وشقيق الرجل في جمهور الأعمال الصالحة والجزاء والثواب، وأمر الرجال بالدفاع عنها وتوفير حاجتها وهي في بيتها والإنفاق عليها.

ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة: أمرها بالحجاب حفاظاً عليها من الأشرار وصوناً لعرضها من الفجار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]، ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

قال ﷺ: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»، رواه أحمد عن عمر رضي الله عنه.

وأكرمها في زواجها بأن لا تُجبر على النكاح، بل تزوج بمن ترغب، وأكرمها في الميراث فأعطاها نصف الرجل مع أنها في كنف ما ينفق عليها من أخٍ أو زوج أو ولد، وأكرمها بما لها من حقوق على الزوج،...

وأوصى به الله تعالى ورسوله ﷺ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء:١١].

وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»، متفق عليه

والكلام على هذا يطول ولكن انظر المراجع...(١).

* المسالة الثانية: شبهات حول المرأة.

ومن ذلك دعوى أن الإسلام جعل حق المرأة ناقصاً في الميراث والحرية وغير ذلك.

والجواب: أن الإسلام أعطى لكل ذي حق حقه، وجعل المرأة شقيقة الرجل في جمهور أحكام الإسلام خلا نحو ثمانين مسألة جعل حكم المرأة يختلف عن الرجل لحكمة عظيمة، ومن ذلك ما يناسب ضعف المرأة ورقة عواطفها، كالحجاب وعدم الاختلاط بالرجال ونحو ذلك... وتشريع ذلك هو حفاظ عليها وصيانة لها لا تنقُّص لها.

* ومن ذلك قولهم: تعدد الزوجات ظلم للمرأة:

وهذا باطل، فالكلام على المرأة يعني عموم النساء لا امرأة واحدة، والتعدد فيها منافع للنساء كثيرة، منها: أن النساء أكثر من الرجال، فيحصل بالتعدد زواج أكبر كَمْ ممكن منهن وذلك خير من العنوسة، وأما كون المرأة لا تحب أن تشاركها غيرها في زوجها فهذا من

(١) «مظاهر تكريم المرأة في الشريعة الإسلامية»، «حقوق المرأة في السنة» وغيرها.

القسوة والأنانية المذمومة، وأخطار العنوسة كبيرة وكثيرة تهدد الحياة كلها بالفساد، وفي التعدد محاسن كثيرة قد أُفردت في مصنفات...[١].

﷽ المسألة الثالثة: موقف الإسلام من حركة تحرير المرأة:

إذا علمنا معنى (تحرير المرأة) عرفنا حكمها.

إن الحرية هنا معناها إطلاق الزمام للمرأة تصادق وتختلط وتتبرج وتدخل وتخرج كما يحلو لها ...

وكل عاقل على وجه الأرض يعلم أن مثل هذه الفوضى تفسد الدين والدنيا معاً.

أما الإسلام فقد حرم هذه الحرية التي هي: (تعبيد للشيطان أولاً ثم لأعداء الإسلام ثانياً).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧]، فهذا التحرير هو الفساد العظيم.

واقرأ عن المجتمعات التي ظهرت فيها هذه الحرية حيث فشا فيها إهانة المرأة والزنا والاغتصاب واللواط... وصار حال المرأة في أتعس أمر.

بل إن فساد المرأة تحطيم للأمم ووأد للبشرية جمعاء، والذين يريدون حرية المرأة هم في الحقيقة يريدون حرية الوصول إليها!!...[٢].

---

(١) «الردود المسكتة» (ص ٢٢٥-٢٣٩) وغيره.

(٢) راجع «المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة»، «نساؤنا العزيزات بين الفطرة الطاهرة والمدنية المعاصرة»، «حركة تحرير المرأة في الميزان» وغيرها.

الفصل الثاني

مسائل الأمة عند الملل والنحل

وتحته مباحث

المبحث الأول

مسائل الأمة لدى النصارى واليهود

* المسألة الأولى: مسائل الحكم:

أولاً: اليهود والنصارى لم يحكموا بالتوراة والإنجيل قبل تحريفها ولا بعده، بل تلاعبوا وغيَّروا وبدلوا.

قال الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المائدة:٤٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة:٦٨]، والآيات في هذا الصدد كثيرة، وقد كان اليهود يحكمون على الزاني بالتحميم والجلد مكان الرجم، وينكرون أن يكون ذلك في التوراة ففضحهم عبد الله بن سلام... (والقصة في الصحيح).

ثانياً: الأنظمة والحكم الموجود عند اليهود والنصارى:

- الديمقراطية.
- الدكتاتورية.
- العلمانية.
- الرأسمالية.
- الشيوعية.

أما الديمقراطية فهي: حكم الشعب نفسه بنفسه...

وذلك عن طريق انتخاب الشعب لأفراد يتولون السلطة، ثم هؤلاء الأفراد يقومون بوضع القوانين التي تتناسب في رأيهم مع الشعب أولاً ومع الغربيين ثانياً، بل مع سفهاء وفجرة الغربيين لا مع عقلائهم، بل مع الأغلبية السفهاء.

فهي هروب من تشريع العليم الحكيم إلى تشريع سفهاء البشر، ويزعمون أنها نظام حكم يكفل للجميع الحرية الفردية ديناً ودنيا.

هذا القانون البشري مقدس عندهم فهم يرددون (لا صوت فوق صوت القانون).

واليهود والنصارى طبقوا هذه الديمقراطية وفشلوا فشلاً ذريعاً في تحقيق الأهداف وتأمين البلدان والأعراض والأموال والعلاقات الدولية، ثم من تلقاها من المسلمين عنهم أشد فشلاً.

* ومفاسدة الديمقراطية كثيرة جداً، منها:

- أنها كفر بواح وشرك بالله تعالى، فالحكم والسيادة المطلقة لله تعالى، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

- انتشار الفتن والظلم والفساد في الأرض بسبب غياب حكم الله تعالى، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

- الفساد الإداري والقضائي والإعلامي والاقتصادي في الديمقراطية.

- الفساد الأمني والاجتماعي والسياسي.

- كثرة التناقض والاضطراب والفوضى السياسية...[١].

وأما الدكتاتورية: فهي النظام العسكري التابع لقايد الجيش والدولة، ثم هو يضع القانون أو يستورده أو يشكل لجنة، لذلك فهو أشبه بالديمقراطية من حيث نبذ الشرائع وتحكيم القوانين ونشر الفساد الاجتماعي والخُلُقِي...

وقد تكون القيادة لحزب كامل كالاشتراكي مثلاً، بحيث يقود الدولة والشعب بما يتوافق مع مبادئه حقها وباطلها.... وكلاهما كفر مبين.

وأما العلمانية: فهي فصل السياسة عن الدين (فلا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)، وهو في الأصل نظام الرومان قبل الميلاد ثم انتقلت إلى النصارى فحرفوا الإنجيل وتركوا أحكامه حتى اعتنقوا مؤخراً العلمانية، وكذبوا على المسيح أنه قال: (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فانطلقوا في وضع قوانين الحياة والمعاملة بآرائهم والتي كان من آخرها النظام الديمقراطي العصري...(٢).

وأما الرأسمالية: فهمي نظام اقتصادي ذو فلسفة سياسة اجتماعية ويعتمد على فصل الدين عن السياسة وعن الحياة كلها...

ومؤخراً أدخل هذا النظام في الديمقراطية ومن أسسه حرية الاقتصاد والصناعة... وهو نظام كفر محارب للدين، وسياسي مدمر يقوم على التوسع واستغلال الآخرين...[٣].

---

(١) راجع: «الاسلاميون وسراب الديمقراطية»، «التوضيحات الجلية لبيان حقيقة الديمقراطية»، «كشف الشبهات بمفاسد الانتخابات»، «حقيقة الديمقراطية».

(٢) انظر «موقف أهل السنة والجماعة من العلمانيين»، «العلمانية نشأتها وتطورها...».

(٣) انظر «الموسوعة» (١/ ٩١٢-٩١٥) وغيرها.

* ثالثاً: موقف اليهود والنصارى من الحكم بالإسلام.

لقد سعى أعداء الإسلام خصوصاً واليهود والنصارى والاشتراكيون إلى هدم الحكم بالإسلام أو تقويضه أو عرقلته أو منعه، وحاولوا - بجهود هائلة - إقصاء الشريعة، لعلمهم أن عز الأمة الإسلامية في تحكيم شرع الله تعالى، وصرحوا بذلك، فقد قال أحد كبارهم - وهو جلا دستون رئيس وزراء بريطانيا سابقاً-: «إننا لا نستطيع الاستقرار في الشرق مادام فيهم هذا الكتاب - أي القرآن - ». ولهم من هذا الكلام الكثير والكثير.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧]، وقام أعداء الإسلام بمحارب الدين والحكم الشرعي بإلقاء الشبه حول شريعته بأنها رجعية وسبب التخلف ولا توافق المدنية الجديدة والحضارة...

وركن إليهم ببغاوات من المسلمين(١)، لاسيما المتأثرين بهم من زعماء وأحزاب وأفراد، فهم آلة لأعداء الإسلام ضد الحكم بالإسلام، ويكفي ما قد جرى من ذل وهوان مع ما سيكون من عذاب لله تعالى الأخروي بسبب الحكم بغير ما أنزل الرحمن...(٢).

---

(١) بعض الأحزاب المسماة بالإسلامية ممن يؤمن بالديمقراطية ونحوها كالمدنية تجد أن ركونهم إلى أعداء الإسلام كثير وشهير، والسر في ذلك أن أساس حزبهم متفرع من الماسونية، وهي أم العصرانية مرضعة الحزبية، فلا غرابة حين تراهم يمجدون الديمقراطية أو العلمانية والمدنية الحديثة.

فتحصل أن الببغاوات التي قصدناها هنا نوعان:

الأول: العصرانيون من الحزبيين الإسلاميين وغيرهم. والعصرانية: هم من يريد الجمع بين الإسلام والعلمانية والتوسط بينهما.

الثاني: المنحرفون ممن تربى على أيدي أعداء الإسلام من السياسيين والمثقفين.

(٢) راجع «عقبات وادعاءات ومؤامرات لمنع تطبيق شرع الله»، «معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية» وغيرها.

* المسألة الثانية: الولاء والبراء عند اليهود والنصارى وموقفهم من الإسلام وأهله.

ما من قوم لهم مبدأ أو عقائد إلا وهم يوالون ويعادون على ذلك، ويقاتلون في سبيله، والأمر كذلك عند اليهود والنصارى، فمع ضعف الولاء الصادق لدينهم وفيما بينهم إلا أن عداءَهم للمسلمين شديد وحقد عليهم دفين، وهم يسلكون جميع الطرق في محاربة الإسلام الكريم وتقويضه.

* ومن ذلك:

- البغض والكراهة وتوريث ذلك لأبنائهم، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، واليهود أخبث من النصارى، ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢].

- الحرب المسلحة والتي امتلأ التاريخ بذكرها، مع ما يصحبها من مجازر وعنف كما حصل لمسلمي الأندلس وروسيا والبوسنا والهرسك وفلسطين...

فالكفار هم أصل الإرهاب ومدده.

- التعذيب والملاحقة والسجون لمن كان تحت أيديهم من المسلمين.

- تشويه الإسلام وأهله بالدعايات الكاذبة والنشرات الظالمة والطعون المفتراة والشَبه الخاطفة...

- نشر الفساد والعبث والفوضى والأحزاب والثورات وخَلْق الأزمات الاقتصادية في بلاد المسلمين عن طريق عملائهم الفجرة.

- السعي إلى تنصير المسلمين بطرق شتى وأساليب ماكرة، واستغلال الفقر والطب والإعلام في ذلك.

- السعي إلى تولية عملاء اليهود والنصارى في المناصب الحساسة، لاسيما الرئاسة

والإعلام والاقتصاد... ليخدم مصالحهم ويضربوا الإسلام من الداخل.

- السعي إلى تفتيت وحدة الدول ومنع وحدة المسلمين من باب أولى حتى يبقوا ضعفاء أذلاء.

والكلام على هذا الباب يطول...(١).

* المسألة الثالثة: موقف اليهود والنصارى من المرأة وقضاياها:

أما اليهود فكان الأمر القديم عندهم أن المرأة محتقرة، ومن ذلك أن المرأة إذا تزوجت صارت ملكاً للزوج، ومالها ملك له، ولكن مؤخراً لكثرة الخلافات، فقد أقر بعد ذلك تملُّك الزوجة رقبة المال والزوج يملك المنفعة، وأظن مع الديمقراطية انفردت المرأة بمالها.

وكانوا إذا حاضت المرأة لم يجلسوا معها، بل تُترك لأنها نجسة أثناء الحيض، ويعتبرون البنت بمنزلة الخادم، ويحق لأبيها بيعها، ولا يورثونها مع البنين، ويعتبرون المرأة لعنة؛ لأنها أغوت آدم...(٢).

وأما النصارى فاعتبروا المرأة رجساً وسبباً لنشر الفواحش، وأنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله تعالى، مشوهة للرجل، وأعجب من هذا أنه في القرن الخامس عشر اجتمع بعض اللاهوتيين لبحث (في مجمع ماكون): هل المرأة جثمان بحت أم هي جسد ذو روح يناط به الخلاص والهلاك؟ فكانت النتيجة أنها جثمان بحت لا روح لها ولا علاقة لها بالجزاء والخلاص والهلاك... - إلا مريم أم المسيح.

---

(١) انظر «بروتكولات صهيون»، «جرائم أمريكا والغرب»، «جنايات الإنكليز على البشر عامة»، «الردود المسكتة»، «الموسوعة الميسرة»، «التنصير في الشرق الأوسط»، «تاريخ محمود شاكر» وغيرها.

(٢) «الموسوعة» (١/ ٥٠٣)، «مظاهر تكريم المرأة» (ص ١٥)، «المرأة في القرآن» للعقاد (ص ١١٩) وغيرها.

وصدر قرار في عصر هنري الثامن يحظر على المرأة قراءة الإنجيل لأنها تعتبر نجسة [(١)].

هذا في السابق، أما في عصرنا الحاضر فزادوا أموراً أفظع من ذلك:

فقد نشأت حركة المرأة وغيرها، وتقوم هذه الحرية والمساواة على أمور:

١ – التماثلية بين الرجل والمرأة.

٢ – حرية الزواج والصداقة.

٣– حرية العمل والاختلاط والرياضة.

٤ – تحطيم الحواجز الدينية (لما سبق ذكره من عقائد قديمة).

٥ – محاربة (فكرة الأنوثة) باعتبارها سبب ضعف المرأة أمام الرجل، وهذا يعني أن تكون المرأة أمام الزوج كصديق عادي لا يربطها رابط ومسئولية واحدة.

٦ – حرية الجنس مع الإناث أو الذكور.

٧– فتح المجال السياسي لتولي المرأة سياسياً.

ومن هذا المنطلق هرولت نساؤهم في كل شر وفساد، وكثر الأنين والصراخ من الرجال وكثير من النساء، وجاءت النتائج معلنة بالدَّمار والضيَّاع والشرور... [(٢)].

ثم يسعى هؤلاء الجرحى والمرضى إلى أن يجرعوا المسلمين من الكأس الذي تجرعوا منه.

****

---

(١) «المرأة في القرآن» (ص ٥٤)، «مظاهر تكريم المرأة» (ص ١٥- ١٦).

(٢) «المرأة الغربية أرقام ناطقة... وحقائق شاهدة»، «العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية»، «العنف ضد المرأة»، «المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة» وغيرها.

المبحث الثاني

مسائل الأمة لدى الوثنيين والملاحدة

* المسألة الأولى: مسائل الحكم:

أما سابقاً: فالحكم كان في الهند والصين وغيرها يقوم على آراء القادة والرهبان والفلاسفة حسب ما يرونه صالحاً لمجتمعاتهم ومصالحهم، ومؤخراً بعد الغزو الأوربي تحول الحكم في العالم كله إلى ديمقراطية رأسمالي أو ديمقراطي شيوعي كما سبق بيانه، واحتفظت قلة من الدول بنظام الملكية القديم، فالكلام على الحكم في هذه الطوائف والفرق هو كالكلام على سابقيها.

* المسألة الثانية: مسائل المرأة:

ذكر صاحب كتاب «مظاهر تكريم المرأة»[(١)] كلاماً جيداً ننقله باختصار:

قال: المرأة في الصين:

كانت المرأة في الصين تحتل في المجتمع منزلة هينة، ولقد كتبت إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة، فكان مما جاء فيها: (نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري... ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال).

---

(١) (ص ١٣-١٨).

ومن أغانيهن: (ألا ما أتعس حظ المرأة، ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها، إن الأولاد - الذكور - يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء، أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها... وإذا كبرت اختبأت في حجرتها تخشى أن تنظر إلى وجه إنسان، ولا يبكيها أحد إذا اختفت في منزلها...)[(١)].

* المرأة في الهند:

في الهند نجد أساطير مانوا، أن مانوا: عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف وسوء السلوك، فالنساء كالباطل نفسه، وهذا قاعدة ثابتة لديهم...[(٢)].

وفي تشريع مانوا: إن الزوجة الوفية يجب أن تخدم زوجها كما لو كان إلهاً... وكانت المرأة تخاطب زوجها: يا مولاي أو يا إلهي، ولا تمشي معه، بل خلفه بمسافة، ولا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى عنه...

* وأما في اليونان:

فيكفي أن المرأة في العصر الذهبي لم يكن لها أي دور، بل تعيش في ظلمات البيوت على أنها من سقط المتاع، حتى كان بعض مفكريهم ومؤرخيهم من ينادى: يجب أن يحبس اسم (المرأة) في البيت كما يحبس فيه جسمها.

ويرون المرأة كالخادم، وكان أفلاطون يرى المرأة ملكاً مشاعاً...[(٣)].

وكانت المرأة ممنوعة من التملك، بل تصير ملك للزوج وتورث كسائر المتاع[(١)].ا. هـ المراد

---

(١) «قصة الحضارة في الصين» (ص ٢٧٣).

(٢) «تاريخ العلم» ليرجون (ص ٣٩٤).

(٣) «قصة الحضارة» (٢/ ١١٤).

* وأما المرأة الشيوعية:

فهي أتعس النساء حالاً ومآلاً، ومن أسس الشيوعية شيوع النساء، فلا حرام لأي امرأة أن تربط علاقة مع أي رجل، وللرجل كذلك حتى ولو كانت مزوجة، فهي كالسلعة من شاء أخذها، ولذلك كثر الزنا والفساد والاغتصاب في أوساطهم[٢].

ذكر صاحب الفصول[٣]: أن الهندوس يجوزون تعدد الزوجات - كسائر الملل القديمة...[٤] لكن إذا مات الزوج فإن (الفيدا) تحث الأرملة على اختيار الموت مع زوجها فتحرق معه - لأنهم يحرقون الأجساد عند الموت - وهذا يعتبر من أعمال البر والوفاء.

واستمر هذا في الهندوس حتى منعته بريطانيا عام (١٨٢٩م).

وكذلك التي لم تحرق نفسه تعيش حياة قاسية تأكل الخضروات وتُضعف جسمها ولا تفكر في زوج آخر ولو كانت ممن لم يدخل بها وخاصة نساء الطبقات العليا... وأما الرجل فله التزوج بأخرى إذا ماتت زوجته عند أكثرهم، وحرم (ديانند) الزواج على الرجل كالمرأة[٥].

ولهم في شأن الزواج عادات كثيرة سيئة، منها: أن الأب هو الذي يبحث لبنته عن زوج ويدفع مهرها للزوج، ويجب أن يزوجها قبل سن العاشرة...[٦] وإلا دخلوا جميعاً النار، وزاد بعضهم إلى سن (١٣ سنة).

---

(١) «قصة الحضارة» (٢/ ١١٤).

(٢) «السيوف الباترة» (ص ٥١) وغيره.

(٣) «فصول في أديان الهند» (٨٣، وما بعدها)

(٤) لا نعلم حرباً على التعدد إلا من العلمانية والشيوعية ونحوهما.

(٥) ويبيح لهن المتعة أي الزنا.

(٦) وهو سن البلوغ عندهم.

وكان البوذية ينكرون حرق المرأة، إلا أنهم يفضلون التبتل وترك الزواج، ويرون المرأة شراً.

والسيخ يرون المرأة أساس كل شر.

والجينية يرون أن لا نجاة للمرأة إلا إذا تناسخت في قالب الرجال...

وأما الباطنية: فمذهبهم أشبه بالشيوعية لهم ليالٍ يجتمعون فلا يحرمون أُمًّا ولا أختاً ولا بنتاً ولا مزوجة...

وسائر الملاحدة وغيرهم إباحيون كذلك كما سبق.

* المسألة الثالثة: موقفهم من الإسلام والمسلمين.

* أولًا: الهندوس.

ظلت الهند تحت سيطرة الحكم الإسلامي ردحاً من الزمان ثم ضعفت الدولة المغولية بالهند وبدأ التفكك، وغزت بريطانيا الهند وكسرت شوكة المسلمين ورفعت الهندوس والوثنين، ولقي المسلمون أنواعاً من الحرب والعداوة والتشويه من الهندوس وناصروا الإنجليز حتى سقطت الحكومة الإسلامية، ووقعت المذابح الطائفية على المسلمين، وبعد عداوة طويلة تم تقسيم الهند إلى دولة الهند ويحكمها الهندوس، وإلى دولة باكستان ويحكمها المسلمون.

وحالياً هدأ بعضٌ من العداء بين المسلمين والهندوس ولاتزال جذور الشر باقية، وتشتعل بين الحين والآخر، (ولا أمان لمنحرف ولا كافر).

* ثانيًّا: البوذية:

لقي المسلمون منهم أشد الأذى بعد الغزو الفرنسي والبريطاني لشرق آسيا لاسيما في

فيتنام وفطاني وبروما[١] وتايلاندا وعانوا من حكومة تايلانده البوذية القتل والتهجير والحرب المدمرة، ومحاولة تذويبهم في المجتمع البوذي، وسعت إلى محو الطابع الإسلامي واللغة العربية وقتل العلماء والقادة، ونشر الشبه والأفكار الهدامة كالأفكار القاديانية، ومنعت المسلمين من ثروات بلادهم، ونشرت الجهل بين المسلمين، وفرضت الديانة البوذية في المدارس، وحرفت معاني القرآن والسنة، وتعاون كثير من البوذية في الهند مع الهنا دكة في مذابح المسلمين.

* ثالثاً: السيخ:

وهم أخبت طوائف الهند قلوباً وأشدهم عداءً، وقد حكموا أجزاء من الهند قبل الغزو البريطاني وعرف حكمهم بالظلم والتعسف والمذابح الجماعية لاسيما في البنجاب، وفر كثير من المسلمين إلى باكستان وغيرها، وجرت لهم من السيخ - لعنهم الله تعالى - أولوان العذاب ولقيت كشمير نحو ما لقيه مسلمو البنجاب.

* رابعاً: الوثنيون:

في الصين منذ دخل الإسلام إليها سادت علاقة هادئة مع الصينين حتى ظهور التتار، فلما أسلم متأخرو ملوكهم عاد الأمر إلى مجراه حتى بدأ الصراع في القرن الحادي عشر وما بعده، ثم اشتدت المحاربة بعد تسلط الحزب الشيوعي فتغير الأمر كما سيأتي[٢].

* خامساً: الشيوعية:

إن ما لقيه المسلمون من الحزب الشيوعي أمر يصعب حصره، فقد أبادوا أمماً ودولاً

(١) ولقي المسلمون منهم مؤخرًا مجازر كبرى في عام ١٤٣٥ هـ وما بعدها.

(٢) والحكومة الصينية منذ عام ١٤٣٨ هـ و٢٠١٧ م تسعى جادة إلى محو كل شيء يتعلق بالإسلام، لاسيما في تركستان الشرقية. فحسبهم الله ونعم الوكيل.

وقتلوا أكثر من مائة مليون نسمة، ولو عاشوا لكانوا الآن مئات الملايين، ولقد حاربوا الإسلام ولغته بكل ما أوتوا.

ثم جاءت الشيوعية الملعونة التي نهجت سياسة العداء للأديان عموماً وللإسلام خصوصاً، فذاق المسلمون في شرق وشمال آسيا وشرق أروبا منها ما تتصدع لهوله الجبال وتنشق لفظاعته الأرض، لقد جمعوا بين القتل والإبادة الجماعية والتهجير والطرد وبين الإغواء ونشر الفساد والإباحية المطلقة، وتدمير المساجد وقتل العلماء، حتى قتلوا أكثر من مائة مليون مسلم، وهدموا آلاف المساجد وانتهكوا الأعراض، وغير ذلك، ولما سقطت الشيوعية بعد جهاد الأفغان هدأ الأمر نسبياً، ولا يزال شرهم كبيراً. قطع الله تعالى دابرهم!

* سادساً: الباطنية:

وهم من ألد أعداء المسلمين، ولا يخفى ما فعلو بالحجيج بمكة وقلعوا الحجر الأسود، وأفسدوا في كل مكان وصلوا إليه، ومؤخراً تعانوا مع كل عدوٍ للإسلام لاسيما الرافضة، وعداوتهم لانهاية لها...[1].

****

(١) «حاضرة العالم الإسلامي» لجميل المصري. «تاريخ العالم الإسلامي» لشاكر. «الموسوعة الميسرة» وغيرها.

الخاتمة

تم هذا المختصر المتواضع المفيد - إن شاء الله تعالى - وقد أتيت على كثير من مهمات المسائل في هذا الموضوع، وقد استفدت كثيرًا من مباحثه وفوائده، ولله الحمد والمنة، فذلك من فضله ورحمته وإكرامه عز وجل.

وأسأل الله الكريم الذي يسر تأليفه، أسأله سبحانه أن يسهل طبعة ونشره وترجمته وتوزيعه في البلاد الإسلامية وغيرها وأن ينفع به، وأن يجعل له القبول في الأرض، وأسأل ربي عز وجل أن يتقبل مني إنه جواد كريم بر رحيم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه تسليماً.

كتبه
أبوعبد الله محمد بن أحمد المصنعي
وفقه الله تعالى
اليمن – معبر
عام ١٤٣٢هـ

الفهرس